وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب المترجمة
٢

رحلة نيبور الى العراق
في القرن الثامن عشر

ترجمه عن الالمانية

الدكتور محمود حسين الامين

راجعه وعلق عليه ووضع فهارسه

سالم الآلوسي

وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب المترجمة
٢

رحلة نيبور الى العراق

في القرن الثامن عشر

ترجمه عن الالمانية

الدكتور محمود حسين الامين

راجعه وعلق عليه ووضع فهارسه

سالم الآلوسي

المحتويات

المقدمة

سالم الآلوسي

مدير التأليف والترجمة والنشر
في وزارة الثقافة والارشاد

١ – أهمية العراق السياحية

اجتذبت بلاد ما بين النهرين (العراق) منذ أقدم العصور العديد من السياح والرواد والرحالين ، لما كان لهذه البلاد العريقة في القدم ، الوافرة الخيرات من شهرة واسعة وصيت ذائع في عوالم الحضارات والآثار وما ورد عنها من أخبار وحوادث في الكتب المقدسة، كما أن ثرواتها الزراعية والمعدنية كانت ولا زالت موضع جشع وأطماع الطامعين وهذا يضاف الى موقعها الجغرافي الممتاز ، وبذلك يتمتع العراق بعناية الكتاب والمؤرخين منذ قدم الزمان ، فقد كان مسرحاً لحوادث تاريخية جسام وموطناً ازدهرت فيه حضارات عديدة كالحضارة السومرية والبابلية والآشورية ، وأخيرا الحضارة العربية الاسلامية ، ولعبت بعض حواضره وأقاليمه أدوارا خطيرة في ميادين الثقافة والسياسة والفنون والآداب • فكانت بغداد قبلة الشرق في أيام ازدهار الحضارة فقد ورد اسمها على كل لسان وارتسمت حوادثها وشخوصها في الأخيلة ، وكان لكتاب ألف ليلة وليلة أثر بارز في التعريف بعادات وتقاليد وقصص كانت تلهب مشاعر القراء وتدفعهم الى المزيد في طلب المعارف والمعلومات للوقوف على أحوال الشرق •

٢ ـ أهداف الرحلات وأغراضها

كانت الحروب الصليبية أول محاولة أوربية على نطاق واسع لاستعمار الشرق، ثم جاء بعد ذلك عصر النهضة الصناعية ونشاط الحركة العلمية فتنبهت أوربا الى أهمية الشرق وما فيه من امكانيات عظيمة في جميع الميادين ، واندفعت حكوماتها ومؤسساتها الى ارسال البعوث تلو البعوث لتحري أحواله ودراسة ماضيه وحاضره ، مستهدفة في ذلك شتى الاهداف ومندفعة وراء غايات لها ومقاصد ، كان في طليعتها السيطرة الاقتصادية والبحث عن الاسواق الجديدة لتصريف بضائعهم المصنوعة والحصول على المواد الخام بأبخس الاثمان ، كل ذلك يضاف الى شهوة الاستيلاء والتوسع والسيطرة ، وقد بلغ التنافس بين الدول الاوربية حداً دفع البعض منها الى خوض غمار الحروب وسلوك الوسائل المشروعة وغير المشروعة في سبيل ذلك ، فأخذت الحكومات والمؤسسات ترسم الخطط وتدرس الامور بكل اناة وصبر ، كما جندت كل ما تيسر لديها من امكانيات مادية وأدبية لتحقيق ذلك ، فكان بعوثها وسفاراتها وقناصلها يجوسون خلال البلاد متنقلين بين أصقاعها ، بين بواديها وجبالها ، بحارها وصحاريها ولم تفت في عضدهم صعوبة ولا تنتهم عن متابعة أسفارهم وانجازها مشكلة ولا عاقهم عائق •

وقد تضاعف عدد السواح والرحالة بعد غزو نابليون لمصر ومن ثم بلاد الشام ، نذكر منهم الرحالة الذين وفدوا عام ١٨٠٠ ، بوشان ، روسو ، اوليفيه • ثم اوبرت (١٨٠٦) ، دوبر (١٨٠٨)[١] يضاف الى هؤلاء السواح عدد كبير ممن جندتهم الحكومة الفرنسية والمؤسسات الاخرى لخدمة أغراضها • وقد حذت حذو فرنسا بقية الحكومات الاوربية •

نجد بين هؤلاء السياح عددا كبيرا من المشتغلين بعلم الآثار ، توصل بعضهم الى فك رموز الكتابات المسمارية والهيروغليفية ، فأخذت على أثر

(١) بوشان Beauchamp (L'Abbé de) ، روسو Rousseau
اوليفيه Olivier (G.A.)، اوبرت Oppert (Jules) ، دوبر Dupre •

ذلك المتاحف والمعاهد العلمية والثقافية تتزاحم بينها للحصول على اجازات التنقيب عن الآثار واكتشاف المدن الدارسة • وفي الحقيقة ان ما دونه هؤلاء وكتبوه عن أحوال البلاد الاجتماعية والتاريخية والآثارية والجغرافية تعتبر ثروة تاريخية وأدبية جليلة الفائدة ، ومصدرا من أوثق المصادر • ولا يفوتنا في هذه العجالة التنويه بأن بعض الرحلات والسياحات كان بدافع الهواية الشخصية وحب الاطلاع أو المغامرة وتزجية الفراغ • الا أن القسم الاعظم من البعوث التي جاست بلاد الشرق كانت بعثات رسمية تمولها وتشرف على امورها جهات حكومية ، وكما تعددت أغراض البعثات ومراميها ، تعددت كذلك جنسياتها واللغات التي كانت تتكلم بها • فكانوا يمثلون امماً مختلفة وجنسيات وديانات متباينة • غير ان أمراً واحدا كان يجمعهم ، ذلك هو الولوج الى مجاهيل الشرق ودراسة أحواله وجمع المعلومات عنه •

٣ ـ رحلة كارستن نيبور

اتسمت القرون الثلاثة الأخيرة بنشاط عظيم في ميدان الرحلات والسياحة الا ان أضخم بعثة علمية أوربية اتجهت نحو بلاد الشرق كانت بلا ريب رحلة « كارستن نيبور » التي مضى عليها أكثر من مئتي عام ، وقصة هذه الرحلة من أمتع الرحلات وأجل ما كتب في هذا الميدان ، كما سيطلع عليها القارىء الكريم ، وبالنظر الى أهمية هذه الرحلة فلابد لنا أن نمهد لها بموجز عن حياة الرحالة « كارستن نيبور » الملأى بالمفاجآت وغرائب الامور •

٤ ـ حياة كارستن نيبور Carsten Niebuhr

رحالة ألماني الأصل ، كان أبوه فلاحاً من سيليزيا ، وقد ولد في مدينة « لدنغورث »(٢) في مقاطعة « لاونبرغ »(٣) في السابع عشر من آذار (مارت) من عام ١٧٣٣ • وقد بدأ حياته فلاحا يساعد والده في الزراعة ، ولم يفته استغلال فرصة الفراغ للدرس وتعلم المساحة Surveying ، دخل بعد ذلك

---

(٢) Lüdingworth (٣) Lauenberg

جامعة گوتنگن Göttingen لدراسة الرياضيات وعلم الفلك • وقد بدأ تعليمه في سن الثانية والعشرين •

وفي عام ١٧٦٠ حين قرر ملك الدنمرك ـ فردريك الخامس ـ ايفاد بعثة علمية مشتركة الى بلدان الشرق الادنى وجنوبي الجزيرة العربية ، لتقصي الاخبار والمعلومات العلمية عنها ، استدعي نيبور للانضمام اليها •

وفي اليوم الرابع من شهر كانون الثاني (ديسمبر) من عام ١٧٦١ ركب الباخرة الدنمركية « گرينلاند Greenland » خمسة من العلماء المتخصصين بمختلف فروع المعرفة ، مع خادمهم الدنمركي وقد جمعهم أمر وحفزهم هدف صمموا على تحقيقه مهما كانت الظروف والاحوال مدفوعين بالاسطورة التي تحدثهم عن بلاد اليمن السعيدة وبلاد العرب ، فاتجهوا نحو عالم مليء بالمجاهيل والمخاطر ، غريب عنهم في الطباع والتقاليد واللغة ، وفي الملبس والمأكل والجنس والدين ••• وفي كل شيء ، وقد وزعت أعمال وواجبات البعثة على أعضائها الخمسة • وكانت البعثة تتألف من خليط من الجنسيات ، فقد كانت تضم عالمين دانماركيين والمانيين وسويديا واحدا • كان جميع هؤلاء من الشبان اليافعين ، اذ لم يبلغ أكبر الاعضاء سنا الرابعة والثلاثين عاما بينما لم يتجاوز أصغرهم الثامنة والعشرين • أما هؤلاء فهم :

١ ـ البروفسور بيتر فردريك كريستيان فون هافن (دنمركي)
Prof. Peter Friedrich von Haven

رئيساً للبعثة ومسؤولا عن الدراسات الاثنولوجية واللغات القديمة •

٢ ـ الدكتور كريستيان كارل كريمر (دنمركي)
Dr. Cristian Carl Kramer

للدراسات والبحوث المتعلقة بالعلوم الطبيعية •

٣ ـ الضابط المهندس كارستن نيبور (الماني)
Engineer--Lieutenant Carsten Niebuhr

وقد انيطت به مسؤولية الدراسات الجغرافية والفلكية والرياضيات •

٤ - الهر جورج ويلهلم بورينفند (الماني)
Herr Georg Wilhelm Baurenfeind

كانت مهمته الرسوم الفنية وحفرها على النحاس •

٥ - البروفسور بيتر فورسكال (سويدي) Prof. Peter Forsskal

طبيباً للبعثة ومتخصصاً بالدراسات النباتية •

* * *

وفي صباح ٤-١-١٧٦١ وكان يوما قارس البرد أقلعت السفينة الدنمركية (گرينلاند) من ميناء كوبنهاگن ، فمرت بميناء مرسيليا ، ومنه الى اسطنبول حيث وصلتها في ٣٠ تموز ١٧٦١ ، وفي هذه المدينة استقبل البعثة فون گاهلر von Gähler سفير حكومة الدنمرك لدى الباب العالي ، ولم يتسن للسفينة مبارحة اسطنبول الا في ١١ ايلول بسبب تردي صحة « نيبور » ولانصراف باقي الاعضاء الى شراء بعض الحاجيات واللوازم من أسواق المدينة ، وكان من أبرز تلك اللوازم الملابس العربية التي حصلوا عليها بمساعدة (فون گاهلر) الذي أسدى اليهم النصح بارتدائها فور مغادرة السفينة اسطنبول • وفي ١٩ ايلول مرت السفينة بجزيرة (ساموس Samos وفي ٢١ منه رست في جزيرة (رودس) ومنها توجهت الى الاسكندرية فوصلتها في ٢٦ ايلول •

لقد أمضت البعثة حوالي السنة في مصر لدراسة أحوالها وآثارها ثم بعد ذلك أبحرت البعثة من الاسكندرية عبر النيل متوجهة الى السويس[٤] وفي خلال ذلك اتيح لنيبور زيارة جبل سيناء في محاولة فاشلة لاكتشاف مجاهل شبه الجزيرة ، وفي ٥ تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٧٦٢ أبحرت البعثة من السويس الى جدة ومن الاخيرة أبحرت الى (مخا) في بلاد اليمن •

وقد اصيبت البعثة بصدمة بموت رئيسها « فون هافن » الذي توفي في

(٤) لم تكن قناة السويس قد حفرت بعد ، وكان افتتاحها للملاحة عام ١٨٦٩ •

مايس من عام ١٧٦٣ ، ولم يلبث أن لحق به في ١٣ تموز من العام نفسه العالم الطبيعي بيتر فورسكال في مدينة جرم Jerim وكانت الملاريا خطرا دائما ولم يكن تشخيصها معروفا انذاك • وقد زار نيبور مع من بقي من أعضاء البعثة صنعاء وقابلوا أميرها ، ثم عادوا الى (مخا) لقضاء فصل الصيف فيها ويعتبر ذلك من الاخطاء التي ارتكبتها البعثة[٥] • وفي بلاد اليمن اتبع نيبور اسلوباً صارماً في مأكله ومشربه وحياته اليومية حاكى فيها ـ قدر المستطاع ـ أهالي البلاد مما أكسبه مناعة وخبرة مكنتاه من المحافظة على صحته وحياته فسهل عليه ذلك متابعة سفره •

ومن (مخا) أبحروا الى بومبي في الهند ، وهناك توفي رسام البعثة بورينفند ثم لحق به (فون كريمر) الذي مات في ١٠ شباط ١٧٦٤ وكان عمره ٣٢ سنة ، فبقي نيبور العضو الوحيد الذي وقع على عاتقه انجاز مهام البعثة وواجباتها، ولم يرد مايشير الى كيفية وفاة (كريمر) ولكن الشيء الذي يدعو الى الاستغراب ، ان هذا العالم الذي أشرف على تهيئة أمور البعثة منذ مغادرتها كوبنهاگن حتى وفاته ، لم يترك أي أثر أو مذكرات ! ونهايته المحزنة مسألة يحيط بها الغموض وتتراقص حولها علامات الاستفهام ، والشيء الذي يصح ذكره بهذه المناسبة انه لم يكن على وفاق تام مع زميله نيبور[٦] •

* * *

الآن بقي نيبور وحيدا في الميدان وكان أمامه من الواجبات والمهام ما تنوء به كواهل أعاظم الرجال ، الا أن همته العالية وثقافته الواسعة ودأبه المتواصل وارادته الحازمة ، كل ذلك دفعه الى اتمام الرحلة وانجاز مايترتب

---

(٥) مجلة الهلال ـ عدد نوفمبر ١٩٦٤ ، ص ١٧٥

(٦) راجع كتاب : بلاد اليمن السعيدة لمؤلفه ثوركيلد هانسن
Thorkild Hansen, *Arabia Felix*, or The Danish Expedition of 1761-1767, pp. 303-304. Trans. by James and Kathleen McFarlane, Colins (London 1964).

عليها من أعمال واسعة المقاصد متشعبة الاغراض • اندفع بهمة لا تعرف الكلل بالرغم مما ساوره من شكوك ومخاوف كادت تزعزع ثقته بأمل العودة الى أوربا ورؤية الدنمرك ! الا أن الذي كان يهمه بالدرجة الاولى وصول ما كتبه من مذكرات وما دونه من معلومات علمية الى الدنمرك •

وفي ٢٤ مارس (آذار) غادر بومبي الى (سرات Surat) فدرس أحوالها وتجارتها ثم قفل عائداً الى بومبي • وكانت له رغبة عظيمة في زيارة بلاد الصين فرتب اموره على هذا الاساس ، وبينما كان بانتظار السفينة التي ستقله الى بلاد الصين ، عاودته الحمى والمرض مما جعله يغير خطته في السفر الى تلك البلاد • وبعد ابلاله من مرضه التزم طريقة نظامية في غذائه لمدة ستة أشهر لم يتناول خلالها سوى الرز المسلوق والفواكه • وبعد أن مكث في بلاد الهند أربعة عشر شهرا ، قرر العودة الى بلاده • ولابد لنا أن نذكر هنا حقيقة هي أنه أثناء ما كان في بومبي تجسدت له صعوبة الاستمرار في السفر أو بالاحرى استحالته ، فراودته فكرة العودة الى وطنه بحرا باحدى السفن الذاهبة الى لندن ثم لم يلبث أن أقلع عن هذه المحاولة• وقبل أن يغادر الى بومبي هيأ نفسه لمواصلة السفر الا انه احتاط للامر بأن بعث بمخلفات زميليه ، فورسكال وفون هافن وما فيها من مذكرات وأوراق وكذلك بمخلفات زميله الآخر بورينفند المحتوية على الرسوم والمخططات ، بعث كل ذلك بطريق البحر الى لندن خشية ضياع هذه الثروة أو فقدانها اذا ما بقيت بمعيته وهو مقبل على أسفار شاقة متعبة مجهولة النتائج فقد دون نيبور في مذكراته : « •• يجب أن لا نخسر جميع ثمار هذه الرحلة اذا سرقت أو اذا ما قضيت نحبي »[٨] • وعند عودته مر خلال ذلك بمسقط ثم توجه عن طريق الخليج العربي الى (گمبرون)[*] ومنها الى شيراز فخراب

---

(٧) راجع المصدر السابق Arabia Felix ص ٣٠٧

(٨) نفس المصدر ص ٣٠٧

(*) هي ميناء بندر عباس

برسيبوليس[٩] التي غادرها في ٧-٤-١٧٦٥ بعد وفاة خادمه وبعد أن أمضى في أطلال هذه المدينة الاثرية أربعة وعشرين يوما غادرها متوجها الى بوشهر التي وصلها في ٢٨-٥-١٧٦٥ ولم يبق في بوشهر طويلا اذ غادرها متوجها نحو البصرة وذلك بسبب اصابته وهو في برسيبوليس بالتهاب في عينيه ، فسافر بسفينة هولندية صغيرة الى جزيرة (خارج Kharg) بأمل انتظار سفينة انكليزية تقله الى البصرة فوصل الجزيرة في ٣١-٥ الا أن الحظ لم يحالفه في هذه المرة اذ غادرت السفينة الانكليزية جزيرة (خارج) قبل ساعة من وصوله اليها مما اضطره الى البقاء في الجزيرة مضيعاً شهرين من وقته في أشد أيام الصيف حرارة . وفي أوائل تموز غادر الجزيرة بسفينة هندية بسفرة مجانية منحها اياه قبطان السفينة ، وقد صادف أن اعترض السفينة بعض الثائرين من أتباع الشيخ سليمان ثم سمحوا لها بالسفر في ٣١ تموز ، وبعد سفرة استغرقت يومين وصلت السفينة شط العرب فاستهوت نيبور مناظر النخيل وجمال الطبيعة على ضفتي النهر ، وفي أوائل شهر آب وصل البصرة وقد أحصى خلال تجواله ما يقارب اثنين وتسعين قرية أثبتها على الخارطة التي رسمها للمنطقة وقد ذكر أسماءها بالحروف الافرنجية والعربية على حد سواء . كما رسم خارطة لمدينة البصرة ذاكرا ثلاثا وسبعين محلة من محلاتها كما ذكر خمسة وعشرين صنفا من أصناف تمورها . وفي مدينة البصرة ذهب الى القنصلية الهولندية فتسلم منها المبالغ التي بعث بها اليه من اسطنبول (فون كاهلر) .

---

(٩) برسيبوليس Persipolis سماها الاغريق بذلك ومعناها مدينة الفرس وتسمى محليا بـ (چهل منار) أي الاربعين منارة (اسطوانة) كما يطلق عليها اسم (تخت جمشيد) . تقع اطلال هذه المدينة التاريخية الاثرية على بعد خمسين كيلومترا شمالي شيراز وفوق جبل (رهمد Rahmad) وكانت عاصمة للفرس الاخمينيين وقد احترقت أيام فتوح الاسكندر الكبير لايران عام ٣٣٠ق.م. خلال وليمة خمر . بدأ ببنائها الملك دارا عام ٥٢٠ق.م ولم يكمل بناؤها الا في عهد ارتحشستا الاول في حدود ٤٦٠ق.م وقد نقبت في أطلالها بعثة من المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو . وقد أبانت التنقيبات تأثير حضارة وادي الرافدين والفن العراقي القديم على عمارة وزينة هذه المدينة .

٥ ـ نيبور ينتحل اسم عبدالله

لقد انقطعت أخبار كارستن نيبور منذ وصوله البصرة ولم يعد يبعث برسائله التي اعتاد أن يبعث بها بانتظام الى (بيرنشتروف) الذي كان يحولها بدوره الى ميخائيليس • وقد ارتدى (نيبور) الملابس العربية منذ أن وطئت أقدامه مدينة البصرة وانتحل اسم « عبدالله » بدلا عن اسم « كارستن نيبور » لشيوع استعماله من قبل المسلمين والمسيحيين بكثرة ملحوظة[١٠] وبقي على هذه الحال يخفي اسمه الحقيقي (نيبور) حتى على خادمه • وقد أمضى عبدالله !! قرابة ستة أشهر عاش خلالها كواحد من أهل البلاد فوطّن نفسه على انموذج من الحياة كما لو كان عربيا يعيش بين أهله وقومه، سالكا سبيل الحذر الشديد في الكشف عن هويته والامتناع عن كتابة رسائله الى (فون گاهلر) أو غيره ، كل ذلك ناجم ـ على حد قوله ـ عن حساسية السكان المحليين وشعورهم بالشك والريبة من كل أجنبي أو أوربي على وجه الخصوص ، الا أن اسلوب الحذر الذي اتبعه نيبور خلال بقائه في العراق لم يكن يجعله يغفل عن تدوين مذكراته وتفصيلات سفراته بدقة تدعو الى الاعجاب والتقدير •

* * *

وفيما يتعلق بعودة (نيبور) الى بلاده ، أود الاشارة هنا الى ما ورد في مجلة الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية العراقية من أن (نيبور) •• « قفل راجعاً الى بلاده وعاد منها في رحلة ثانيـة الى اسطنبول ثم زار ايران ووصل مدينة البصرة حيث بدأ رحلتـه العلمية في العراق[١١] » • لم أعثر خلال تتبعاتي وتعقيباتي حياة هذا الرحالة الكبير ما يشير الى قيامه برحلة ثانية ، ولغرض اثبات ذلك أذكر في السطور التالية وصفاً موجزاً لعودته بعد مغادرته العراق متوجهاً الى حلب حتى وصوله

---

(١٠) نفس المصدر السابق ص ٣٢٨ •

(١١) مجلة الاقلام ، المجلد الاول ، الجزء الاول (١٩٦٤) ص ٥٩ـ٦٠

كوبنهاگن في ٢٠ نوفمبر ١٧٦٧[١٢] .

غادر نيبور بغداد في ٣ آذار (مارس) ١٧٦٦ فوصل الموصل في ١٨ مارس من العام نفسه . وفي ٢٥ نيسان وصل ماردين وبعد سفر استغرق عدة أيام وصل ديار بكر . ثم واصل سفره على النهج التالي :

١٩ مايس ١٧٦٦ غادر نحو حلب ثم الى اورفه (اديسا القديمة)

٦ حزيران ١٧٦٦ ركب الى حلب . وعند وصوله المدينة قابل بعض الاوربيين وتخلى عن اسمه المستعار عبدالله فظهر اسم نيبور مرة اخرى بعد غيبوبة دامت ستة أشهر ، وفي حلب ذهب الى القنصلية الهولندية لمقابلة قنصلها العام (فون مازيك Von Masseyk فسلمه القنصل المذكور رزمة من الرسائل من بيرنشتروف وگاهلر .

٢٤ حزيران ١٧٦٦ ذهب مع قافلة الى انطاكية ومنها الى الاسكندرونة

٣٠ حزيران ١٧٦٦ الى مدينة (بيلان Beilan)

ومن الاسكندرونة ركب سفينة فرنسية كانت ذاهبة الى مرسيلياه .

١٨ تموز أنزلته السفينة في جزيرة (لارناكا Larnaca) فزار خرائب (كتيوم Citium للتأكد من ادعاء (بوكوك Pocock) العثور على كتابات فينقية .

٣٠ تموز ركب سفينة من لارناكا الى يافا في فلسطين فوصلها بنفس اليوم وبعد يومين ركب الى القدس ورسم خارطة لها وذهب من القدس الى بيت لحم . وبعد أربعة عشر يوماً من وصوله ركب الى مدينة يافا مع ستة من رجال الدين الفرنسيسكان ومن يافا ذهب بزورق الى مدينة عكا .

١٦ آب ١٧٦٦ ركب سفينة الى صيدا . ومنها ذهب بصحبة فلاح الى مدينة دمشق .

---

(١٢) اعتمدنا في ذلك على كتاب بلاد اليمن السعيدة Arabia Felix لمؤلفه T. Hansen الذي مر ذكره في الهامش رقم (٦) .

٢٧ منه عاد الى صيدا ومنها ركب سفينة الى اللاذقية عبر طرابلس فوصلها في ٢٩ منه وقابل هناك (فون مازيك) وبعدها بستة أيام ذهب الى حلب •

٢٠ ايلول ١٧٦٦ غادر حلب الى اسطنبول عبر الاناضول •

١١-١٢-١٧٦٦ وصل قونية •

١٣-١-١٧٦٧ وصل مدينة بورصة •

٨-٦-١٧٦٧ ركب قافلة الى ادرنة Adrianople قرب الحدود البلغارية ثم عبر الدانوب عبر سهول ولاكيا Wallachia وملدافيا Moldavia .

٢٨-٦ وصل بخارست •

١٨-٧ عبر نهر الدنيستر قرب بلدة خوتين Khotin

١-٨ وصل الى مدينة لمبرگ Lemberg أو لفوف Lwow

٨-٨ سار نحو مدينة لوبلن وبعد عشرة أيام وصل مدينة وارشو فاستقبله ملك بولونية ستانسلاف بونياتوفسكي Stanislavs Poniatowsky

٦-٩ غادر وارشو وبعد مسيرة استمرت عشرة أيام عبر الحدود الى المانيا فوصل برسلاو وفي هذه المدينة أنهى كتابة مذكراته •

ومن النظر الى خرائطه التي رسمها يمكن متابعة سفره من برسلاو ، فلداو Waldau ، درسدن ، ليبزگ ، هانوفر ، ومن هذه المدينة سافر الى نايبورگ Nyburg • وفي ٢٠-١١-١٧٦٧ ركب الى كوبنهاگن •

* * *

ولابد هنا أن نشير الى أنه خلال وجود نيبور ببغداد في كانون الثاني من عام ١٧٦٦ توفي الملك فردريك الخامس عن ثلاث وأربعين سنة ولم يعلم نيبور بهذا الخبر، وعند وصوله الى كوبنهاگن لم تشر الصحف الى عودته أو الى رحلته وأهميتها بل اعتبر بعض الدنمركين وصوله في هذا

الوقت غير ملائم بسبب وفاة الملك[١٣] ، وبعد محاولات واتصالات قدمه برنشتروف الى الملك الجديد فاطمأنت نفسه الى أن جهوده لم تبوء بالفشل بل لقى كل رعاية وتشجيع • لقد كلفت هذه الرحلة الحكومة الدنمركية مبلغا بلغ (٢١ ألف) رجسدالر Rigsdaler أو ما يعادل مليون كرونر دنمركي (حوالي ٥٠ ألف جنيه استرليني بعملة هذا اليوم)[١٣] ولم يكن هذا المبلغ باهضا اذا ما قيس بكلفة التمثال الذي صنع للملك المتوفى فردريك الخامس الذي بلغت ستة أمثال تكاليف هذه الرحلة العلمية[١٤] ، هذا اذا ما علمنا ان قسما من هذا المبلغ قد خصص لاغراض كتابة هذه الرحلة العظيمة •

٦ ـ حياته بعد العودة من الرحلة

في عام ١٧٧٣ تزوج بـ (كريستيان صوفي بلومنبرغ Cristiane Sophie Blumenberg) وهي فتاة تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما وكانت ابنة طبيب كان في خدمة الملك فردريك ، وفي السنة التالية لزواجه نشر المجلد الاول من مذكراته التي كانت تنوف على خمسمائة صفحة وهي تبتدىء بمغادرة البعثة كوبنهاكن على السفينة (گرنيلاند) حتى وصوله بومبي في الهند ، بعد ذلك تولى نشر وطبع مخلفات زميله فورسكال على نفقته الخاصة ، ولما كان فورسكال قد دوّن مذكراته باللاتينية ، حيث لم يكن لـ (نيبور) الالمام الكافي بتلك اللغة وآدابها فانه أودع أمرها الى رجل سويدي متضلع بها ظل اسمه مجهولا • ثم تعهد نشر مدوّنات (بورينفند) وهي حصيلة ما قام به هذا العالم من رسوم للاسماك وللمخلوقات المائية والنباتات والطيور ، وكانت تتألف من ثلاث وعشرين لوحة مرسومة بالالوان الزاهية تثير الدهشة لدقتها • لقد كانت جهود نيبور في هذا الميدان تثميناً أو تخليداً لأعمال زملائه في البعثة •

(١٣ـ١٤) نفس المصدر ص ٣٥٥ •

وبعدها تولى نشر ما بقى من مذكراته التي تقع في حوالي (٥٠٠) خمسمائة صفحة تتضمن وصف الرحلة من بومبي الى حلب • ولما كانت هذه الاعمال استنفدت كافة ما يملك من مال ، فقد أضاعت عليه فرصة نشر المجلد الثالث من مذكراته •

* * *

تبتدي حياة كارستن نيبور بالتدهور والاضمحلال عند مطالبته بوظيفة كتابية في (ملدورف) التي سافر اليها مع زوجه وطفليه في صيف سنة **١٧٧٨** وبالرغم من أن (نيبور) كان ألماني الاصل والثقافة الا انه كان خلال تنقلاته وأسفاره يحمل جواز سفر دنمركي وكان هو نفسه يستحسن بل يرغب في أن يقترن اسمه بالتبعية الدنمركية ـ وكثيرا ما كان يشير الى ذلك في أكثر كتاباته • وبكلمة اخرى كان شعوره بدنمركيته قوياً منذ دخوله في خدمة الملك فردريك الخامس •

* * *

عين عضوا في المجمع العلمي الفرنسي فوجهت اليه الدعوة لزيارة باريس • أما حياته العائلية فكانت هادئة مطمئنة ، وكانت أسعد أوقاته تلك التي يمضيها مع أطفاله يقص عليهم قصص بلاد الشرق وأخبار جولاته وسياحاته في ربوعه وتاريخ تلك البلاد وحياة رجالها وعلى الأخص حياة الرسول الأعظم محمد (ص) • ومن الحوادث المؤلمة التي أثرت في حياته ووسمتها بطابع اليأس هي كارثة احتراق وتلف ألواح الصور (الكلايش) النحاس التي كانت بحوزته والتي كانت من صنع الفنان (كليمنس Clemens) أثناء حريق هائل اندلعت نيرانه في كوبنهاگن أتت على الكثير من الاموال والمساكن •

وفي أواخر أيامه اشترى أرضا لفلاحتها فلم تدر تلك الارض غلة مربحة ، فعاد فلاحا كما بدأ • ثم توالت عليه النكبات فأصيب بالعمى وكان

يشكو من مرض اصيبت به عيناه أثناء وجوده في برسيبوليس كما مر بنا •

وفي عام ١٨٠٧ توفيت زوجه فتولت ابنته مهمة قراءة الكتب والوثائق والمستندات لأبيها البصير !! ثم لم يلبث أن عين له مساعد ـ كان من المعجبين بعلمه وفضله ـ هو (گلوير Gloyer) الذي أخذ على عاتقه نشر المجلد الثالث من مذكراته • ولم يكتف القدر بسلب بصره بل فاجأه باصابته بكسر ساقه ، فأصبح هذا الرحالة الجسور والسائح الجرىء ـ الذي لم تقف في طريقه العوائق ـ أعرج •

* * *

وفي اليوم السادس والعشرين من نيسان (ابريل) عام ١٨١٥ انتهت حياة هذا العالم الفذ الذي كان يراقب نجوم الليل بثاقب بصره ، يطوي الصحارى والقفار ، بهمة لا تعرف الكلل والملل ، لم تقعده أخطار السفر ولم تثنه عن عزمه المصائر المؤسفة التي انتهت بها حياة زملائه ، كان يجد متعة كبيرة ـ بعد اصابته بالعمى والعرج ـ في سرد القصص والحوادث التي شاهدها في بلاد الشرق ، فكانت صور تلك البقاع كما ذكر في مدوناته ترتسم بكل وضوح ودقة في ذهنه •

كانت وفاته في ملدورف من مقاطعة ديتماركن Dithmarchen عن عمر ناهز الاثنين والثمانين عاما مكللة بجلائل الاعمال •

٧ ـ كيف بدأ مشروع البعثة الى بلاد الشرق ؟

أقلعت البعثة من كوبنهاگن متوجهة صوب الشرق عام ١٧٦١ غير ان الترتيبات والتحضيرات لها ، بدأت قبل هذا التاريخ بسنوات ، وعلى وجه التحديد كان ذلك في عام ١٧٥٦ ، وكان الحافز على القيام بها والدماغ المفكر من ورائها هو أحد العلماء الالمان المتخصصين بالدراسات اللاهوتية وهو

ميخائيليس[١٥] (١٧١٧-١٧٩١) أحد الاساتذة في جامعة (گوتنگن) ٠

بعث ميخائيليس برسالة خاصة الى وزير خارجية الدنمرك (برنشتروف J.H.E. Bernstroff ، وكانت الدنمرك يومئذ من الدول ذوات المركز المرموق في أوربا وكان لها بعض المستعمرات في الشـرق مثل (ترانكبار Trankbar) ، فعرض عليه برسالته فكرة راودت مخيلته وشغلت ذهنـه طويلا ، وتتلخص هذه الفكرة بارسال بعثة تجوب أنحاء الشرق وجنوب الجزيرة العربية ٠ ولما كانت للدنمرك بعض المستعمرات في بلاد الشرق فانها كانت ترسل ـ بانتظام ـ البعوث والموظفين للوقوف على أحوال تلك المستعمرات وتفقد شؤونها ٠ فرأى ميخائيليس ان الفرصة مواتية للاستفادة من ذلك بايفاد بعثة تعرج على جنوبي الجزيرة العربية لاكتشاف مجاهيلها والوقوف على أحوالها ٠

وهنا لابد لنا وأن ننوه بايجاز بالدوافع الحقيقية التي دفعت ميخائيليس لتبني هذه الفكرة ويعمل لها بحماس يستثير التساؤل والاستغراب !

* * *

كما تبين لنا ن ميخائيليس استاذ في جامعة كوتنكن الواقعة في مقاطعـة هانوفر بالمانيا ،وكانت بين هذه المقاطعة وانكلترا روابط شخصية وثقافية وعقائدية ! ومن المعلوم انه نشأت في انكلترا مدرسة فلسفية جديدة برئاسة

---

(١٥) جوهان ديفيد ميخائيليس Michaelis (Johann David)
عالم الماني مختص بالدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس والامور اللغوية ٠ ولد في مدينة (هاله Halle) في ٢٧ فبراير (شباط) ١٧١٧ في عائلة أكثر أفرادها من العلماء الذي ضربوا سهما وافرا في دراسات الكتاب المقدس ٠

بدأ ميخائيليس حياته محاضرا في (هاله) ١٧٣٩ـ١٧٤٠ ولم يكن راضيا عن حياته ولم يشعر بالاطمئنان الكافي هناك ولم يجد الجو الذي يعبر فيه عن عقيدته الدينية ، ولسبب تمسكه بمبادىء الفلسفة العملية Empricism في وسط لم يقابل آراءه بما كان يتوقع ، مما اضطره الى قبول وظيفـة في كوتنكن Göttingen ٠ وفي عام ١٧٥٠ رقي الى درجة استاذ ولبث على ذلك حتى وفاته في ٢٢ يوليو (آب) ١٧٩١ ٠ وقد نشر العديد من البحوث والمقالات والمؤلفات ذكرت في دائرة المعارف البريطانية(Encyclopaedia Britannica) فلنراجعها من أراد الوقوف عليها ٠

الفيلسوف الانكليزي (جون لوك John Locke) ، فبعد أن كانت الفلسفة خلال فترة طويلة مرتبطة باللاهوت وسابحة في عالم الخيال ، مهدت هذه المدرسة الجديدة لظهور الفيلسوف الالماني (كانت Kant) ١٧٢٤ - ١٨٠٤ فكان ميخائيليس من معتنقي الفلسفة العملية Empricism وهي فلسفة لا تؤمن بمبادىء الفلسفة العقلية . وبذلك هجر ميخائيليس كافة النظريات القديمة الخاصة بالكتاب المقدس (الانجيل والتوراة) فكان من رأيه أن يخضع الكتاب المقدس للمناقشة العلمية والنقد المنطقي والتفسيرات اللغوية .

ولغرض تحقيق هذا الامر رأى من المفيد جدا ان السفر الى بلاد العرب - والارض المقدسة ! على وجه التخصيص - قد يوضح الكثير من المشاكل والصعوبات التي يلاقيها في دراساته التاريخية وتحقيقاته اللغوية الواردة في الكتاب المقدس ، يضاف الى ذلك الأهمية المتأتية عن دراسة جغرافية المنطقة وأحوال أهلها ونباتاتها وحيواناتها الى غير ذلك من الامور ، وكان يركز بصورة خاصة على دراسة أحوال سكانها العرب وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم وعمارتهم ، لان العرب هم كل ما بقي من الامم القديمة !! التي عاشت في هذه البقعة من العالم والتي جاء ذكرها في ثنايا الكتاب المقدس ، وكذلك بعض المدن والاماكن القديمة التي ظلت شاخصة تطاول الزمن . وكان يرى انها فرصة لا تقدر بثمن للقيام بتقصي أخبار المجتمعات الثقافية المماثلة لتلك التي قامت في فلسطين ؟! ثم ان البحث عنها ودراسة أحوالها أكثر جدوى وأعم فائدة من تلك التي تجرى في فلسطين نفسها بسبب تعرض الاخيرة الى الكثير من التأثيرات والحوادث الخارجية عبر العصور . بالاضافة الى ما تقدم كانت تستهوي ميخائيليس فكرة الوصول الى تعليل منطقي ومعقول لعملية الخروج Exodus (أي خروج اليهود من مصر الى الارض المقدسة) .

بعض هذه القضايا وغيرها كان ميخائيليس قد أوضحها برسالته الى برنشتروف .

* * *

وعلى هذا الاساس اقترح ميخائيليس ايفاد بعثة أو أشخاص الى بلاد

العرب ـ ضمن من يوفد الى (ترانكبار) ـ وذلك لأغراض التدريب والتمرين ، على أن تخصص حكومة الدنمرك زمالة لمدة ثلاث سنوات لطالبين من طلاب جامعة (گوتنگن) للتدريب على أعمال البعثة المقترحة ، وبعد اتصالات ومداولات وافقت حكومة الدنمرك على تشكيل البعثة برئاسة (فون هافن) الى أن آل الأمر الى الوضع الذي مر بنا •

٨ ـ أهمية رحلة نيبور

تعتبر رحلة نيبور أو « البعثة الدنمركية الى بلاد العرب » كما اطلق عليها في حينه ، بلا ريب من أهم الرحلات ومن أقدمها وهي أول بعثة أوربية تؤلف على نطاق واسع اذ ضمت عددا من المتخصصين بمختلف فروع المعرفة ، وقد اقترنت بدراسات واسعة في شتى المضامير حتى شاع خبرها في جميع الاوساط العلمية والثقافية في أوربا • ويمكن تلخيص اهمية الرحلة بما يلي :

١ ـ أخذت الجامعات والمعاهد والاساتذة يتسابقون فيما بينهم على الاتصال بالبعثة أو يبعثون برسائلهم واستفساراتهم اليها لغرض الحصول على الاجوبة الشافية ، فقد أرسل ميخائيليس نفسه ما ينوف على المئة سؤال حول مختلف الشؤون المتصلة بعمله ، وعندما وصلت البعثة الى اسطنبول في ٣٠ـ٧ـ١٧٦١ تسلمت من فون گاهلر عددا كبيرا من الرسائل التي بعث بها المعاهد والجامعات والاساتذة كل يستفسر عن الامور التي تخصه وتزيد من معارفه عن بلاد المشرق، وكان نيبور يبعث بالرسائل وبصورة منتظمة الى برنشتروف الذي كان على اتصال دائم مع ميخائيليس ليقوم الاخير بتوزيعها على الاساتذة والعلماء والباحثين• وقد أدت البعثة واجبها في هذا الميدان بكل أمانة ودقة •

٢ ـ قامت البعثة بعملية مسح عام للبقاع التي زارتها فذكرت المدن الشاخصة والمندرسة وتولت رسم العديد من الخوارط ، فكانت تلك الخوارط

ثروة عظيمة أمدتنا بمعلومات جغرافية وبلدانيـــة على قدر عظيم من الفائدة فقد رسم نيبور أول خارطة للبحر الاحمر بقيت معتمدةومعتبرة حتى الآونة الاخـيرة وكذلك خارطة لبــلاد اليمن وكذلك الحال للعديد من المدن مثل صنعاء ، برسيبوليس ، البصرة وبغداد والموصل والنجف والقـــدس ودمشق وخرائب طروادة في الاناضول وغير ذلك •

٣ ـ قام نيبور باستكشافات أثرية في بلاد الشـــرق الادنى فخلد له اسما محمودا ولا سيما في أبحاثه التي أجراها في الجزيرة العربية ، ونجد هذه الرحالة أنه أصبح في عام **١٧٦٥** أول رجـل يختلف عمن سبقه من الرحالة والهواة في اهتمامه بالكتابات المسمارية وبادر الى استنساخها بصورة مضبوطة ، فجاءت مستنسخاته أقرب من غـــيره تشـابهاً مع النصوص الاصلية • وعند عودته الى المانيا جلب معه نماذج من تلك الكتابات المسمارية ، وحين قام بنشر ما استنسخه من تلك الكتابات عام **١٧٨٨** تهافت العلماء على دراستها وحل رموزها وتقديم معلومات أساسية عن مقاطعهـا واشاراتها ، وبذلك ساعد نيبور على حل رموز هذه الكتابة التي كانت معرفتها فتحاً كبيراً في علم التاريخ والآثار •

٤ ـ لم تقتصر أعمال أعضاء البعثة على تدوين المعلومات وتسجيلها ، بل تعدت هذا النطاق ، فكانت البعثة تبعث بنماذج من مختلف المواد المعدنية والنباتية الى العلماء والمختبرات في الجامعات الاوربية لدراستها وتحليلها فقد بعثت من اليمن بنماذج من الحبوب الى عدد من العلماء في كل من فرنسـا وانكلترا والمانيــا والدنمرك وغيرها من الدول • كما تعتبر ما حققته البعثة من رسوم الحيوانات والنبات والاحياء المائية ثروة علمية للباحثين والمتتبعين •

٥ ـ جمعت مقدار كبيرا من المخطوطات النادرة من الاقطــار التي مرت البعثة بها •

٦ ــ أمدتنا البعثة بمعلومات جغرافية وتاريخية وافية عن الاصقاع التي جالت فيها ورسمت صورة صادقة ودقيقة لعاداتها وتقاليدها وأزيائها وغير ذلك من الامور ، كانت في الواقع ذخيرة لا يستغنى عنها •

٩ ــ ترجمة الرحلة

بعد عودته الى بلاده عكف على كتابة مذكراته ونشر مدوناته وقد نشر أول كتبه بالالمانية «صفة جزيرة العرب» وطبع في كوبنهاگن **١٧٧٢** ونشرت لها ترجمة بالانكليزية نشرت في بومبي عام **١٨٨٩** وقبل ذلك نشرت لها ترجمة بالافرنسية طبعت في امستردام عام**٧٤ــ١٧٧٦** وهناك كتب اخرى[١٦] لنيبور ترجم بعضها الى اللغات الاوربية • وبالرغم عن أهمية هذه الرحلة

---

(١٦) فيما يلي كشف باهم أعمال نيبور :

١ ــ نشر كتاب صفة جزيرة العرب بالالمانية وطبعه في كوبنهاگن عام ١٧٧٢ بعنوان : Beschreibung von Arabien (Copenhagen. 1772

وقد تولى ترجمته الى الانكليزية المستر سيلي وقد طبع فيبومبي ١٨٨٩ بعنوان :
C.W.H. Sealy, *Description of Arabia* (Bombay 1889).

٢ ــ نشر بالالمانية كتابا بمجلدين بعنوان « أسفار الى بلاد العرب » طبع في كوبنهاگن عام ١٧٧٤ــ٧٨ بعنوان :
Reisebeschreibung nach Arabien and Anderen Umliegenden Ländern, 2 vols (Copenhagen 1774-78).

وقد لخصه بالانكليزية المستر ر• هيرون ونشر في مجلدين في ادنبره عام **١٧٩٢** بعنوان :
R. Heron, *Travels in Arabia*, 2 vols. (Edinburgh 1792).

٣ ــ وقد الحق بالكتاب مار الذكر بعض مذكراته عن رحلته الى سورية وفلسطين ونشر بعنوان :
Reisen durch Syrien und Palestina (Hamburg 1837).

= يتبع

وعظمة منزلتها بين الرحلات فانها لم تترجم ترجمة كاملة الى اللغة العربية وانما ترجم منها أقسام تتعلق بالعراق[17] وأهم ما ترجم منها ما يلي :

١ ـ نشر المترجم الدكتور محمود الامين فصلا ممتعاً من الرحلة نشرها في مجلة سومر ٩ (١٩٥١) ص ٢٥٠-٢٨٠ بعنوان : رحلة نيبور في العراق في القرن الثامن عشر .

٢ ـ وقد تولى الاستاذ سعاد هادي العمري ترجمة بعض أقسام من الرحلة عن أصلها الالماني نشرها بكراس يقع في (٧٢ صفحة) عام ١٩٥٤ بعنوان « رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر » (دار المعرفة ١٣٧٢هـ-١٩٥٤م)وأعقبه فيسنة١٩٥٥ بكراس اخربعنوان «مشاهدات نيبور في رحلة من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥ » . (من مطبوعات دار المعرفة بغداد ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م) . ولا يفوتنا أن نذكر ان الاستاذ سعاد العمري نشر مقتبسات مما كتبه نيبور عن بغداد ضمن كتابه : « بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الأخيرة (بغداد ١٩٥٤) .

---

(١٧) مجلة الاقلام ، الجزء الاول ، المجلد الاول (١٩٦٤) ص ٥٩ ـ ٦٠

= تابع لما قبله

٤ ـ نشر كتب زميله بيتر فورسكال : أ ـ « صفة الحيوان » وطبع في كوبنهاگن عام ١٧٧٥ بعنوان :

P. Forskal's *Description Animalium* (Copenhagen 1775)

ب ـ كتاب عن نباتات مصر وجزيرة العرب :

Flora Aegyptiaco - Arabica (1775).

جـ ـ *Icones rerum naturalium* (1776).

٥ ـ نشر ولده بارتولد جورج نيبور Barthold Georg Niebuhr كتاباً تضمن حياة والده بقلمه بعنوان : Carsten Niebuhr Leben (Keil 1817) وقد ترجم الى الانكليزية عام ١٨٣٨ ونشر في سلسلة كتب « حياة الرجال الاكفاء » Lives of Eminent Persons بعنوان : Anonymous Life of Carsten Niebuhr (London 1838).

٣ ـ وقد علمت من استاذي الفاضـــل الدكتور مصطفى جواد انه يقوم بتعريب القسم الخاص ببغداد عن النسخة الافرنسية المطبوعة بأمستردام (هولندا) المشار اليهـــا سابقا لنشرها في مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار العامة •

وتعتبر ترجمة الدكتور محمود الامين عن بغداد وشمالي العراق أكمل ترجمة كما سيطلع عليها القارىء الكريم ، وقد طلب الي الصديق الدكتور الامين الذي يشغل الآن منصب استاذ الآثار ورئيس قسم التاريخ في كليـة الآداب بجامعة بغداد ـ وقد شاءت همته أن يتحف المكتبة العربية بهذا السفر النفيس ـ أن أراجـع الكتـاب وأقـدم له • والـواقـع أن الطرافـة التي امتازت بها هذه الرحلة والجوانب التاريخية والعلمية التي احتوتها هي التي شجعتني على القيام بهذا العمل ، فعسى أن أكون عند حسن ظن الصديق الفاضل والقاريء الكريم فاوفق الى اداء مهمة عسيرة كهذه • وقد ذيلت مطالعاتي وتعليقاتي بأوائل حروف اسمي ووضعتها بين عارضتين [س•أ] •

كما تصدينا الى وضع فهارس الكتاب ليسهل على المراجع والباحث والمتتبع تقصي الاخبار والوقوف على أسماء الاعلام والاماكن والبقاع بيسر تاركين أمر تدقيق وتصحيح ما فاتنا الى المحققين والمؤرخين الافاضل ، وفي الختام نرجو أن نكون قد أدينا ما علينا من واجب والله من وراء القصد •

سالم الآلوسي

بغداد في ١٠ ربيع الاول ١٣٨٥
بغداد في ٩ تموز ١٩٦٥

مقدّمة المترجم

استهوتني – أثناء دراستي الجامعية لعلم الآثار في المانيا قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها – رحلة نيبور المدونة بالالمانية ، لما جاء فيها من معلومات بلدانية وتاريخية واثرية تعتبر ثروة عظيمة للعلماء والباحثين والمحققين • ففكرت في ترجمة ما يخص العراق من الرحلة ، وبالفعل تصديت الى ترجمة الفصل الخاص بمدينة الموصل ونشرته في مجلة سومر ، المجلد ٩ (١٩٥١) •

يحتوي القسم الخاص بالعراق من هذه الرحلة على ثلاثة فصول هي :

الفصل الاول : يتضمن وصف رحلة نيبور من البصرة الى بغداد •

الفصل الثاني : يحتوي على وصف الرحلة من بغداد الى الموصل •

الفصل الثالث : يتضمن وصف الموصل وشمالي العراق •

ولقد آثرت – في الوقت الحاضر – تأجيل نشر الفصل الاول الخاص بمدينة البصرة وجنوبي العراق ، بالرغم من اهميته التاريخية والاجتماعية والبلدانية ، الى فرصة سانحة اخرى ان شاء الله • وها انا ذا اضع الفصلين الثاني والثالث في متناول يد القاريء الكريم ، آملا ان اكون قد وفقت الى اضافة كتاب – كسب شهرة فائقة في ادب الرحلات – الى المكتبة العربية المفتقرة الى ما جاء فيه من الكشف عن صفحات مجهولة من تاريخ العراق في القرن الثامن عشر • والله ولي التوفيق •

الدكتور محمود حسين الامين

٢٢ ربيع الاول ١٣٨٥ للهجرة

بغداد في ٢١ تموز ١٩٦٥ للميلاد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



[نقلا عن كتاب بلاد اليمن السعيدة ، لهانسن]

الشكل ـ ١

ارتدى كارستن نيبور الملابس العربية التي أهداها اليه أمير صنعاء

الفصل الثاني

وصف مدينة بغداد واحوالها

وصف المشاهد والامكنة المذكورة في خارطة

بغداد كما رسمها نيبور عام ١٧٦٦ بحسب تسلسل ارقامها

١ ـ باب المعظم (أو باب السلطان) ٠

٢ ـ الباب الوسطاني ٠

٣ ـ باب الطلسم ٠

٤ ـ باب الظلمات (الباب الشرقي) ٠

٥ ـ صوقابي (باب الجسر) ٠

٦ ـ بطرية المدافع ٠

٧ ـ السراي (قصر الباشا) ٠

٨ ـ المدرسة المستنصرية ٠

٩ ـ منارة سوق الغزل ٠

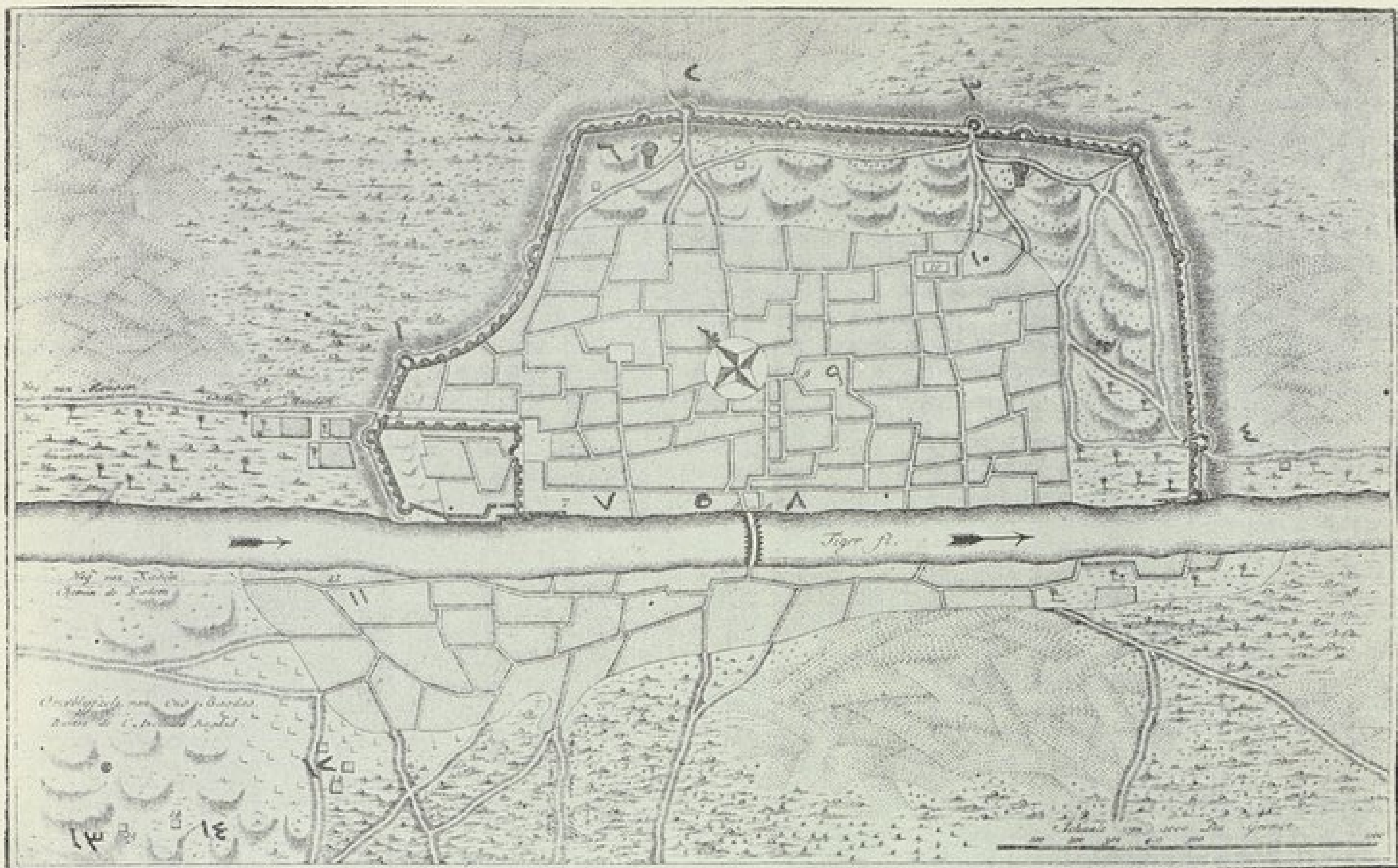
١٠ـ ضريح الشيخ عبدالقادر الجيلي (الگيلاني) ٠

١١ـ تكية البكتاشية ٠

١٢ـ مرقد الست زبيدة ٠

١٣ـ ضريح بهلول دانة ٠

١٤ـ قبر يوشع ٠



الشكل ـ ٢

خارطة مدينة بغداد كما رسمها كارستن نيبور ، سنة ١٧٦٦ (راجع التفاصيل في الصفحة المقابلة)

[عن النسخة الفرنسية لرحلة نيبور]

بغداد

خريف سنة ١٧٦٥ وشتاؤها حتى ٣ آذار ١٧٦٦

تقع مدينة بغداد في مقاطعة الخالص على درجة خط العرض ٣٣ درجة و٢٠ دقيقة على الضفة الشرقية من نهر دجلة وهي مقر ولاية باشا من الدرجة الاولى[١] . يحيط بها من جهة البر سور مبني بالقرميد (الطابوق) .

والقسم الاعظم من داخل المدينة مهدم وغير مسكون اما القسم المكتظ بالسكان فهو الذي يقع على نهر دجلة والقريب من سراي الباشا وتكثر فيه أغلب أسواق المدينة المهمة . ولذلك فان بغداد بالنسبة الى سائر مدن بلاد المشرق التي تكثر فيها الحدائق، مزدحمة بالسكان وشوارعها ضيقة وأسواقها الراقية المهمة مقببة . وفيها شوارع فرعية كثيرة تغلق مداخلها كل مساء على نحو ما هو موجود في القاهرة . ومعظم البيوت مبني بالطابوق وهي عالية نوعا ما ، ومازالت هذه البيوت تحتفظ بطابع فن البناء الاسلامي وتكاد واجهاتها المطلة على الازقة والشوارع تكون خالية من النوافذ ، فان وجدت فيها فانها لا ترى تقريبا . ويتوسط هذه البيوت رحبة صغيرة مربعة الشكل تشرف عليها احسن غرف الدار . والظاهر ان هذا الطراز من البناء في بلاد المشرق لا يتفق مع شدة حرارة الصيف التي يتذمر منها السكان . فاذا ما توسطت الشمس كبد السماء عند الظهيرة فان الغرف المحيطة بهذا الصحن المربع الشكل تنقلب الى أفران لا يمكن المكوث فيها ، وذلك لخلوها من المنافذ ووسائل التهوية الطبيعية . ولكي يدفع السكان عنهم غائلة الحر الشديد في ايام الصيف فانهم يبنون في كل بيت سرداب يقضون فيه معظم اوقات النهار . وهذا السرداب عبارة عن غرفة مقببة فيها مجرى للهواء[٢] ، يتكون من فتحة واسعة باتجاه الشمال لان الهواء يهب على بغداد في أحر ايام

---

(١) طريف أن يذكر نيبور ان بغداد تقع في مقاطعة الخالص ، في حين وهي مركز ولاية (باشلق) يجب أن تكون لها مقاطعة باسمها وربما كانت التقسيمات الادارية يومذاك هكذا . ويظهر من كلامه عن موقع بغداد ان الكرخ كان في أيام زيارته بغداد محلة صغيرة .

(المترجم)

تعليق :

كان النظام الاداري في العهد العثماني يقوم على تعيين الباشا من الدرجة الاولى الذي يكون بمرتبة الوزير على ولاية كبيرة مهمة مثل ولاية مصر او ولاية بغداد ويرمز اليه بثلاث طوغات ، والباشوية من الدرجة الثانية ويرمز اليها ب (طوغتين) تكون على الولايات او المقاطعات الاقل أهمية مثل ولاية شهرزور . أما الباشا من الدرجة الثالثة ويرمز اليه ب (بطوغة واحدة) فيعين على سنجق (لواء) (س٠أ) .

(٢) وهو ما يسمى في بغداد ب (البادكير) (س٠أ) .

الصيف من جهة الشمال كما هي الحالة في القاهرة وفي جزيرة (الخارج Charedsch ‏)(٣) والحرارة في فصل الشتاء لا تنخفض بالطبع في بغداد انخفاضا شديدا كما في بلادنا (المانيا) ولكننا رأينا في أوائل شهر شباط ، الجليد وكان سمكه نصف اصبع تقريبا ويعبر الناس عن موجة البرد هذه بانها حالة غير طبيعية ولذا تراهم يستغربون لاسيما وان أكثر من عشرين شخصا جمدوا من شدة البرد في بضع ليال · وهذا أمر متوقع حدوثه في ليالى الشتاء القارصة خاصة وان فقراء هذه البلاد عراة ويبيتون لياليهم في الازقة والشوارع ·

ولكي اتمكن من تقديم فكرة للقارىء عن سعة هذه المدينة وموقعها فقد رسمت لها مخططا يجده القاريء في (الشكل ــ ٢) · وفي بغداد ثلاث أبواب من جهة البر · فالباب الاول الذي يشير اليه رقم (١) في الخريطة ، يدعى باب المعظم(٤) وقد سمي بهذه التسمية نسبة الى الامام ابي حنيفة الذي يلقبه السنة بالاعظم أى المبجل ، ويبعد قبره عن هذا الباب مسيرة نصف ساعة · ثم الباب الوسطاني(٥) أو الباب الوسط وقد أشير اليه في المخطط برقم (٢) · ويشير رقم (٣) في المخطط الى برج ضخم يعرف بالطلسم(٦) وقد كان فيما مضى بابا من أهم أبواب المدينة · وعندما غزا السلطان مراد بغداد وانتزعها من ايدى الفرس كان هذا البــاب من جملة الموانع التى وقفت فى طريــق زحف قواته ولذلك فقد أمر بسده ولم يفتح منذ ذلك الحين(*) · ثم باب

(٣) جزيرة في خليج البصرة نزلها (نيبور) في طريقه الى البصرة ، حيث امضى فيها شهرين ، وتسمى بجزيرة خارك (Kharg) ايضا · (س·أ) ·

(٤) ويسمى كذلك باسم باب (سوق السلطان) وقد هدم ما تبقى منه عام ١٩٢٥ من قبل دائرة البلدية لغرض توسيع شارع الرشيد · وموضعه لصق قاعة الشعب · ولا زالت المنطقة تحمل اسم (باب المعظم) الى يومنا هذا (س·أ) ·

(٥) وكان يسمى بـ (باب الظفرية) نسبة الى الامير ظفر احد مماليك السلطان ارسلان شاه السلجوقي وقد شيد على عهد المسترشد عام ٥١١ هـ · (س·أ) ·

(٦) وكان يسمى بـ (باب الحلبة) عند الموضع الذى كانت تقام فيه حلبة السباق ، ومما يؤسف له ان هذه الباب الجميلة قد نسفها الاتراك العثمانيون بالبارود ليلة انسحابهم من بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ على أثر دخول القوات الانكليزية ، وكان العثمانيون قد اتخذوا منها مخزنا للعتاد الحربي فقاموا بنسفها خشية استيلاء القوات المحتلة عليها (س·أ) ·

(*) لقد استنسخت من هذا الاثر الكبير كتابة طويلة علمت منها ان باني هذا البرج هو الخليفة العباسي الناصر لدين‌الله وكان قد انتهى من بنائه في سنة ٦١٨ للهجرة (الموافقة ١٢٢١ ميلادية) · وهذا يدل على ان بغداد الحالية قديمة بقدم هذا التاريخ · وهذا نص الكتابة :

بسم الله الرحمن الرحيم واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم · أمر بعمارته سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة [على] كافة الانام أبو العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين خليفة رب العالمين وحجة الله عز وجل على الخلق اجمعين صلوات الله وسلامه على آله الطاهرين ولا زالت دعوة المدعي على تباع (هكذا استنسخها نيبور) الحق منازله والخلايق لها اتباعا وانصارا وطاعته المفترضة للمؤمنين اسماعا وابصارا وافق الفراغ منه سنة ثمان عشرة وستمائة · وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين » ·

قرولوق قابي[٧] ويشير رقم ٤ الى موضعه في المخطط · وعند الجسر باب يشير اليه رقم ٥ في المخطط يعرف بباب الجسر[٨] ·

وقد اقيمت على كل واحد من هذه القلاع او الابراج العشرة الضخمة التى يشاهدها المرء موزعة فى واجهات سور المدينة ، ستة مدافع او سبعة مدافع ولـكن أقل من نصفهـا مجهـز بالقنـابل · هـذا ولا تتناسـب سعة الابراج مع كثرة المدافع · وليست فى ابراج قرولوغ قاپي والطلسم والباب الوسطاني مدافع من النوع الضخم ولعل أحمد باشـا أمر بسحب بطريتين كبيرتين وابقاء بطريات في الموضع رقم (٦) · وبين الابراج الضخمة عدد غير قليل من الابراج الصغيرة ولكنها تستعمل للدفاع بالبنادق فقط · وفى السور من الداخل عدد كبير من الاقواس المزدوجة ــ مركبة على بعضها البعض وفيها مزاغل كثيرة تستعمل للرماية وللدفاع بالبنادق عن الخندق المحيط بالسور · ومن الجدير بالذكر ان السور ضعيف ولا يصلح للدفاع وليس فيه شيء من وسائل الدفاع والتقوية من الخـارج ، كما ان الخندق جاف خال من الماء فهو لا يقف امام هجوم قوات اوربية اذ من السهل عليها الاستيلاء على المدينة · ولكن بغداد بالنسبة الى مدن بلاد المشرق تعد قلعة حصينة جدا ، يتبين ذلك من ثباتها امام نادر شاه الذى ضرب عليها الحصار مرات عديدة من غير ان يتمكن من الاستيلاء عليها

وفي الزاوية الغربية من المدينة قلعة صغيرة تدعى ايچ قلعة[٩] وتستعمل الآن مستودعا لخزن البارود وليس لها فائدة أخرى غير هذا الذي ذكرناه · وتقيم في هذه القلعة قوات الينيچرية[*] · ويصعب على الاجنبي في اوربـة الدخول فى قلاع كهذه ، اما انا فلم اجد اقل صعوبة فى دخولها كمـا لم يتعرض لى احد خلال زيارتي اياها وتجوالى فيها بخلاف ابواب المدينة التى يوقفني عندهـــا جنود الينيچرية للتأكد من هويتي كلما اردت دخولهـــا اذ يقوم هؤلاء الجنود بحراسة هذه الابواب ليل نهار · والجنود الينيچرية الذين يقومون بحراسة هذه القلعـة ليس لهم عمل مجهد بـل على العكس فانهم مرتاحون وقلما يحملون السلاح او يتعرضون للمارة او يحققون مع الداخلين الى القلعة او الخارجين منها · وفى الايام التى يكون فيهـا الجو

---

(٧) قرهاولوق وتلفظ (قراكلق) ومعناها (باب الظلمات) (انظر العمري في ص ١٠) · ويسمى كذلك بباب كلواذي واطلق عليه مؤخرا « الباب الشرقي » ولا تزال البقعة التي كان يقوم الباب فيها تسمى بهذا الاسم · وعند احتلال الانكليز بغداد حولت هذه الباب الى كنيسة خاصة بالحامية البريطانية سميت بكنيسة (سنت جورج) أي القديس جورج ، وقد هدمتها امانة العاصمة لغرض توسيع الشارع وكان البدء بالهدم في ١٣ ايار ١٩٣٧ (س١٠أ) ·

(٨) ويسمى كذلك « صوقابي » أي باب الشط (س١٠أ) ·

(٩) كلمة تركية تعني « القلعة الداخلية » ويقصد بذلك وزارة الدفاع الحالية وبناية القصر العباسي المتخذ الان متحفا للاثار الاسلامية (س١٠أ) ·

(*) الينكيشري وتكتب احيانا الكشاري وتلفظ يني شري بمعنى (النظام الجديد) وقد فضلنا كتابتها بـ (ينيچري) كما تلفظ حيث ذكرت في الكتاب « س١٠أ » ·

ورديا يجلسون في غرفة الحراسة أو يلعبون النرد (الطاولي) • وصفوة القول فانهم يمرحون ويسرحون كيفما يشاؤون ولا يهتمون بما يجري حولهم حتى وان وقعت اضطرابات في الشوارع او اختل النظام •

ويقع السراي (قصرالباشا) أمامالقلعة على نهردجلة في الموقع الذي يشير اليه رقم (٧) في المخطط • وهو واسع جدا ويحتوي على بنايات كثيرة ولكن معظمها متهدم ويشير رقم (٨) في المخطط الى بناية المدرسة المستنصرية التي كانت منار اعجاب الكتاب والمؤرخين العرب[١٠] • ولكن هذه البناية لم تعد تستعمل اليوم مسكنا للعلماء ومركزا للتعليم وقد اصبح مطبخ الطلاب والعلماء الذين كانوا يسكنون ويقيمون في الجناح التابع لهذه المدرسة ، دارا للكمرك كما أن القسم الباقي من هذا المعهد وهو القسم الاكبر صار خانا ينزلفيه أصحاب القوافل ويسميه الناس أوت ميداني خان[١١] وجميعابنيته متهدم • وبامتداد واجهة البناية الواقعة على نهر دجلة كتابة طويلة يستدل منها ان الخليفة المستنصر كان قد شيد هذه البناية في سنة ٦٣٠ للهجرة (١٢٣٢ ـ ميلادية) • ولقد حاولت عبثا استنساخ الكتابة من فوق الجسر وذلك لكثرة الناس المارين فوقه ومخافة ان اجلب انتباههم واسترعى فضولهم لهذا طلبت من احد الملالي استنساخها • وقد قارنت هذه الكتابة مع الاصل ودونتها في أدناه[١٢] •

وقد قام المستنصر بعد مضى ثلاث سنوات على هذا التاريخ بتشييدجامع كان اية فى الفن والجمال وذلك فى المحلة المعروفة بمحلة سوق الغزل الذى يشير الى محله (رقم ٩) فى مخطط بغداد ، ولكنه لم يبق منه سوى منارته وواجهة سوره الذى يحتوى على مدخلين جميلين اتخذ احدهما قهوة قذرة حقيرة • وقد شاهدت على هذا الباب كتابة تشير الى بانى هذا الجامع وهذا نصها[١] : « **أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أعلى الله تعالى معالم الاسلام بهمته العلية وأزهى (الاصح : وارسى) دعايم الايمان باياله وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستماية** »[١٣] •

---

(١٠) راجع : Semmlers Uelersetzung der Algemeinen Welthi-storie der neuern Zeiten 2 ter theil s. 71.

(١١) يتضح من قول نيبور ان بعض مرافق المدرسة المستنصرية اتخذ لبيع العشب (الحشائش) الى القوافل النازلة ، فكلمة (اوت) تركية معناها العشب وهو ما يقدم كعلف للحيوانات (س٠ا) •

(١٢) قد أمر بانشاء هذه المدرسة الشريفة لطلاب العلم وتسمى المدرسة العظماء (هكذا وردت في النص) دولة العز واسعد الخلايق المحجة البيضاء عبدالله وخليفته في أرضه الخليفة أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين امتع الله المسلمين باعزاز سلطانه وأيد دولته بطول حياته وذلك سنة ستماية وثلاثين (كذا) •

(١٣) لم يشيد الخليفة المستنصر جامع سوق الغزل كما ذكر الرحالة ، بل ان الذي بناه هو الخليفة المكتفي في أواخر القرن الثالث للهجرة وكان يعرف بجامع القصر او جامع الخليفة أو جامع الخلفاء ، والكتابة التي ذكرها نيبور تشير الى قيام الخليفة المستنصر بترميم وصيانة باب الجامع ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة

يتبع =

اما المدرسة القائمة اليوم والتي تعد المدرسة الرئيسة في بغداد فقد شيدها مرجان في سنة ٧٥٨ هجرية واوقفها لتدريس العلوم الدينية للمذهبين الحنفي والشافعي . كذلك قام مرجان الذي نحن بصدده بتشييد جامع كبير ومبان عامة أخرى(١٤) . ويعتقد الناس ان مرجان كان يعرف علم الكيمياء ، أي انه كان يعرف صناعة الذهب . على ان مرجان كان من الشخصيات البارزة في تاريخ بغداد . فقد كان يتقلد الولاية على بغداد في أثناء غياب سيده عنها سنوات عديدة ولذا فانه كان من الواضح ان يملك السلطان والمال وان يكون ثريا يوقف عددا كبيرا من الابنية والعمارات . والكتابة التي ادونها هنا قد نقلتها بمساعدة احد الملالي عن الكتابة المدونة على هذه المدرسة المذكورة . الا انه يجب ملاحظته بانني لم استطع مقارنة الكتابة مع النص الاصلي ، فقد كان في هذا المكان دائما كثير من الاولاد والصغار الذين خشيت ان يلحقني منهم أذى اذا ما قمت بمقارنة الكتابة مع الاصل(١٥) .

ورأيت علي خان أو كروان سراي والذي يدعوه الناس هنا چغال(١٦) وكان قد بني في سنة ٩٩٩هـ الموافقة سنة ١٥٩٠م في زمن حكم السلطان مراد على نفقة سنان باشا ، كتابة تركية مطولة وتحتها بضعة اسطر باللغة العربية وقد استنسخت الاخيرة .

عمر هذا الخانمان وما فيه من البنيان في أيام دولة السلطان ابن السلطان السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه وافاض على كافة العالمين عدله واحسانه سنة ٩٩٩ هـ .

وفي بغداد تكية يسكنها عدد من الدراويش المنتمين الى طرق مختلفة كالقادرية والبكتاشية والمولوية والرفاعية والنقشبندية والقلندرية

في المئة السابعة المنسوب خطأ لابن الفوطي الذي حققه الاستاذ الفاضل الدكتور مصطفى جواد في ص ١٠٣ وذلك في وقائع سنة خمس وثلاثين وستماية « .. وفي آخر شعبان انتهى من عمارة جامع القصر فيما يلي الرحبة وفتح وفتحت المزملة التي عملت في الجامع المذكور أيضا » .. وجاء في دليل خارطة بغداد للاستاذين مصطفى جواد وأحمد سوسة ما يؤيد ذلك (ص ١٨٣) (س . أ) .

(١٤) لم يشيد مرجان جامعا بل شيد خانا (تيما) أوقفه على مدرسته وذلك عام ٧٦٠ هـ (وهو الخان المعروف بخان مرجان أو خان الاورتمة) (س.أ) .

(١٥) بسم الله الرحمن الرحيم ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم أوقف هذه المدرسة الشريفة على طلاب العلم على الامام الاعظم محمد ابن ادريس الشافعي المطلبي والامام الاقدم نعمان ابن ثابت الكوفي هذه وقفت المدرسة دار الشفاء المولي الامير الصاحب الاعظم ملك اعاظم الامراء في العالم مشير السلاطين مرشد الخواقين مشيد قواعد الخيرات باني مباني المبرات المفتقر الى مغفرة الملك المنان مرجان ابن عبدالله ابن عبدالرحمن السلطاني الاولجاني تقبل الله منه في الدارين طاعته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم وذلك سنة ٧٥٨هـ .

(١٦) نسبة الى جغالة زاده سنان باشا والي بغداد ٩٩٥ ـ ٩٩٨ هـ (١٥٨٦ ـ ١٥٨٩ م) ويطلق عليه العامة (خان جغان) (س.أ) .

والشاكرية٠ والتكية الخاصة باصحاب الطريقة الاخيرة أي الشاكرية(*) عبارة عن ماوى لفقراء الهنود المسلمين الذين قدموا حاجين الى هذه الديار ٠

ومؤسس الطريقة القادرية هو عبدالقادر، الشيخ المعروف من كيلان (جيلان) وكان قد ولد سنة ٥٦٠هـ(١٧) وعاش بالرغم مما يدعيه اتباعه احدى وتسعين سنة ويقع ضريحه في بغداد وقد أشير برقم (١٠) الى موضعه في الشكل المرقم (٢) وهو مدفون تحت قبة كبيرة٠ والتكية الخاصة به تحتوي على أروقة وغرف عديدة تكفي لايواء أكثر من ثلاثمئة شخص كما ان عددا كبيرا من البيوت ملحق بها ويسكنها مجانا اتباع هذه الطريقة والوافدين عليه من الزائرين المسلمين ٠

ان لهذه التكية التي تقع على مسافة بعيدة من دجلة مجرى خاصا يجلب لها الماء من النهر ٠

ولما ذهبت لزيارة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ومشاهدة قبته وزيارة قبره والتمتع بما احتواه هذا الجامع من الفنون ، وللاطلاع على طرق معيشة القائمين بادارته وأحوالهم ، لم اجد قبة هذا الجامع بالسعة التي وصفت لي(١٨) فهي تقل حجما عن قبة قصر العيني ـ التكية التي تقع على النيل قريبا من القاهرة ٠

وبينما كنت أتطلع الى داخل الجامع واتفرج على الناس القائمين والقاعدين في صحنه ، أتاني احد الدراويش فسلم علي بكل لطف وأدب ودعاني للدخول في غرفته ٠ وبعد ان جلسنا وتحدثنا قص علي القصة التالية عن خوارق أعمال شيخه العظيم ٠ فقال :ـ عندما كان الشيخ عبدالقادر جالسا على كرسي الوعظ يتكلم الى الجموع الغفيرة ويعظهم سكت فجاة ومسك بفرد قبقابه ورماه على الحائط٠ فاختفى القبقاب على الفور ، وبعد بضعة دقائق أخذ القبقاب الآخر (الفردة الثانية) ورماه على الحائط أيضا فاختفى القبقاب الثاني على الفور أيضا ، فلم يفهم الحاضرون مغزى هذا العمل كما لم يستطع احد ادراك سر هذه العملية وما حل بالقبقاب وبقوا مذهولين واجمين ٠

اما السبب الدافع الى ان يضرب الشيخ عبدالقادر الكيلاني ـ قدس

(*) من المرجح ان يكون المقصود بـ (الشاكرية) الشاكان (س٠أ) ٠

(١٧) من المعلوم ان وفاة الشيخ عبدالقادر الجيلي كانت سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) فما ذكره نيبور السنة التي سبقت وفاته (س٠أ) ٠

(١٨) تعتبر أكبر قبة مشيدة من نوعها في العراق (س٠أ) ٠

الله سره ـ الحائط بقبقابه ، ذلك ان جماعة من التجار كانوا في طريقهم الى بغداد لبيع بضائعهم ولزيارة الشيخ عبدالقادر والتبرك بـه فأعترضتهم جماعة من الاعراب وهاجمت قافلتهم وسلبت ما عندهم من أموال فأخـذ التجـار يستنجـدون بالشيخ العظيـم ويلوذون بدخالته ويستصرخـونه لمساعدتهم ، فاستجاب لهم ورماهم بقبقابه الذي طـار أمام اعين طـلابه ومريديه باتجاه الحائط فسقط على رأس أحد زعماء العصابة • واعتقد الاعراب في بادىء الامر ان القبقاب جاء من احد تجار القافلة فنزلوا عليهم ضربا مبرحا باشد قساوة وغلظة ولـكنهم رأوا على الفور ان قبقابا آخر خر على رأس شخص آخر من رؤساء الاعراب ، فانتبهوا على الفور الى ان شيخا عظيما يحرس هذه القافلة فأعادوا لاصحابها كل ما سلبوه منهـم وتركوهم يواصلون سفرهم بسلام • وبعد مرور أربعة أسابيع على هذه الحادثة وصل تجار القافلة الى بغداد جالبين معهم قبقاب الشيخ العظيم ويشكرونه على حمايته اياهم كما نشروا خبر هذه الـكرامة في كل مكان •

يتراوح عرض دجلة(١٩) في بغداد بين ستمائة قدم وستمائة وعشرين قدما وعليه جسر من القوارب رديء جدا يتكون من اربعة وثلاثين قاربا ربطت مع بعضهم البعض بثلاث سلاسل من الحديد • وهذا الجسرصالح للاستعمال في الاحوال الجوية الهادئة وعندما يكون الطقس خاليا منالعواصف والزوابع• ولكنه يكون غير أمين حين يفيض النهر وتحدث العواصف • فاذا فاض النهر فجاة ولم يسارع القائمون بحراسة الجسر ، الى فك السلاسل في أحد جانبي النهر فورا فانها تنقطع ويجرف تيار الماء القوي الجسر معه كما حدث مثل هذا في شهر كانون الثاني سنة ١٧٦٦م عندما هبت رياح قوية من الجنوب الشرقي على المدينة •

اعتدل المناخ في بغداد في بداية هذا الشهر وارتفعت درجة الحرارة عن المستوى الطبيعي فذابت الثلوج في الجبال واخذت مياهها تنصب في دجلة فارتفع مستوى ماء النهر في أواسط كانون الثاني ارتفاعا كبيرا الى درجة انقطعت فيها السلاسل الحديدية وجرف الماء الجسر والقوارب معـه كما غرقت اعداد كبيرة من الماشية وهرع الناس الى القوارب للنجاة بأرواحهم • ثم واصل النهر ارتفاعه عدة أيام أخرى بحيث فاض ماؤه على جوانبه وفي الايام التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين من شهر كانون الثاني أصبحت جميع الاراضي المحيطة ببغداد تحت الماء ولـكن مستواه أخذ يهبط قليلا في اليوم العشرين من الشهر وواصل هبوطه ولم يعد الى الارتفاع

(١٩) والطريف ان نيبور يسمى دجلة (Tiger) أي النمر (المترجم) •

ثانية الا في أواسط شهر آذار وأصبح في حالة تدعو الى الخطر . ثم بدأ بعد هذا التاريخ يفيض مرة أخرى ويهدد الموصل وبغداد بخطر فيضانه ، ذلك لان الثلوج المتراكمة فوق أعالي الجبال أخذت تذوب مرة أخرى . ان الفارق بين مستوى انخفاض النهر في الاوقات العادية واقصى مستويات ارتفاعه في أوقات الفيضان هو عشرون قدما تقريبا .

لم أتمكن من زيارة ضواحي بغداد والمناطق المحيطة بها ولا سيما تلك التي تقع في الجانب الغربي من دجلة لانها كانت في أثناء زيارتي لمدينة بغداد تحت الماء وذلك لانخفاضها كثيرا عن مستوى المدينة فاكتفيت بالاشارة اليها فقط . فقد وجدت في ضواحي المدينة الغربية كثيرا من البساتين الخالية من السكنى تقريبا . وتقع النهاية الشمالية لهذا القسم من بغداد على مكان بغداد القديمة[٢٠] ولا شك ، والتي تمتد الى مرقد موسى الكاظم حيث يجد الزائر فيها آثارا لمباني قديمة من العصر العباسي ، ثم مساجد وقبورا لعدد كثير من مشاهير المسلمين الذين عاشوا في بغداد ودفنوا في هذا المكان .

ويجد القارىء في المكان المؤشر برقم (١١) في مخطط بغداد تكية لدراويش الطريقة البكتاشية وهي بناية قديمة مرتفعة وفي اعلى مدخلها كتابة قد تخربت كثيرا ولكن تظهر فيها الكتابة التالية بوضوح بعض الشيء[٢١] .

ولعل قليج ارصلان ابن الملك مسعود السلجوقي هو الذي بنى هذه التكية سنة ٥٨٤هـ الموافقة سنة ١٠٨٨م[٢٢] وفوق المدخل كتابة لاحدى سور القرآن الكريم تحيط بالبناية كلها ، وقد كتبت بحروف كبيرة بالخط الكوفي الجميل وبقطع من الطابوق . وقد عفى الزمن على معالم هذه الكتابة وتآكلت أيضا . ولا عجب في ذلك اذ لا ينتظر ان تبقى كتابة بحروف من الطين المشوي غير مخربة مدة ستمائة سنة . ولكي اقدم للقارىء

---

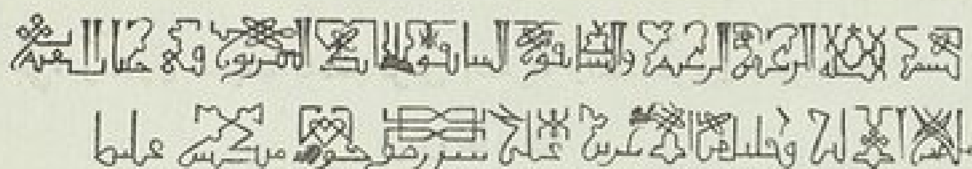
(٢٠) يقصد نيبور بغداد المدورة « مدينة السلام » التي انشأها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عام ١٤٥ هـ — ٧٦٢ م (س٠١) .

(٢١) الملك العادل قلج ارصلان ابن الملك مسعود ابن العدل قلج ارصلان من طائفة سلجوق وذلك في سنة اربع وثمانين وخمسمائة . (هكذا نقلها نيبور) .

تعليق : الصحيح هو ان الرباط المشار اليه بناه الخليفة العباسي الناصر لدين الله باسم زوجه سلجوقي خاتون بنت الملك قليج ارسلان . (انظر سومر ١٠ (١٩٥٤) ص٢٣٤) . (س١٠)

(٢٢) نسبها (نيبور) خطأ الى والد سلجوقي خاتون : قليج ارسلان الثاني السلجوقي لعفاء اسم السيدة المذكورة وبقاء اسم والدها . والصحيح هو (سلجوقي خاتون بنت الملك العادل ..) (انظر دليل خارطة بغداد للاستاذين الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ، ص ١٦٩) (س١٠) .

نموذجا من هذا الخط ومما يحتويه من الزخارف البارزة والمتداخلة في بعضها البعض ، فقد استنسخت مقدمتها فقط والتي هي أقل تشويها من البقية ودونتها فيما يلي :



الشكل ـ ٣ هـ

نموذج من الكتابة الكوفية المحفورة على الآجر كما استنسخها نيبور من التكية البكتاشية ببغداد . وفيما يلي نذكر نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها (متقابلين)[٢٣].

(ان العرب في الوقت الحاضر يكتبونها بهذه الطريقة لو طلب اليهم كتابتها) .

ان هذا النوع من الكتابة له تشابه كبير مع الكتابة التي استنسختها في اليمن والمنشورة في اللوحة التاسعة في القسم الخاص بوصف الجزيرة العربية . يستنتج من هذا ان العرب في أزمانهم الغابرة عندما كان العلم مزدهرا تحت حكمهم تفننوا في كتابة حروف لغتهم الهجائية ايضا . ولو استمروا على طريقة كتابتهم هذه لوجد العلماء الغربيون صعوبات كثيرة في قراءة الكتب العربية ومخطوطاتها .

والكتابة التي وجدت على غطاء وعاء من الفخار عثر عليه في تخت كسرى والذي نشرت له صورة في كتاب «اسفار آيفز IVES REISEN » [٢٤] هي من هذا النوع وقد أكد الذين وجدوا هذا الاناء وقدموه للرحالة آيفز ان الكتابة التي عليه هي فارسية قديمة أو فرثية « پارثية » .

ان رقم (١٢) في المخطط المذكور يشير الى برج قديم صغير في

(٢٣) سورة الواقعة ١٠/٥٦ (س٠أ) .

(٢٤) هو الدكتور أدوارد ايفز كان طبيبا جراحا لدى شركة الهند الشرقية كتب رحلته وطبعها بلندن ١٧٧٣ (س٠أ) .

داخله قبر زبيدة ، السيدة التي اشتهرت في التاريخ العربي وهي زوجة الخليفة هارون الرشيد وكانت قد توفيت سنة ٢١٦هـ الموافقة لسنة سنة ٨٣١م٠ وفي سنة ١١٣١هـ الموافقة سنة ١٧١٨م دفن حسن باشا زوجته عائشة بنت مصطفى باشا بجانب ضريح السيدة زبيدة وكتب على قبرها في قطعة كبيرة من المرمر كتابة أرخ وفاتها ثم صلح البناء وقواه وأمر ببناء ملاجيء ومنازل عديدة للمسافرين الفقراء والمستطرقين الغرباء(٢٥) ٠

الى روحها الفاتحة

هذا قبر المرحومة المغفورة (كذا) الموفقة للخيرات الجارية ست زبيدة بنت جعفر بن منصور الدوانيقي وزوجة هارون الرشيد أحد خلفاء بني العباس توفيت سنة مائتين وست عشر ٠

الى روحها الفاتحة

هذا قبر المرحومة الصالحة العفيفة الساعية الى الافعال المرضية والاعمال اللاتي تستجلب المرضات الالهية عايشة خانم بنت المرحوم مصطفى باشا مصاحب السلطان محمد خان عليه الرحمة والغفران وزوجة الدستور المكرم والوزير الافخم والي بغداد دار السلام أبو الخيرات (كذا) حسن باشا يسر الله له الخير كما يجب ويرضى ويشاء ، وتوفيت في شهر رمضان سبعة وعشرين ليلة القدر في سنة واحد وثلاثين وماية والف ٠

وعلى بعد يسير من هذا المكان رقم (١٣) في الشكل ـ ٢ يقع ضريح بهلول دانه احد اقرباء الخليفة هارون الرشيد ونديمه ومؤنسه ٠ وعن بهلول دانه كتاب كبير يحتوي على قصص وطرائف كثيرة كان يقص منها للرشيد ٠ ويترزق الفقراء من العلماء على هذا الكتاب بما يقراون منه كل مساء على الناس في المقاهي ٠ وقد كتب اسمه على قبره هذا بعد وفاته بزمن طويل ووضعت سنة ٥٠١هـ(٢٦) تاريخا لهذا القبر وسمي بسلطان المجذوبين ٠

هذا قبر سلطان المجذوبين والنفس المطمئنة (كذا) سنة خمسماية وواحد ٠

ويظهر من بعض الحكايات والاقاصيص التي تروى عن بهلول دانه ، انه كان ذكيا جدا ، وها انذا اقص بعض ما سمعته :

حدثت في زمانه مراهنة بين شخصين من أهالي بغداد ، تعهد احدهما ان يدفع للآخر مبلغا معينا من المال اذا هو عبر النهر سباحة ٠ وتمكن هذا

---

(٢٥) تشير جميع الدلائل التاريخية الموثوقة الى ان (زبيدة) زوج الرشيد دفنت في مقابر قريش (الكاظمية) ، بينما التي دفنت فيه هي زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة العباسي الناصر لدين الله وكانت توفيت سنة ٥٩٩ هـ ـ ١٢٠٢ م (س٠أ)٠

(٢٦) توفى الرشيد قبل هذا التاريخ باكثر من ثلاثة قرون (س٠أ) ٠

من عبور النهر بسلام ولكن والدته التي كانت تنتظره في الجانب الثاني من النهر اوقدت له نارا ليدفيء بها جسمه حال خروجه من النهر ، ففعل كذلك ولبس ثيابه فاحتدم الخصام بين الاثنين بسبب ما فعلته والدته • وادعى الشخص الذي خسر الرهان قائلا :ـ بانه اخل بالشرط وكان عليه ان لا يعتمد على مساعدة والدته • ثم اختصما لدى القاضي ولكن القاضي لم يحكم لهذا المسكين بالحق ، فافلس من الرهان الذي ربحه • وكان بهلول دانه قد اطلع على هذا الرهان وكان من بين الذين شهدوه من سكان بغداد ، فحزن لقرار القاضي المجحف ، فلما رجع الى قصر الخليفة أخذ قدرا ووضع فيه لحما وعلقه بسعف نخلة من نخيل القصر واضرم تحت النخلة نارا حامية • فضحك الخليفة وقهقه على سخافة بهلول دانه وطريقة طبخه اللحم • فاعترض بهلول دانه على الخليفة قائلا ولماذا لا يمكن طهي اللحم بهذه الطريقة في الوقت الذي استطاعت المرأة ان تدفيء ابنها أثناء سباحته النهر بنارها التي اوقدتها على الجانب الثاني من النهر • فلما استوضح الخليفة عن حقيقة هذه الحادثة التي لم يسمع بها ، استدعى اليه الشخصين المتنازعين وأمر الشخص الذي خسر الرهان ان يدفع للرجل الذي عبر النهر سباحة النقود التي تراهنا عليها •

وتقع بالقرب من قبر بهلول دانه بناية صغيرة متداعية (انظر رقم ١٤ في المخطط) فيها قبر شخص يدعى (يوشع) ويزار كثيرا من قبل اليهود •

وفي هذا المكان الحالي من العمران يقع مسجد صغير(*) ايضا وله برج صغير فيه ضريح العالم المشهور معروف الكرخي (ابو ظاهر) وكان هذا البناء الصغير قد شيد وفق التاريخ المدون عليه في سنة ٦١٢هـ الموافقة ١٢١٥ ميلادية •

ويقول المسلمون عن معروف الكرخي انه ولد من ابوين نصرانيين ولكنه كان يمتنع دائما ان يقول كالنصارى باسم الاب والابن وروح القدس وانما كان يقول بدلها بسم الله الرحمن الرحيم وبسبب ذلك فقد غضبت عليه امه فحبسته في سرداب معتم مدة اربعين يوما لا تقدم له الا الماء والخبز وبعد انقضاء مدة السجن وجدت ابنها في حالة جيدة وصحة أحسن من ذي قبل وبعد تمحيص وتدقيق وجدت في سجنه جميع ما قدمته له من الزاد والماء بحالته لم ينقص منه شيء • فتبادر الى ذهن الام ان روحا خبيثة (جان) تسيطر على ولدها فطردته من الدار • فالتجأ الى موسى الكاظم واصبح بعدئذ مسلما ومن اعاظم العلماء وهدى جميع أفراد اسرته الى الاسلام •

(*) هو المسجد المعروف في خطط بغداد (بمسجد الجنائز) ويعرف الآن بجامع الشيخ معروف الكرخي (س١٠) •

وفي مكان فسيح بين ضريح الست زبيدة والشيخ معروف حيث يجتمع فيه كبراء بغداد وذواتها مرة في الاسبوع للهو وممارسة الرماية ، كان مرتضى باشا القليجدار[٢٧] - أي حامل السيف عند السلطان - قد نصب في هذا المكان عمودين صغيرين (اسطوانتين) دلالة على بعد المسافة التي قذف بها سهمه[٢٨] . وبالقرب من احد هذين العمودين قبتان ولكنها جميعها ليست قديمة . فلو صح هذا الادعاء بان الباشا المذكور أستطاع ان يقطع بسهمه المسافة بين الاسطوانتين فمعنى ذلك انه كان يمتاز بقوة خارقة لان المسافة بين الاسطوانتين ستمائة خطوة مزدوجة (مضاعفة) أو الفان وسبعمائة قدم . على ان مرتضى باشا هذا كان واليا على بغداد وكان بلاشك قد أمر بنصب هذه الاساطين الحجرية بابعاد كبيرة ليفخر بقوته الخارقة .

ومثل هذا المكان وهذه النصب الحجرية موجود في حلب ، وقد طلبت الى خدمي ان يقيسوا المسافة بينها فتبين انها لا تبعد عن بعضها البعض أكثر من ثلاثمائة وخمس وعشرين خطوة مزدوجة . وهناك عدد كثير من هذه الاوتاد أيضا في آت ميدان ، وهو تل يقع خلف دار الاسلحة في استانبول . ومن الملاحظ ذكره ان رجالات القاهرة يزاولون التمارين والرماية بالقوس والسهام وقد وصفت ذلك وصورته في الجزء الاول ص ١١١ و١٦٩[*] .

تقع على مسافة ربع ساعة الى الشمال والشمال الغربي من بغداد وعلى الضفة الغربية من دجلة قرية الكاظم ويرى الزائر فيها الجامع الفخم (راجع الشكل ٤ ح) فيه قبران لامامين فارسيين[٢٩] موسى الكاظم (اي الصابر) وحفيده محمد الجواد اللذان مر ذكرهما في ص ٢٧٠ تحت موضوع « الفرق بين السنة والشيعة » . ويظهر انه كان لهذين الضريحين فيما مضى منزلة كبيرة لان القبتين كلتيهما والمنارة بنيت على طراز الهندسة المعمارية الفارسية وكسيت بالآجر الملون الذي أخذ يتداعى ويتساقط شيئا فشيئا . ولا يقوم هذا الجامع بنفسه او وحده كجامع مشهد علي ومشهد الحسين ، بل هو متصل من جهتين بالبيوت .

وكان موسى قد اعدم في سنة ١٨٥ للهجرة[٣٠] بامر من الخليفة لانه اتهم

---

(٢٧) ويسمى أيضا ب (السلحدار) وكان مرتضى باشا من الشخصيات الغريبة الاطوار . فقد عين واليا على بغداد في المرة الاولى ما بين ١٠٦١ - ١٠٦٣ هـ (١٦٥٠ - ١٦٥٢ م) وفي المرة الثانية ١٠٦٩ - ١٠٧٢ هـ بعد ان حكم دمشق وولاية ارضروم (راجع كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . للمستر لونكريك وترجمة الاستاذ جعفر الخياط . ط ٣ بغداد ١٩٦٣ . ص ٨٤ وما بعدها . ودليل خارطة بغداد . ص ٢٩٠ (س٠أ) .

(٢٨) وتسمى (غلوة السهم) اي أقصى ما تصل اليه رمية رامي السهام (س٠أ) .

(*) بالنسبة لكتابه باللغة الالمانية والذي نحن بصدده « صفة جزيرة العرب » .

المترجم

(٢٩-٣٠) لم يكن الامامان موسى الكاظم ومحمد الجواد فارسيين كما ذكر نيبور بل هما من السادة آل البيت . فقد دفن في هذا الموضع الامامان موسى الكاظم الذي مات مسموما عام ١٨٣ هـ ومحمد الجواد في ٢٢٠ هـ وكانت هذه المقبرة تعرف بمقبرة قريش (س٠أ) .

بتآمره وتعاونه مع العلويين على الدولة العباسية وكان قد جمع عددا كبيرا منهم في بيته · ولذلك فان الشيعة يرون فيه شهيدا ويقومون بزيارته كل سنة فيبكون ويولولون على قبره · وجميع سكان هذه القرية من الشيعة تقريبا · هذا ولما كان اصحاب هذه الطائفة لا يجوز لهم اقامة المآتم والتعازي واللطم في بغداد ، لذا فان الشيعة الساكنين في بغداد كانوا يذهبون الى هذا الجامع المقدس للقيام بهذه الطقوس الدينية · كما ان معظم شيعة هذه المنطقة يدفنون موتاهم في صحن موسى الكاظم لعدم تمكنهم من دفـــع النفقات لنقل موتاهم الى مشهد علي ·

تقع مدينة بغداد التي بناها الخليفة المنصور ، على الجانب الغربي من دجلة أي في هذه البقعة التي وصفناها والتي تقع في شمالي المدينة وهي منطقة موسى الـكاظم · وكانت على الضفة الشرقية القلعة أو ضاحية المدينة ولم يبق اليوم منها اثر يذكر ما خلا قرية المعظم التي تقع في الجهة المقابلة لموسى الـكاظم وتبعد مسافة نصف ساعة عن بغداد · وبقاء هذه الضاحية من بغداد القديمة يرجع الى وجود قبر ابي حنيفة فيها ·

كان أبو حنيفة من أعاظم العلماء المتعبدين الزهاد وكان له اتباع كثيرون لاسيما وانه صاحب مذهب الحنفية وكانت منزلته عندهم منزلة التقديس والتكريم وقد القاه الخليفة في السجن لانه تشكك وتردد في قبول منصب القاضي وبعد وفاته ازداد تقديس الناس له وعلت رفعته فلقب بالاعظم · وجميع السنة من الحنفية يسيرون على تعاليمه ومن ضمنهم أكثرية الاتراك وقد شيدوا على قبره قبة كبيرة فخمة ومنارة وبجانبه قلعة صغيرة واحاطوا الجامع بستة حصون حفروا حولها خندقا (٣١) ·

والشيعة لا يحبون ابا حنيفة ويكرهونه كراهية متناهية ولذلك فقد أهملت العناية بقبره وقبور مؤسسي المذاهب السنية الاخرى في زمن حكم الفرس لمدينة بغداد واخذت الاهانات توجه الى اتباعه واصبح الناس يخشون زيارته مما حركت مشاعر السلطان مراد الرابع فقاد في سنة ١٦٣٨م (١٠٤٨هـ) حملته العسكرية المشهورة بنفسه على بغداد وطرد الفرس منها · وتدور على السنة الناس في بغداد بمناسبة هذه الحملة الرواية التالية :ـ

« يقال ان احد علماء بغداد سافر الى القسطنطينية وطلب السماح له بالوعظ والقاء خطبة الجمعة في احد الجوامع الرئيسة التي يصلى فيهـا

---

(٣١) لم يبق لهذه التحصينات من أثر والظاهر ان احاطة المرقد بتحصينات تشبه القلاع كانت كاجراءات احتياطية للمحافظة على مشهد ابي حنيفة من التجاوزات التي كانت كثيرة الحدوث خلال الحروب العثمانية ـ الصفوية التي اتسمت بسمة الطائفية البغيضة · وما ورد من الفاظ غير لائقة مما ذكره الرحالة نيبور نذكره للمحافظة على النص الاصل (س·أ) ·

السلطان وقد سمح له بذلك ، خاصة وانه لم يفصح عن قصده . ولما اعتلى المنبر اخذ يتكلم عن الحالة المتردية التي حلت بالمسلمين ولاسيما بسكان بغداد والمعاملة الشائنة التي يلاقونها من الرافضة والاهانات التي يوجهونها لجامع الامام الاعظم وكيف انهم اخذوا يتغوطون في مسجده ويدنسون ضريحه بالقاذورات ، الى أن قال وانه لعار كبير على السلطان وعلى بيت آل عثمان الذين ينتمون الى مذهب ابي حنيفة ان لا يثأروا لامامهم ويحرروا السنة والمسلمين الاحناف من عبودية الروافض .

ويقع قبر الامام أحمد بن حنبل احد أئمة السنة الاربعة العظام بين الكاظم والمعظم وقد جرفه ماء نهر دجلة(٣٢) .

عقرقوف :

تقع عقرقوف على بعد ساعتين ونصف الساعة من غربي بغداد وهي عبارة عن برج عال كثير الشبه ببرج الحلة الذي مر وصفه في ص ٢٨٩ (من الكتاب)(*) ، ولكنه ليس مبنى بالآجر وانما باللبن المجفف بحرارة الشمس فقط . وبين كل ستة صفوف الى ثمانية صفوف من اللبن ، طبقة من القصب والبردي سمكها نحو اصبعين . وفي هذا البناء أو التل المسور بالجدران فتحات صغيرة افقية ربما كان لها علاقة بطراز البناء ولكن معظمها مسدود . ويبلغ ارتفاع هذا البرج نحو سبعين قدما ويتراآى القسم الشمالي من البرج عموديا ويظهر أنه كان في هذا المكان مدخل ولكنه عال جدا ، ولا يمكن الصعود اليه بلا مرقاة . اما في بقية الجهات حيث الطين قد جف بحرارة الشمس وتحول الى تراب فان قسما كبيرا من هذا البناء قد انهار وجرف بفعل الرياح بمرور الزمن ولكن المرء يلاحظ في كل مكان من هذا البناء ان القصب والبردي قد حافظ على هذا البناء من التداعي والانهيار وساعد على بقائه أكثر من اللبن المجفف .

ان كثيرا من الرحالين والسياح يعتقدون في برج عقرقوف انه البرج البابلي ولكن البرج البابلي كان يقع بكل تاكيد بالقرب من الفرات ، وعقرقوف لا يقع بعيدا عن دجلة ولذلك فانه لا يمكن الجزم بالضبط بحقيقة هذا البناء والغاية التي بني لاجلها . ولكن من المحتمل ان خليفة

---

(٣٢) دفن الامام احمد بن حنبل بمقبرة حرب الواقعة شمالي غربي الكاظمية الحالية واما القبر الواقع بين الاعظمية والكاظمية على الضفة الغربية لدجلة فكان لعبدالله بن احمد بن حنبل الذي دفن في القطيعة الزبيدية قرب دجلة ولما جرفت دجلة قبره عدوا ذلك زوالا لقبر أبيه . والظاهر ان قبره أزيل في أيام احتلال الصفويين للعراق بعد سنة ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٨ م (انظر : بغداد مدينة السلام . لمؤلفه ريجارد كوك وترجمة الاستاذين مصطفى جواد وفؤاد جميل . بغداد ١٩٦٢ ، ص ١١١ هامش (١٠) (س.آ) .

(*) من كتاب نيبور . وسينشر القسم الخاص بجنوب العراق من الرحلة بكتاب آخر . انظر مقدمة المترجم في صفحة ٢٥ من هذا الكتاب (س.آ) .

بغداد الاول او احد ملوك الفرس الذين اتخذوا المدائن مقرا لهم ، شيد هذا البناء مصيفا واقامه بهذا العلو لكي يتلذذ بنقاوة الهواء وبرودته ٠

وبالقرب من عقرقوف تلول كثيرة صغيرة ، عليها قطع كثيرة صغيرة متناثرة من كسرات الطابوق والفخار ، تدل دلالة واضحة على وجود بيوت في هذا المكان ولعلها بقايا بيوت وحدائق أو مدينة صغيرة قد تكون قسما من بغداد القديمة(٣٣) ٠

المدائن :

كانت فيما مضى مدينة كبيرة عامرة وبقيت مقرا لملوك الفرس سنوات عديدة بعد وفاة الرسول محمد (ص)، وتقع على دجلة على بعد اربع ساعات(٣٤) تقريبا من بغداد من جهتها الجنوبية الشرقية ٠ ولم يبق منها اليوم شيء ما خلا قسم من بلاطها الكبير يطلق عليه تخت كسرى أي قصر خسرو ٠ وهذا القصر مبني من الاجر والجص وليست عليه كتابة ، ولما كان قد تعذر علي الذهاب اليه وزيارته فانني لا اود ان اذكر عنه اكثر من هذا ٠ ولكن احد التجار الاوروپيين اكد لي انه قد قاس احد مداخل هذا القصر فوجد عرضها ٨٩ قدما وارتفاعها عاليا جدا يبلغ ١١٠ أقدام(٣٥) وعلى هذا الاساس فان البناء يجب ان يكون واسعا جدا(٣٦) ٠

---

(٣٣) عقرقوف ، هي التسمية المحلية التي تطلق اليوم على مدينة كوري كلزو (دور كوري كلزو) عاصمة الدولة الكاشية (١٥٣٠ ــ ١١٦٦٠ ق٠م) ٠ وهي الدولة التي خلفت دولة بابل الاولى في الحكم على وسط العراق وجنوبيه ولم يكن حكامها من سكنة العراق الاصليين أو من منابت الجزيرة العربية ، بل كانوا من القبائل الايرانية (كشو) التي وفدت على العراق بمرور الزمن واستقرت فيه ثم تعاونت مع الدولة الحثية على تقويض كيان الدولة البابلية ٠ ولكن طبيعة الشعب البابلي وثقافته تغلبتا على هذا العنصر الحاكم الغريب في الناحيتين الحضارية والدينية ٠ ولعبت الدولة الكاشية دورا مهما في سياسة الشرق الادنى القديم يومذاك في المنازعات التي كانت قائمة بين الحثيين والآشوريين والمصريين من أجل السيطرة على بلاد الهلال الخصيب ٠ ثم اشتهرت في العلاقات الثقافية والمراسلات بين بلاطات بابل وآشور والعمارنة وطيبة في بلاد وادي النيل ٠

اما بقايا البرج القائم الذي يعلو عن سطح الارض قرابة سبعة وخمسين مترا عن مستوى السهل فانه لب الزقورة او البرج المدرج لهذه المدينة الواسعة وكان الرحالون الاولون يتوهمون به فيحسبونه برج بابل ٠ وللاستزادة يرجى مراجعة : الكاشيون للمترجم الدكتور محمود الامين ١٩٦٣ (المراجع) ٠

(٣٤) الطريق بين المدائن (سلمان باك) وبغداد اصبح معبدا ويمكن للسيارة ان تقطعه باقل من ساعة ٠ (س ٠ أ) ٠

(٣٥) يبلغ ارتفاع عقادة الطاق عن مستوى تبليط الارضية سبعة وثلاثين مترا ٠ اما عرضه فيزيد على خمسة وعشرين مترا (س٠أ) ٠

(٣٦) نشر آيفز في كتابه « اسفار آيفز (Ives Reisen) » صورا لتخت كسرى وعقرقوف والصورة الاخيرة تظهر لي رفيعة جدا بالنسبة لعلو البناء ٠

(المؤلف)

وفي هذه المدينة المتروكة عدد من قبور صحابة رسول الله (ص) ومن بينهم الشخصية المعروفة في التاريخ العربي وهي سلمان باك وكثيرا ما يدعى سلمان الفارسي نسبة الى موطنه الاصلي ويقال انه ولد من أبوين ينتميان الى بيت رفيع الشان في بلاد فارس وانه كان يعبد النار وقد تنصر في سورية ولكن راهبا نصرانيا نصحه بالسفر الى الجزيرة العربية للتعرف والالتقاء بنبي عربي يسعى لاحياء دين ابراهيم واعادته • ولكي لا يعتقد سلمان الفارسي ان هذا الراهب يخادعه فقد اخبره الراهب ان النبي الصحيح هو الذي يحمل على كتفه ختما • ويقال ان النبي سمح لسلمان الفارسي برؤية الختم على ظهره • ويبدو ان الرسول (ص) كان يحاول ان يبقى امر هذا الختم سرا ويختلف كبار العلماء المسلمين في تعليل علاقة هذا الختم بالنبوة •

والمسلمون الذين تحدثت معهم في بغداد عن امر سلمان الفارسي ووجود قبره في المدائن لا يعرفون بالضبط عما اذا كان سلمان الفارسي واليا على المدائن او قاضيا عليها • ولكنه معروف لدى الناس انه كان حلاق الرسول (ص) ولذلك فهو امام الحلاقين المسلمين وحاميهم • ويذهب البغداديون في يوم معين من كل سنة الى المدائن لزيارة قبره وتوزيع الصدقات والهدايا على القائمين بادارة ضريحه[٣٧] ، ويقوم الناس بهذه المناسبة بزيارة ضريح حذيفة اليماني[٣٨] وعبدالله بن سلام[٣٩] اللذين كانا من أصحاب الرسول (ص) ايضا •

وفي بغداد عشرون جامعا لها منائر في اقل تقدير وعدد كبير من المساجد الخالية من المنائر • وفيها اثنان وعشرون خانا ، اربعة منها في الضواحي من بينها ستة خانات الى سبعة خانات كبيرة يسكنها التجار اما البقية فهي صغيرة • كما فيها حمامات كثيرة ومستشفى أو دار للعزل ذو غرف قذرة ، مظلمة يحجر فيها جميع المجذومين والمصابين بالامراض السارية •

---

(٣٧) راجع الجزء الاول من كتاب نيبور **صفة جزيرة العرب** ، ص ٤٤٠ • (المترجم) •

(٣٨) حذيفة بن اليمان هو الصحابي حذيفة بن جابر بن ربيعة ، سماه قومه باليماني نسبة الى اليمان • اسلم هو وأبوه وكان من الولاة الشجعان الفاتحين ، شهد معركة احد ، ثم تولى قيادة الجيش العربي في فتح بلاد العراق وبلاد فارس ، وفي سنة ٢٢هـ فتح همدان والري ودينور • ولاه الخليفة عمر المدائن ، وكان قبره على ضفة النهر ، وكاد النهر يتاتى عليه وعلى قبر عبدالله الانصاري فنقلت رفاتهما الى مسجد سلمان باك في الثلاثينيات (س•أ) •

(٣٩) من بين الصحابة الكرام عدد كبير من الانصار ، يسمون بعبدالله الانصاري • اما من حضر منهم فتح العراق فليس فيهم سوى واحد هو عبدالله بن قتادة بن النعمان الانصاري • وقد صحب النبي (ص) وشهد بيعة الرضوان والمشاهد بعدها ، ثم حضر فتح العراق • فجائز ان يكون هو صاحب القبر • اما عبدالله بن سلام فلم يرد ما يشير الى مجيئه العراق • (س•أ) •

ان أوسع المناطق التي تمتاز بخصب طبيعي والتي تقع في أنحاء البصرة وبغداد ، تشتهر بزراعة النخيل والرز والحبوب كما يكثر في اراضيها الملح • وكثير من منتوجات هذه المناطق تصدر الى الخارج كما ان تجارتها الخارجية مزدهرة لوقوعها بين الهند وايران وتركية • وقد دفعت القلاقل والاضطرابات الداخلية في بلاد فارس عددا كبيرا من الارمن الى النزوح الى بغداد والبصرة وضواحيها فانشأوا فيها المعامل للصناعات المختلفة • وكانت مدينة بغداد تشتهر في أيام الخلفاء بالعلوم والنشاط الثقافي ، اما اليوم فقد اهملت هذه الناحية واصبحت البلاد في جهل مطبق وفي حالة اسوأ مما في مصر واليمن • فقد وجدت في بغداد عددا قليلا من الناس ممن يعرفون القراءة والكتابة • واذ هناك في القاهرة مكان يشترى منه المسلمون كتبا قديمة فليس في بغداد محل كهذا ابدا ! فاذا ما اراد احد ان يقتني كتبا بغير أن يكلف نفسه عناء الاستنساخ أو تكليف أحد به • فانه ينتظر حتى يموت احد الجامعين للكتب وعندها تباع في السوق كما تباع الالبسة القديمة وينادي عليها الدلالون للمزايدة على ثمانها •

والاجنبي الذي يريد شراء مخطوطات عربية او فارسية او تركية عليه ان يذهب الى القسطنطينية فانها تعد أحسن مكان لشراء الكتب ، وذلك لوجود مكتبات كثيرة فيها حيث يستطيع النصارى ولاسيما نصارى بلاد الشرق شراؤها •

ان التجارة الاوروبية في بغداد ليست واسعة ومنتشرة ، ولشركة التجارة الهندية الانكليزية الشرقية وكيل في بغداد يأتي اليها من بومباي خصيصا بين حين وآخر وكان قد عاد الى بومباي عند قدومي الى بغداد لانه لم يجد فائدة ما في تصريف بضائع الشركة المذكورة في هذه البلاد • الا انه كان في بغداد تاجر شاب من البندقية وكان يقوم بتعامل تجاري ناجح لا يجلب الشكوك والظنون كما هي الحالة مع بقية تجار الشركات الاجنبية الكبيرة وممثليهم •

فلما غادرت البصرة في طريقي الى بغداد اعطاني السيد ليوني وهو تاجر ايطالي غني يقيم في البصرة رسالة توصية الى التاجر الشاب المذكور الذي كان يقوم بتمشية معاملات السيد ليوني التجارية في بغداد ويشتري له البضائع والمواد الخام من انحاء القطر • وقد عاملني هذا الرجل معاملة طيبة وقابلني بكل احترام واسدى لي مساعدات كثيرة • كذلك يقيم في بغداد رهبان اوربيون من حملة المرتبة الكرملية أو الكرمليين • وكان لاحدهما لقبان من القاب الشرف يختلف كل لقب على الآخر اختلافا كبيرا فقد كان يحمل لقب الرسول البابوي لبلاد بابل لقب القنصل الفرنسي في بغداد ايضا وكان محبوبا جدا من المسلمين والنصارى على السواء الا انه كان مسافرا الى اوربة اثناء اقامتي في بغداد •

اما رفيقه وأخوه في المهنة فقد كان شخصا غريب الاطوار مثل معظم الآباء لهذه الطائفة الدينية الذين صادفتهم في اسفاري في بلاد المشرق ٠ فقد مضى زمن طويل على مغادرة الكبوشيين أو الفرنسسكان (وهي أحدى الطوائف المسيحية التي تاسست سنة ١٥٢٥م وشعار كهنتها هو غطاء الرأس المدبب واللحية الطويلة) لهذه المدينة ٠ وجميع هؤلاء الرهبان الذين يأتون الى هذه المناطق يفهمون شيئا من الطبابة والعقاقير بحيث يكون لهم هذا بمثابة شفيع قوى لنيل الحظوة والمكانة الرفيعة لدى رؤساء الاتراك واشرافهم ٠

وكلهم من المبشرين ولكن لا ليجعلوا المسلمين نصارى لان هذا عمل يكسبهم شرف الاستشهاد في سبيل الدين فيصبحوا كلهم شهداء قديسين ، بل ليدخلوا النصارى في مذهب الاعتراف بالپاپا بانه الرئيس الديني الاعلى وسيد الكنيسة ٠ ومن السهل على المرء ان يدرك ان الرؤساء الروحانيين للطوائف المسيحية الاخرى لا يرضون على هذا العمل الذي يقوم به هؤلاء الكرمليون ، فاذا ما اظهروا تذمرا واشتكوا لدى الحكومة التركية على أعمال هؤلاء المبشرين فانهم يقومون بارشائهم ودفع كميات لا باس بها من المال لقاء سكوت السلطات التركية عن أعمالهم ٠ ولقد تمكن الكرمليون في بغداد من ادخال عدد كبير من نصارى بلاد المشرق في مذهبهم حتى انهم تمكنوا من ان يحملوا النساطرة والمسيحيين الاصليين لهذه البلاد والنصارى المتدينين على ترك كنائسهم ٠ وفي بغداد عدد كبير من اليهود ولكن ليس فيها البانيان(٤٠) وعبدة النار مطلقا ٠

لقد ذكرت قبل هنيهة ان المعرفة بعلم العقاقير والادوية هي أهم واسطة يتبعها هؤلاء الرهبان لحماية انفسهم في البلاد التركية ٠ ولكن احد الاطباء الاوربيين الماهرين لاقى في هذه البلاد صعوبة كبيرة في سبيل تحقيق الحياة الرغيدة التي ينشدها ، وكان اسمه الدكتور دي اربل D'Erbel وكان قد قدم الى القسطنطينية بسماح سلطاني (فرمان) ، بدافع الرغبة لمشاهدة العالم والتعرف عليه ثم سافر الى آسيا آملا ان يحصل على نفقات اسفاره ومعيشته عن طريق علمه وطبابته وهكذا حط رحاله في بغداد أيضا ٠ واصبح هذا الدكتور في بغداد حكيم باشي (أي طبيب الباشا الخاص) وراجت طبابته لاسيما بين اعيان بغداد واثريائها ٠ ولكن هؤلاء الاشراف والاثرياء كانوا يدفعون له اجورا قليلة جدا ٠ اما الباشا فكان لا يدفع له شيئا مهما ألح في طلب الاجرة ٠ واخيرا قرر البحث عن حظه عند الانكليز المقيمين في الهند الشرقية فرحل عن بغداد ٠ ولما اصبح خارج بغداد قاصدا الحلة أتاه رسول من الكخيا وأمره بالعودة الى بغداد بحجة ان الباشا قرر الخروج الى مقاتلة الاعراب ولربما يعود

---

(٤٠) طائفة من عبدة الاوثان في الهند شاهدها المؤلف اثناء مكوثه في بلاد الهند لدراسة احوالها وأهلها (س١٠) ٠

من المعركة بجرحى وعندها يستلزم وجود طبيب حاذق · واستطاع تحت وطاة هذه الاحوال ارسال جميع امتعته بمساعدة الانكليز الى البصرة · ولما تمكن في احدى المرات من الحصول على سماح بالذهاب الى مشهد علي لعيادة أحد وجهائها ، رحل عن بغداد وسافر الى هذه البلدة أيضا ·

لقد صادفت هذا الدكتور دي اربل في البصرة عندما كان معتزما على السفر الى بومباي والبنغال على ظهر سفينة انكليزية وقد عاد أيضا الى اوربا ولعلنا نحصل منه أيضا على وصف لرحلته ·

لقد ذكرت فيما سبق ان السلطان مراد غزا بغداد وانتزعها من يد الفرس سنة ١٦٣٨م الموافقة لسنة ١٠٤٨هـ ومنذ ذلك الحين فقد حكم بغداد الباشوات التاليـة اسـماؤهم(٤١) التي يجدها القاريء الكـريم في الصفحات التالية :

---

(٤١) ليس لاهالي بلاد المشرق اسماء أسر يسمون بها كما هي الحالة في أوربا كما ان معظم أولاد الباشوات هم من آباء مسيحيين ، يرسلون صغارا الى تركية لذلك فان جميع الاسماء المسلمة التي تعطى لهم تكون متشابهة وللتمييز بين باشا وآخر فانه تعطى لهم تسميات اضافية بهيئة ارقام · ولقد دونت عددا من معاني هذه الارقام للدلالة عليها ولمعرفة ذوق الذوات من الاتراك في اختيار الاسماء ومعانيها ·

(المترجم)

ولاة الدولة العثمانية على بغداد بحسب قائمة نيبور

آثرنا نشر قائمة ولاة بغداد كما ذكرها نيبور بالرغم من وجود اخطاء فيها ، وتقديم وتأخير في اسماء اولئك الولاة ، وجعلناها في صفحات متقابلة مع قائمة الاستاذ العزاوي للمقارنة :

اسماء الولاة	تاريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
١ ـ كوچك (الصغير) حسن باشا	سنة ١٠٤٩هـ	سنة واحدة
٢ ـ درويش محمد باشا محمد باشا	سنة ١٠٥٠هـ	سنتان
٣ ـ كوچك حسن باشا	سنة ١٠٥٢هـ	سنتان
٤ ـ دلي (المجنون) حسن باشا	سنة ١٠٥٤هـ	سنة واحدة
٥ ـ موسى باشا	سنة ١٠٥٥هـ	سنة واحدة
٦ ـ محمد باشا	سنة ١٠٥٦هـ	سنة واحدة
٧ ـ مقتول ابراهيم باشا	سنة ١٠٥٧هـ	سنة واحدة
٨ ـ ارصلان باشا	سنة ١٠٥٨هـ	سنة واحدة
٩ ـ حسين باشا	سنة ١٠٥٩هـ	سنة واحدة
١٠ـ ملك احمد باشا	سنة ١٠٦٠هـ	سنة واحدة
١١ـ قره (الاسود) مصطفى باشا	سنة ١٠٦١هـ	أربع سنوات
١٢ـ مرتضى باشا	سنة ١٠٦٥هـ	ثلاث سنوات
١٣ـ كرام محمد باشا (ذوالكرم الكثير)	سنة ١٠٦٨هـ	سنة واحدة
١٤ـ خاصكي محمد باشا . (وقد حصل هذا الباشا على لقب الخاصكي لانه سبق له ان اشتغل في القسطنطينية في فرقة تعقيبات قطاع الطرق .	سنة ١٠٦٩هـ	ثلاث سنوات
١٥ـ قنبور (ومعناه الاحدب) مصطفى باشا	سنة ١٠٧٢ هـ	سنتان
١٦ـ بومبوق[٤٢] (معناه العاقل) **مصطفى باشا**	سنة ١٠٧٤ هـ	سنة واحدة
١٧ـ قره (ومعناه الاسود) مصطفى باشا	سنة ١٠٧٥ هـ	سنة واحدة
١٨ـ ابراهيم باشا	سنة ١٠٧٦ هـ	سنتان
١٩ـ قره مصطفى باشا	سنة ١٠٧٨ هـ	اربع سنوات
٢٠ـ سليحدار (ومعناه حامل السيف وقد كان في خدمة السلطان) **حسين باشا**	سنة ١٠٧٨	اربع سنوات

(٤٢) وقع نيبور في خطأ في ترجمته لكلمة (بومبوق) التركية بالعاقل ، بينما المعنى الصحيح هو (نجس جدا) وقد ورد لقب مصطفى باشا في السالنامة التركية لولاية بغداد (بموق) مصطفى باشا ومعناها (قطن) لكونه ابرص (راجع : رحلة نيبور الى بغداد في القرن الثامن عشر . بغداد ١٩٥٤ ص ٣٤) للاستاذ سعاد هادي العمري (س . أ) .

ندرج أدناه قائمة الولاة مع مدة ولايتهم وقد اعتمدنا في ذلك على كتاب دليل خارطة بغداد المنقولة عن كتاب تاريخ العراق بين احتلالين للمؤرخ الاستاذ عباس العزاوي المحامي (وهي فترة تبتـــدىء بانتزاع السلطان العثماني مراد الرابع مدينة بغداد من أيدى الصفويين عام ١٠٤٨هـ ــ ١٦٣٨ م وتنتهي بزيارة نيبور بغداد) .

اسماء الولاة	تاريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
١ ــ كوچك حسن باشا	١٠٤٨ ــ ١٠٤٩ هـ	١
٢ ــ درويش محمد باشا	١٠٤٩ ــ ١٠٥٢ هـ	٣
٣ ــ كوچك حسن باشا (ثانية)	١٠٥٢ ــ ١٠٥٤ هـ	٢
٤ ــ دلى حسن باشا	١٠٥٤ هـ	ــ
٥ ــ محمد باشا آل حيدر أغا	١٠٥٤ ــ ١٠٥٥ هـ	١
٦ ــ كوچك موسى باشا	١٠٥٥ ــ ١٠٥٦ هـ	١
٧ ــ ابراهيم باشا	١٠٥٦ ــ ١٠٥٧ هـ	١
٨ ــ سمين موسى باشا	١٠٥٧ ــ ١٠٥٨ هـ	١
٩ ــ ملك احمد باشا	١٠٨٥ ــ ١٠٥٩ هـ	١
١٠ــ ارسلان باشا بن نوغاي باشا	١٠٥٩ ــ ١٠٦٠ هـ	١
١١ــ حسين باشا	١٠٦٠ ــ ١٠٦١ هـ	١
١٢ــ سلحدار قره مصطفى باشا	١٠٦١ ــ ١٠٦٣ هـ	٢
١٣ــ سلحدار مرتضى باشا	١٠٦٣ ــ ١٠٦٥ هـ	٢
١٤ــ آق محمد باشا (أي محمد باشا الابيض)	١٠٦٥ ــ ١٠٦٧ هـ	٢
١٥ــ محمد باشا الخاصكي	١٠٦٧ ــ ١٠٦٩ هـ	٢
١٦ــ سلحدار مرتضى باشا (ثانية)	١٠٦٩ ــ ١٠٧٢ هـ	٣
١٧ــ مصطفى باشا القنبور (أي الاحدب)	١٠٧٢ ــ ١٠٧٤ هـ	٢
١٨ــ مصطفى باشا الينبوع (أي القطني)	١٠٧٤ هـ	ــ
١٩ــ سلحدار قره مصطفى باشا (ثانية)	١٠٧٥ هـ	ــ
٢٠ــ اوزون ابراهيم باشا (أي ابراهيم باشا الطويل)	١٠٧٥ ــ ١٠٧٧ هـ	٢
٢١ــ سلحدار قره مصطفى باشا (ثالثة)	١٠٧٧ ــ ١٠٨١ هـ	٤
٢٢ــ سلحدار حسين باشا	١٠٨٢ ــ ١٠٨٥ هـ	٣
٢٣ــ عبدالرحمن باشا	١٠٨٥ ــ ١٠٨٧ هـ	٢

(*) أي موسى باشا السمين ولقب أيضا قبوجي .

(تابع قائمة نيبور)

اسماء الولاة	تاريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
٢١ـ عبدالرحمن باشا	سنة ١٠٨٦	سنة واحدة
٢٢ـ قپلان باشا	سنة ١٠٨٧	سنتان
٢٣ـ عمر باشا	سنة ١٠٨٩	اربع سنوات
٢٤ـ ابراهيم باشا	سنة ١٠٩٣	سنتان
٢٥ـ عمر باشا	سنة ١٠٩٥	سنتان
٢٦ـ سرحوش احمد باشا	سنة ١٠٩٧	سنتان
٢٧ـ عمر باشا	سنة ١٠٩٩	سنتان
٢٨ـ حسن باشا (يتولى لاول مرة)	سنة ١١٠٠	سنتان
٢٩ـ بزركان (ومعناهالتاجر) أجد باشا	سنة ١١٠٢	سنة واحدة
٣٠ـ كتخدا احمد باشا	سنة ١١٠٣	سنتان
٣١ـ كلايلي[٤٣] احمد باشا	سنة ١١٠٥	سنة واحدة
٣٢ـ علي باشا	سنة ١١٠٦	سنتان
٣٣ـ اسماعيل باشا	سنة ١١٠٨	سنتان
٣٤ـ دلدبان (وقدكان يلبس سروالا احمر) مصطفى باشا	سنة ١١١٠	سنتان
٣٥ـ يوسف باشا	سنة ١١١٢	سنة واحدة
٣٦ـ علي باشا	سنة ١١١٣	سنة واحدة
٣٧ـ حسن باشا (يتولى للمرة الثانية)	سنة ١١١٤	اثنان وعشرون سنة
٣٨ـ احمد باشا (يتولى لاول مرة)	سنة ١١٣٦	احدى عشرة سنة
٣٩ـ اسماعيل باشا	سنة ١١٤٧	سنة واحدة
٤٠ـ طوپال (الاعرج) محمد باشا	سنة ١١٤٨	سنة واحدة
٤١ـ أحمد باشا (الولاية الثانية)	سنة ١١٤٩	اثنتا عشرة سنة
٤٢ـ حاج احمد باشا	سنة ١١٦١	ان هؤلاء الولاة الاربعة حكموا سنتين
٤٣ـ رشيد باشا	سنة ٠٠٠٠	
٤٤ـ اولچي باشا	سنة ٠٠٠٠	
٤٥ـ محمد باشا ، ترياكي[٤٤] (ومعناه العجول)		
٤٦ـ سليمان باشا	سنة ١١٦٣	ثلاث عشرة سنة
٤٧ـ علي باشا العجمي	سنة ١١٧٦	سنتان
٤٨ـ عمر باشا	سنة ١١٧٨	احد عشر سنة

(٤٣) قالا يلامق ، في التركية التي يتداولها العامة في اسطنبول معناها (سب أو شتم) و (قالايلي) صفة منها (راجع نفس المصدر للعمري ص ٣٥) ٠ (س٠أ) ٠

(٤٤) الترياكي ــ هو الشخص المدمن على استعمال المخدرات والمكيفات كالافيون والحشيش والترياق أو الترياك ٠ (س٠أ) ٠

(تابع قائمة العزاوي)

اسماء الولاة	تاريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
٢٤ـ قپلان مصطفى باشا	١٠٨٧ ـ ١٠٨٨ هـ	١
٢٥ـ سلحدار عمر باشا	١٠٨٨ ـ ١٠٩٢ هـ	٤
٢٦ـ ابراهيم باشا	١٠٩٢ ـ ١٠٩٥ هـ	٣
٢٧ـ سلحدار عمر باشا (ثانية)	١٠٩٥ ـ ١٠٩٨ هـ	٣
٢٨ـ أحمد باشا البوشناق	١٠٨٩ ـ ١٠٩٩ هـ	١
٢٩ـ سلحدار عمر باشا (ثالثة)	١٠٩٩ ـ ١١٠١ هـ	٢
٣٠ـ حسن باشا	١١٠١ ـ ١١٠٢ هـ	١
٣١ـ أحمد باشا البازركان	١١٠٢ ـ ١١٠٣ هـ	٢
٣٢ـ احمد باشا الكتخدا	١١٠٣ ـ ١١٠٥ هـ	٢
٣٣ـ احمد باشا	١١٠٥ ـ ١١٠٧ هـ	٢
٣٤ـ على باشا	١١٠٧ ـ ١١١٠ هـ	٣
٣٥ـ اسماعيل باشا	١١١٠ ـ ١١١١ هـ	١
٣٦ـ مصطفى باشا (دال طبان)	١١١١ ـ ١١١٤ هـ	٣
٣٧ـ يوسف باشا	١١١٤ ـ ١١١٥ هـ	١
٣٨ـ علي باشا (ثانية)	١١١٥ ـ ١١١٦ هـ	١
٣٩ـ حسن باشا الجديد (ادخل نظام المماليك)	١١١٦ ـ ١١٣٦ هـ	٢٠
٤٠ـ حسن باشا زاده احمد باشا	١١٣٦ ـ ١١٤٧ هـ	١١
٤١ـ حاج اسماعيل باشا	١١٤٧ ـ ١١٤٨ هـ	١
٤٢ـ صدر اسبق محمد باشا	١١٤٨ ـ ١١٤٩ هـ	١
٤٣ـ احمد باشا (ثانية)	١١٤٩ ـ ١١٦٠ هـ	١١
٤٤ـ صدر اسبق الحاج احمد باشا	١١٦١ هـ	١
٤٥ـ كسريه‌لي الحاج احمد باشا (بداية حكم المماليك)	١١٦١ هـ	١
٤٦ـ سليمان باشا (ابو ليلة)	١١٦٢ ـ ١١٧٥ هـ	١٣
٤٧ـ علي باشا	١١٧٦ ـ ١١٧٧ هـ	١
٤٨ـ عمر باشا	١١٧٧ ـ ١١٨٩ هـ	١٢

ب

بسم الله الرحمن ا
لرحيم الله لا اله ا
لا هو الحي القيوم
لا تاخذه سنة ولا نوم
له ما في السموات
وما في الارض من ذ
ا الذي يشفع عند
ه الا باذنه يعلم ما
بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشيء
من علمه الا بما
وسع كرسيه
السموات والارض
ولا يؤوده حفظهما
وهو العلي العظيم

ح

اللهم صلي عل
محمد واله

أ

بسم الله الرحمن
الرحيم قل هو
الله أحد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
له كفوا احد
هذا قبر جعفر
بن معمر رحمه
الله وغفر
له صل الله عل
محمد وعل
آل محمد

د

الله ولي التوفيق

أ ـ كتابة بالخط الكوفي الجميل استنسخها نيبور عن شاهد قبر الى شخص مدفون في مسجد الكوفة اسمه جعفر بن معمر . وتبتديء الكتابة بسورة الاخلاص/١١٢ (س١٠أ) .
ب ـ آية الكرسي من سورة البقرة / ٢٥٥ (س١٠أ)
و ـ ؟
ز ـ ؟

ا

ب



ج

د

و

ز

(الشكل ـ ٣)

نماذج من الكتابات الكوفية التي استنسخها نيبور

ويجد القاريء قراءة البعض منها في الصفحة المقابلة

لقد كانت بغداد حتى ولاية حسن باشا للمرة الثانية في سنة ١١١٤ هـ(٤٥) (الموافقة سنة ١٧٠٢م) في حالة سيئة جدا ووضع متردي ، فالولاة الذين سبقوه في الحكم عليها كانت ولايتهم لمدة قصيرة ولم يقوموا باصلاح ما ، كما لم تكن لهم سلطة ما خلا الاسم فقط . ففي داخل المدينة كان الينيچرية هم الحاكمون والمسيطرون على كل شيء اما في خارجها فقد كان الاعراب هم المتنفذون وكانت التجارة مهددة بالنهب فيضطر التجار السوريون والاتراك على السفر الى اصفهان لشراء البضائع التي كانت ترد اليها من جميع الاقطار ولا سيما من الهند .

لقد بقي حسن باشا مدة طويلة في الولاية على بغداد فاستطاع القضاء على شوكة الينيچرية وعلى القبائل العربية فوطد بذلك دعائم الامن والطمأنينة في ولايته . ولكنه كان واليا على بغداد والمقاطعات التابعة لها فقط . اما مقاطعة شهر الصول (شهرزور) التي تعود لها معظم أقسام مناطق كردستان فقد كان لها وال مستقل من الدرجة الاولى ، وكان لمدينة البصرة والمقاطعات التابعة لها وال أيضا . كذلك كان يحكم ولاية ماردين وال يعينه السلطان .

وصادف في عهد ولاية حسن باشا ان نشبت ثورات عديدة في بلاد فارس ، فاغتنم الاتراك الفرصة لاقتطاع عدد من مقاطعاتها . فاستعد حسن باشا للقيام بغزو بلاد فارس ولكنه قام في باديء الامر بتوسيع سلطات ولايته فضم اليه باشلق ماردين ووسع حدودها . وقد عرف حسن باشا كيف يستخدم العرب ولاسيما القبائل العربية لهذا الغرض ، فقد كان العرب يسببون دائما وابدا المشكلات للولاة الاتراك الذين يعينون على البصرة وكان الوالي لا يصمد فيها طويلا فاما ان يقفل راجعا الى القسطنطينية على الفور أو انه يبقى على مضض ويلقي انواع المزعجات من سكانها . وقد كان الوالي يتكبد نفقات مالية كثيرة في قضائه على الثورات والتغلب على العقبات . لذا فان كثيرا من الولاة لايرغبون في الحصول على منصب ولاية البصرة . وقد مكنت هذه الحالة حسن باشا من التوسط لدى السلطان لاسناد منصب ولاية باشلق البصرة لابنه أحمد ، فحصل عليها بعد جهد جهيد وبعد ان تعهد للسلطان بدفع مقدار معين من المال كل سنة .

توفى حسن باشا عن مرض لازمه فى كرمنشاه اثناء قيامه بحملة عسكرية على مدينة همدان وبعد ان حكم اثنتين وعشرين سنة قمرية فزحف بسرعة ابنه احمد والى البصرة والذى كان يرافق والده فى الحملة ، على همدان ، واحتلها بمدة قصيرة ، فحاز بذلك على شهرة كبيرة قلده على اثرها السلطان منصب ولاية بغداد وولاية ماردين اضافة الى ولاية البصرة

---

(٤٥) تولى ولاية بغداد في هذه السنة يوسف باشا (١١١٤ ـ ١١١٥ هـ) بعد مصطفى باشا (دال طبان) ١١١١ ـ ١١١٤ هـ ، وليس حسن باشا . (س١٠) .

حتى يتيح له شن الحرب ومواصلتها على الفرس بحماس كبير وقوة اكثر شدة من ذي قبل ٠

لقد صادف في زمنه حصار نادر شاه لبغداد في سنة ١٧٣٢م مدة ثمانية اشهر ولكنه تمكن من اقناع هذا العدو اللدود للامبراطورية التركية بالعودة الى بلاده وذلك بأن اعاد اليه المدافع التى سبق له ان استولى عليها في همدان ٠ على ان وزيره الذى اصطحبه في حملته العسكرية على همدان أخذ يشاغب عليه بدافع الحسد لدى السلطان فتمكن من ازاحته عن الولاية ، فأرسل السلطان واليا جديدا الى بغداد ٠ وكان الاعتقاد السائد أوانئذ ان من الصعب ان يتخلى احمد باشا بسهولة عن هذه الولاية الضخمة ، فاتهمه الوزير عند السلطان بالعصيان على الدولة التركية وطالب برأسه ولكن احمد باشا امتثل لاوامر السلطان وذهب الى القسطنطينية ٠ وجاء الى بغداد في خلال سنتين فقط عدة ولاة اخفقوا في ادارة الولاية بسبب المشكلات الكثيرة التي تلقوها من سكان بغداد ومن القبائل العربية فأضطرالسلطان على تبديل الوالي في كل بضعة اشهر ٠ ثم عمت الفوضى في انحاء الولاية كما ازداد ضغط نادر شاه على القوات التركية المرابطة في هذه الولاية وتفاقم سلطانه ، الامر الذى حدى بالسلطان الى ان يرسل احمد باشا مرة اخرى واليا على بغداد حتى لا يفقد هذه الولاية ٠ وبدأ احمد باشا يوسع نفوذه على الولايات المجاورة ، واذ هو يعلم انه لا يقوى على محاربة نادر شاه والتطلع بشراهة الى بلاد الفرس الا انه كان عارفا بمهمته ومضطلعا بها باعتباره قائدا أعلى للقوات التركية التي أخذت على عاتقها صد هجمات نادر شاه. وبهذه العزيمة وبالقوة التي كانت بأمرته بسط سلطانه على مناطق كردستان وبقية المقاطعات التابعة لولاية شهرزور ولم يستطع مد من نفوذه الى كركوك وبضعة قرى تابعة لها اذ كانت تحكم من وال ذي طوغتين(٤٦) أي أقل منه مرتبة وشأنا ٠

ويذكرعن نادر شاه انه قال: « ان أحمد أذكى من كليهما » ٠ أي انه أذكى من نادر شاه ومن السلطان ذلك انه عندما اراد السلطان عزله عن ولاية بغداد فسح المجال للفرس لمحاصرة البصرة(٤٧) فكانت النتيجة ان السلطان لم يكتف بابقائه في ولايته ، بغداد ، بل انه زوده بالمال وبالمدافع الكثيرة وبكل ما كان يطلبه من الامدادات العسكرية بحجة الدفاع عن الممتلكات العثمانية ٠

واستفحل أمر أحمد باشا واصبح خطرا يهدد السلطان لدرجة ان

---

(٤٦) ذيلا حصانين (وبسكولين أو طوغتين) والطوغة : ذيل حصان (Ronschweifen) وقد ورد ذكرها في ص ٢٩ هامش (١) من هذا الكتاب ٠ (المترجم) ٠

(٤٧) كتب الرحالة اوتر (Otter) الذي زار البصرة في عهد ولاية احمد باشا ومكث فيها بعض الوقت ، شيئا كثيرا عن الثورات التي اضرمها العرب والحملات التي جهزها نادر شاه على الاتراك وقد جاءت اخباره مؤيدة لما ذكرناه أعلاه ٠ (المؤلف) ٠

السلطان حاول مرات عديدة اغتياله فكان يوفد لهذه المهمة الى بغداد قابوچي[٤٨] باشي « الحاجب أو رئيس خدم السلطان » لقتل أحمد باشا وحمل رأسه الى السلطان ولكن احمد باشا كان كبقية الباشوات . فكانوا يخبرونه بكل ما كان ينوي له السلطان من شر . وكان له أصدقاء على طول الطريق بين القسطنطينية وبغداد وكانت مهمتهم أما قتل هؤلاء القابوچيين أو سلبهم حال وصولهم الحدود . وصادف أن أحد هؤلاء القابوچيين تمكن من التسلل وأسرع متوجها الى بغداد ولم يسمع أحمد باشا به الا قبيل وصوله بغداد ببضعة ساعات ، فخرج اليه مع عدد من أفراد حاشيته وخدمه على ظهور الخيل بحجة القيام بلعبة الجريد .

ولعبة الجريد هذه تركية ، وهي معروفة في أوربا وتكون بان يرافق كل فارس سائس يحمل معه جعبة ملأى بالجريد . والجريد عبارة عن رمح طوله أربعة أقدام ، يحمله الفارس على ظهره ويطارد به هدفه . وكان الفرسان يجتمعون في مكان معين فيجلس الشيوخ والمعمرون تحت شجرة أو عند عين ماء فيشربون القهوة ويدخنون التبغ . أما الشباب منهم فيتقدمون مزدوجين على ظهور الخيل نحو العدو لطعنه ويبحثون عن فرصة معينة يغفلونه فيها ليطعنوه طعنة قاضية .

فعندما خرج أحمد باشا بحجة لعبة الجريدة ، لاقى قابوچي باشي على أبواب المدينة ، فاستقبله استقبالا حافلا يليق بكل شخص يوفده السلطان . ولما كانت لعبة الجريد من جملة الالعاب الراقية التي تزاولها طبقة الاشراف من الاتراك وعليتهم، فقد دعا احمد باشا ضيفه للمشاركة معه فيهذه اللعبة . ولما أتوا في طرادهم الى ساحة فسيحة ، طلب أحمد باشا من ضيفه أن ينازله، فأجاب الطلب لما في ذلك من شرف كبير في منازلة الوالي ، وتقدم اليه أحد السياس وأعطاه جريدا . فتبعه أحمد باشا بجريد انتزعه من جعبة سائسه وصوبه على رأس القابوچي باشي فاخترقه . فقفز احمد باشا من جواده وأسرع الى ضيفه الذي كان ينازع سكرات الموت فاحتضنه وأخذ يعتذر منه بأنه استل خطأ جريدا حقيقيا (والجريد الحقيقي هو الذي يكون في طرفه رأس رمح منالحديد) وانه لمبقصد قتلهمطلقا وانما كانت دعوته للمساهمة في هذه اللعبة من قبيل المصادفة لا غير . وقد مات موفد السلطان فارسل أحمد باشا ما كان يحمله من أوراق الى السلطان مقدما الاعتذارات على هذه الحادثة .

ترك أحمد باشا ابنتين من زوجته عادلة خاتون وكان قد وعد أحد خدمه باعطاء ابنته الكبرى اياه لتكون زوجة له وذلك اثر حادثة غير موفقة وقعت له . فقد كان مغرما بصيد الاسود وكثيرا

---

(٤٨) القابوجي باشي لقب تركي معناه رئيس البوابين في البلاط العثماني ، الذين يرشدون المدعوين والناس الى الطريق عند اجتماع الديوان (س٠أ) .

ما قتل عددا منها بيده وكان لا يسمح لاحد أن يساعده كدليل على شجاعته . وصادف ذات مرة انه طارد أسدا كبيرا وكان بمعيته أربعون رجلا من حاشيته وخدمه ، آثروا البقاء في المؤخرة وتركوا أحمد باشا وحده يستأنس بمطاردة الاسود وصيدها ولكن واحدا منهم وكان اسمه سليمان من أصل جورجي (گرجي) ، اشتراه حسن باشا ورباه وهذبه ، لم يرق له أن يترك سيده يصارع الأسد فلحق به عن بعد . وبعد طراد عنيف لحق أحمد باشا بالأسد وهاجمه ولكن رمحه انكسر ولم يجد أمامه بدا من الهرب ، الا أن سليمان كان قد أسرع لمساعدته فطعن الأسد وقضى عليه وبذلك انقذ حياة سيده الذي كان مقضيا عليه حتما . فوعده أحمد باشا بابنته لقاء هذا العمل الذي أنقذه من الموت وأصبح سليمان في الحال الخازندار بعد ان كان خادما بسيطا عند سيده ثم أخذ يتقدم بسرعة في مراتب الشرف حتى صار كخيا . وكان هذا المنصب مهما في بغداد اذ يعادل مقام الوزير لدى السلطان .

توفي أحمد باشا بعد ان حكم ثلاثا وعشرين سنة قمرية على باشلق بغداد الواسع وذلك أثناء قيامه بحملة عسكرية على الأكراد الذين امتنعوا عن دفع الضرائب المعتادة .

ان جميع حكام المقاطعات والمدن التابعة لباشلق بغداد كانوا ينعمون بسعادة تامة في ظل حكم أحمد باشا ووالده حسن باشا كما كان السكان في عهديهما يتمتعون بالرخاء والطمأنينة وقد ظلوا أوفياء للكخيا سليمان أيضا بدافع وفائهم لوالد زوجته وجدها اضافة الى ذلك انهم كانوا يحبونه لشجاعته . وقد قابل السلطان خبر وفاة أحمد باشا بكل ارتياح لأنه كان يتمنى دائما وفاته ولكي لا يبقى الحكم في اسرة أحمد باشا ، أرسل على الفور واليا جديدا الى بغداد وتوابعها من المقاطعات المهمة ثم عين سليمان واليا على البصرة لارضاء السكان الذين كانوا يحبونه . ولكن الولاة الذين جاءوا الى بغداد وجدوا صعوبات جمة في مزاولة سلطانهم على هذا الباشلق الخطير وحكمه ، كما أخذ الناس يستخفون بهم لضعفهم . فقد صادف أن أحد هؤلاء الولاة مني باندحار شنيع على يد الأعراب فلما رجع الى بغداد أخذ الناس يسخرون منه ويستهزؤن به . وآخر توفي في طريقه الى بغداد ، وكانت شكاوى الناس وتذمرهم تترى على السلطان لعدم قدرتهم على ممارسة الحكم والنهوض باعباء منصب الولاية الخطير . ففي خلال أربع سنوات قدم بغداد أربعة ولاة لم يرتح الناس لواحد منهم . وأخيرا سار سليمان(٤٩) على رأس جنوده

---

(٤٩) هو سليمان ابو ليله ١١٦٢ ـ ١١٧٥هـ (١٧٤٨ ـ ١٧٦١م) . (س١٠)

(ايج اغاسي) من البصرة الى السماوة ولكن والي بغداد طلب منه أن يعود . الا ان سليمان باشا واصل زحفه الى الديوانية وكان يحكمها آنئذ علي اغا وقد سبق لهذا ان خرج على والي بغداد وتواطأ مع سليمان باشا لقاء كمية معينة من المال ، فتظاهر بالتضامن مع والي بغداد وهرب لاجئا اليه وأخبره بزحف سليمان باشا فجمع والي بغداد جيشا قوامه أربعة عشر ألف مقاتل وسار على رأسه لمقاتلة سليمان باشا فالتقي بجيش سليمان باشا بالقرب من الحلة وكان عدد أفراده ثمانمائة مقاتل .

فاستغرب الوالي لقلة عدد قوات سليمان باشا واعتقد انه سيستسلم له ولكن علي أغا استطاع اثناء اقامته القصيرة في بغداد اقناع جميع رؤساء الفرق العسكرية من الانضمام الى سليمان باشا . وتقدم العدو حسب الخطة المرسومة وهاجم والي بغداد على الفور فدحره ولاذ الباشا بالفرار الى بغداد ولكنه وجد أبوابها قد أقفلت بوجهه . أما سليمان باشا فانه استقبل استقبالا حافلا وأقام له الأهلون الأفراح . ثم أمر سليمان باشا باقامة ديوان كبير جمع فيه علية القوم وأشراف المدينة وطلب منهم ن يقدموا عريضة شكوى على جميع الباشوات الذين أرسلتهم القسطنطينية لترفع الى السلطان يشرحون فيها الحالة السيئة التي وصلت اليها البلاد في عهدهم منذ وفاة أحمد باشا وانه ليس هناك شخص يتمكن من القضاء على الفوضى السائدة في هذا الباشلق ويقوى على ادارته الا سليمان باشا . ولم تمض مدة طويلة على وجود سليمان باشا في بغداد حتى جاءت موافقة السلطان على تنصيبه واليا على جميع المقاطعات والأمصار التي كانت تحت سيطرة حسن باشا وأحمد باشا .

حكم سليمان باشا ثلاث عشرة سنة قمرية كان خلالها محبوباً من جميع طبقات الشعب حتى ان الأعراب أقاموا له عند وفاته المناحات وأخذوا يقولون فيه المرثيات التي ما زالت تسمع في المقاهي وفي المحلات العامة وفي الشوارع من بغداد . ولم يسبق ان اتصف الأعراب بالهدوء والسكينة في عهد من العهود الا في عهده وعهدى أحمد باشا وحسن باشا . فقد كان فيما مضى لا يسمح لأية قافلة أو واسطة نقل بالسفر من الحلة الى البصرة بغير حراسة قوية من الرجال ولكن لقاء مبلغ باهض من المال ، أما في زمن حكمه وفي أثناء ولاية حسن باشا وأحمد باشا فانه أصبح باستطاعة المرء أن يسافر لوحده بغير حاجة الى رفقة أو حراسة سواء أكان السفر في دجلة أم في الفرات أم في البر ، ولا يجسر أحد على نهبه وسلب ما عنده من متاع . وفي هذه الفترة عندما أصبح التجار في بلاد فارس لا يأمنون على أرواحهم وأموالهم تحولت

التجارة الى هذه البلاد عن طريق البصرة وبغداد وقد كانت من قبل تأتي عن گمبرون (Gambron)(٥٠)٠ واصفهان فتوسعنا بفضل الامان وعم فيهما الرخاء ٠

كان سليمان باشا يتصف بمعاملته الصارمة للقبائل العربية ذلك انه لم يتغافل أبدا عن أية جريمة ارتكبوها ٠ فقد كان يهاجمهم ويباغتهم بحيث لا يبقى لديهم متسع كاف من الوقت يلتجئون فيه الى الصحراء ، ولذلك فان البدو كانوا يسمونه أبو الليل(٥١) لانه كان يغير عليهم في الليل ولا يتركهم ينعمون بالراحة ٠ وكان أهالي بغداد يسمونه سليمان السبع ٠ وقد حاول أحدهم أن يؤكد لي بانه أغار على دمشق وسلبها وعاد الى بغداد في تسعة أيام لأن البدو سلبوا قافلة كبيرة كانت في طريقها من بغداد الى دمشق ولم يستطع والي بغداد القاء القبض عليهم وهذا يعني انه كان يعاقب ولاة المقاطعات المجاورة له اذا هم أخفقوا من معاقبة البدو التابعين لولايتهم عند قيامهم بعمليات قطع الطرق ٠ ان هذا الأمر ليدهش الأوربي كثيرا لأنه يعلم ان ولاية دمشق وولاية بغداد خاضعة لنفوذ السلطان ، ولا يجوز ان يحدث مثل هذا ، كأن يقوم أحد الولاة فيهاجم والياً آخر ٠ ولكن الغزوات كانت تحدث بين الباشوات في تركية نفسها ٠

كان سليمان باشا يختلف عن غيره ممن سبقه من الولاة في الطبائع والأخلاق لا سيما عن والد زوجته أحمد باشا الذي كان اذا ما سمع عن شجاعة شخص احترمه وعزه ولو كان عدوه اللدود ٠ في حين كان سليمان باشا يجد في مدح أحد لشجاعته اهانة له ومنقصة لشرفه حتى وان كان يتصف حقيقة بالبطولات ٠ لذلك فانه لا يرحم عدواً اذا ما وقع في يده ، لا سيما اذا كان يتصف بالشجاعة حقيقة ٠ ويعيب الناس على سليمان باشا بانه كان خاضعا لسيطرة زوجته التي أطلق لها اليد في التدخل في الحكم ٠

كانت عادلة خاتون بنت باشا من الدرجة الاولى ولم تكن تنسى أبداً أن زوجها كان عبدا مملوكا اشتراه والدها ورباه برغم انه الآن باشا من درجة ثلاث طوغات ٠ ولذلك فقد كانت متكبرة ومتحكمة لدرجة أنها خصصت اياماً معينة لمقابلة الناس والاستماع لشكاواهم والحكم لهم ، اذ كانت كلمتها هي العليا ٠

وكانت عادلة خاتون لا تظهر للناس علانية تباعا للتقاليد المفروضة

---

(٥٠) وقد ذكرها الكتاب الاوربيون في العصور الوسطى باسماء مختلفة نذكر منها :
Gumbrown, Gomrow, Gamrow, Gomroon, Cummeroon, Gomberoon
وهي مدينة صغيرة انشأها على ساحل الخليج العربي الشاه عباس وسميت بعدئذ بميناء (بندر عباس) ٠ وهناك راي يقول ان كلمة (الكمرك) قد اشتقت من اسمها (س١٠) ٠

(٥١) ابو ليلة او ابو الليل كلاهما مستعمل (س١٠) ٠

آنئذ على كل سيدة مسلمة ولذلك فقد كانت تقف في مخدعها وتكلم الناس من وراء حجاب وعن طريق أحد مماليكها الذي كان يحمل لها عرائض الشكوى ويأتيهم منها بالجواب عليها أيضا • وبهذه الطريقة كانت تعرف كل ما كان يدور في البلد ، كما كانت تصدر أوامرها بنقض جميع القرارات والأوامر التي يصدرها الباشا ومساعده الكخيا •

كذلك كانت تعرف كيف تستميل الأغوات ورؤساء القبائل العربية بأن تأمر زوجها بتقديم الهدايا من الفراء (فروة وكرك) للاغوات والعباءات ذوات الأكمام القصيرة الى الشيوخ • كما كانت تهدي كبار الأغوات الذين كانوا في خدمة والدها وجدها أغطية الرأس (الكفافي والغطر) الحرير وكانت تنسج خصيصا لهذا الغرض حتى يتميزون عن غيرهم أثناء الاحتفالات والمهرجانات الرسمية • وهذا ما كان يحفز الكثيرين للقيام بأعمال ترضي عادلة خاتون وزوجها سليمان باشا كيما ينالوا الحظوة لديهما ويحصلوا منهما على الهدايا التي كانوا يعدونها شرفا رفيعا لهم ينالون بها احترام الناس • وكثيرا ما استغل هؤلاء الذين يحصلون على هدايا الفراء والعباءات والكفافي الحرير ، حظوتهم عند عادلة خاتون ، لابتزاز المال من الناس وتقوية سلطانهم وتوطيد نفوذهم على أفراد عشيرتهم وأفراد العشائر الأخرى •

لقد كانت عادلة خاتون في خصام مستمر مع اختها الصغيرة التي كانت متزوجة من أحمد أغا • وأحمد أغا هذا هو ابن لأبوين كانا يتمتعان بسمعة كبيرة وجاه عظيم من مختلف طبقات الشعب وقد كان سليمان باشا يحترمه جدا ويعظمه كثيرا • وحدث ذات مرة ان حاول الوزير أن يغري أحمد أغا بقتل سليمان باشا وتنصيب نفسه مكانه واليا على باشلق بغداد ولكنه رفض القيام بهذا العمل المشين واعرض عن رؤية الوزير بعد ان أهانه ، الا أن عادلة خاتون استغلت هذه الحادثة وأوغرت صدر زوجها سليمان باشا على قتله بعد ان أفهمته بأن أحمد أغا يريد قتله وتنصيب نفسه والياً على بغداد • وكانت النتيجة ان أعدمه سليمان بتهمة الخيانة والتآمر عليه • وقد كانت هذه الحادثة سببا لزيادة الكراهية والخصام بين الاختين الى أن استطاع سليمان باشا اقناع اخت زوجته الصغيرة بالزواج من كخيته عمر •

كان سليمان باشا كوالد زوجته حريصا على المحافظة على حياته من اغتيالات القاپوچي باشي لا سيما بعد أن شعر السلطان بقلة نفوذه وسيطرته على باشلق بغداد في حالة بقاء هذه الاسرة متنفذة في الحكم وقوية في الولاية • ولذا فان السلطان حاول اغتياله مرات عديدة على يد جماعات القاپوچي باشي الذين كان يرسلهم من وقت لآخر من القسطنطينية لتنفيذ مؤامرة قتل الباشا •

وكثيرا ما أطلقت عليه العيارات النارية وكان كل واحد لا يشك في

ان هذه المؤامرات كانت تحدث بتدبير من الوزير • على انه اذا ما حدثت مؤامرة من هذا القبيل في بلاد المشرق ـ وهي كثيرة الوقوع ـ والقي القبض على الجاني ، فانهم لا يقومون بالتحقيق بل يكتفون باعدام الشخص الذي يلقى عليه القبض وهو متلبس بالجريمة •

لقد سبق لي ان ذكرت أن أحمد باشا توفي أثناء حملة عسكريةجهزها على باشوات كردستان وكانت وفاته طبيعية • ولكن عادلة خاتون لم ترض لهذا القدر والقضاء وعزت سبب موت والدها الى عصيان أحد الباشوات في هذه المنطقة واضطراره على السير لتأديبه ولذلك فانها كانت تحرض زوجها سليمان باشا دائما على ان يثار لوالدها بقتل الباشا الذي سبب وفاته(٥٢) وهكذا فان سليمان باشا كان يجهز مرات عديدة حملات عسكرية ويسير بها الى كردستان للانتقام من الباشا المذكور ولكن هذا الباشا كان يهرب في كل مرة الى الجبال ويفلت من الوقوع في قبضته • وأخيرا ارسل له سليمان باشا التأكيدات الكافية على اخلاصه وصداقته وأرسلت له عادلة خاتون كوفية من الحرير تأكيدا لهذه الصداقة ودليلا على عفو الباشا عنه والصفح له(*) •

وقد صدق الكردي بالأقوال والوعود المعسولة فسافر الى بغداد ولكنه ما كاد يحط رحاله فيها حتى قبض عليه والقي في السجن ثم خنق في اليوم الثاني • لقد كانت عادلة خاتون مثالا للمرأة التركية الحقيقية • فقد كانت متغطرسة ومتحكمة لا تعرف الرحمة والشفقة حتى مع زوجها ، فقد منعته من الزواج بغيرها كما حرمت عليه اقتناء الجواري وكانت عاقراً • لذلك فان سليمان باشا لم يترك وريثا له ما خلا هذه الأرملة التي ما تزال تعيش في بغداد وتملك الأموال الطائلة • شيدت عادلة خاتون في بغداد مسجدا وكروان سراي (خانا) واطلقت عليهما اسمها(٥٣) • كذلك شيدت مبان مماثلة في انحاء مختلفة من الباشلق وأوقفت وارداتها على الخيرات والفقراء •

ولما توفي سليمان باشا كان علي أغا(٥٤) قد تسلم منصب نائب الوالي

---

(٥٢) العصيان المشار اليه كان اعلنه متصرف بابان سليم باشا بابان وذلك في سنة ١١٦٠ هـ مما اضطر احمد باشا ان يجرد حملة لتأديبه الا ان المنية عاجلته قبل ان يحقق مبتغاه ، فنقلت جثته الى بغداد ودفنت تحت قبة ابي حنيفة (س•أ) •

(*) لقد ذكر الرحالة آيفز قصة هذا الكردي مفصلا في كتابه :
Ives, Reisen mach Indien und Persien II 4. 99.

(٥٣) المسجد هو جامع العدلية الكبير الواقع في شارع المستنصر مقابل بناية المحكمة الشرعية • أما الخان (الكروان سراى) فهو خان العادلية (س•أ) •

(٥٤) ان علي أغا هذا هو نفسه الذي زاره الرحالة آيفز في اثناء مروره بالديوانية بطريقه من البصرة الى الحلة وقد اكرم وفادته وعامله بكل لطف واحترام • راجع :ـ
Ives, *Reisen mach Indien und Persien*, II., 5. 55.

يتبع =

على البصرة وكانت في يده جميع السلطات المهمة التي يحتـــاجها كل وال لادارة هذه الولاية كما كان السكان يحبونه كثيرا ويمتثلون أمره ٠ فطمع بالپاشوية واستطاع أن يقنع الديوان في بغداد بارسال التوصيات الى السلطان لجعله باشا وأخذ يبعث الهدايا الثقيلة الى القسطنطينية حتى جاءه فرمان السلطان ٠ الا أنه حكم اثنين وعشرين شهرا فقط ، وكانت لعادلة خاتون اليد الطولى في انهاء حكمه بهذه السرعة ٠

لم يكن علي أغا أو (علي باشا) مملوكا جيء به الى بغداد بل كان مسلما ولد من أبوين فقيرين في بلاد فارس واشتغل في شبابه خادما في بلاط أحمد باشا يشرف على تنظيم مائدة الطعام وترتيبها وكان أمينا مخلصا في عمله فحاز على رضا الباشا وثقته وصار يقدمه في المناصب حتى احتل مكانة مرموقة ٠ وكانت عادلة خاتون تعرف علي باشا منذ نعومة أظفاره وان ما وصل اليه من هذه المرتبة العليا انما هو بفضل والدها ولذا فقد كانت تنتظر بعد وفاة زوجها ان يشركها معه في حكم البلاد ٠ ولكن خاب ظنها فقد أراد علي باشا أن يحكم البلاد وحده وان يحكمها حكما صارما صحيحا ، وكان الينيچرية في بغداد أقوياء وبخاصة في أيامه ٠ فاذا ما صادفت وفاة باشا وتأخر قدوم باشـــا غيره ، كان هؤلاء الينيچرية هم السلطة المطلقة في البلاد ، في بغداد كما في البصرة ايضا ٠ وقد أراد علي باشا أن يقضي على شوكتهم على الفور ويجردهم من كل نفوذ ٠ ولما كان بين الينيچرية عدد كبير من الاهلين أيضا فقد

= ولما حاصرت قوات كريم خان مدينة البصرة سنة ١٧٧٥ م اعتقدت القسطنطينية ان عمر باشا تواطأ مع الفرس فنفسح لهم المجال لمهاجمة المدينة ومحاصرتها ٠ وقال عـدد من حاشية السلطان ان الفرس لا يريدون الدخول في حرب مع السلطان ولـكنهم قاموا بهذا العمل بغية اضعاف قوة باشا بغداد لانهم اغتاظوا لتنصيبه واليا على بغداد ٠ وقال آخرون ان عمر باشا اوعز الى كريم خان بارسال عدد من قواته للهجوم على البصرة لـكي يحرج السلطان من جهة ويظهر له انه بحاجة الى مساعدته في دفع الخطر ٠

ومن الغريب ان مثل هذه التهم كانت قد وجهت من قبل الى احمد باشا بانه اوعز الى نادر شاه بالهجوم على البصرة ومحاصرتها لـكي يبرهن على حاجة السلطان اليه فيضطر على ابقائه على ولاية بغداد اذا كان هو لا يريد ان يفقد البصرة ٠

ولذلك فقد اخذ السلطان يرسل عدة باشوات الى بغداد مع قوات كبيرة ، حتى توفق احدهم اخيرا في بداية سنة ١٧٧٦م باقناع عمر باشا بالذهاب الى اورفة واعطاء السلطان عهدا بتنصيبه واليا عليها ٠ ولـكن الاتراك كعادتهم لا يتمسكون بالعهود ، فقد قطع راس عمر باشا وأرسله الى القسطنطينية ٠ وهكذا اصبح على بغداد واليا من قبل السلطان نفسه فحررها من يد الفرس ٠

ولـكن في بداية سنة ١٧٧٧م كتب لي صديق رسالة من حلب يقول لي فيها ، ان واليا جديدا نصب على بغداد واسمه عبدالله وقد كان الكهيا في عهد عمر باشا ٠ ويظهر من ذلك ان سكان بغداد انتخبوه للولاية وما كان على السلطان الا الاعتراف بحكومته ٠٠

(المؤلف)

قاموا بالتعاون مع عساكر السلطان بالثورة والخروج على الوالي علي باشا مما اضطر علي باشا على مغادرة بغداد والهروب منها • ولكنه عاد بسرعة اليها بمساعدة رؤساء القبائل العربية واشراف بغداد الذين كانوا جميعهم أصدقاءه ، فأمر بقطع رؤوس عدد كبير من جنود الينيچرية • وعلى أثر هذه الحادثة ثار عليه صغار الباشوات في كردستان وقبيلة الخزاعل ايضا فجهز حملة عسكرية على الاكراد أدبهم بها واعادهم الى طاعته ولكنه اندحر أمام قبيلة الخزاعل وصار شعراء العرب ينظمون القصائد عن انتصار هؤلاء المعدان ويسبون فيها علي باشا ويشتمونه وأخذ الناس يرددونها في بغداد أيضا •

أما عادلة خاتون التي أصبحت لا تطيق الجفاء الذي يبديه علي باشا نحوها وتجاهله وجودها ، اشتد بها الحنق عليه لا سيما وانها لم تعد تستشار في أمر من أمور البلاد ، بل انها كانت لا تلقي صدى لمقترحاتها فعزمت على تدبير مؤامرة لخلعه واقصائه عن الباشوية خاصة بعد ان سمعت بأن الباشا يريد ابعادها عن بغداد •

كان علي باشا شيعيا متسترا ينتمي الى المذهب الذي يعتنقه الفرس والدليل على ذلك انه كان عديم الرحمة والشفقة في معاملته للاكراد وجنود الينيچرية لانهم كانوا من السنة وانه دحر نفسه أمام قبيلة الخزاعل لانها كانت تنتمي الى المذهب الشيعي • فانتشر الشغب عليه بين الغوغاء الذين أخذوا يستعيدون الذاكرة عن كل عمل قام به علي باشا يبرهن فيه على طائفيته وتعصبه للمذهب الشيعي وانتقامه بدافع هذه العقيدة من السنة • وهكذا نما الاعتقاد في قلوب الناس ان علي باشا رافضي حقا وانه يتحين الفرصة لانتزاع هذا الباشلق الكبير من السلطان واعطائه للفرس •

كان بين كبار بغداد خمسة رجال ، وكانوا كلهم شبابا ، اشتراهم الباشا السابق مماليك ثم انشأهم ورباهم وأدبهم على تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة • وكانوا يتناوبون فيما بينهم أهم مناصب الدولة الحساسة ، تارة في سراي الباشا وتارة في المقاطعات • وكانوا يعيشون مع بعضهم بعضا حياة الاخوة وكلمتهم كانت واحدة دوما ، وكانوا يعرفون علي باشا جيدا لانهم هم الذين أوصلوه الى مرتبة الباشوية ونصبوه واليا على بغداد • وكان المفروض فيهم أن يهتموا لهذه الاشاعات ويعملوا على قمعها ، كذلك كانوا يحملون احتراما كبيرا لحفيدة اولئك الباشوات وابنتهم وزوجة أحدهم ، أولئك الباشوات الذين كان لهم الفضل في ايصالهم الى هذا المركز المرموق ، تلك هي عادلة خاتون التي وان كانوا في أحوال كثيرة يمتعضون من تحكمها ومحاولتها فرض ارادتها عليهم •

وقد صادف ان مات أحد هؤلاء الخمسة فجأة ، فعرفت عادلة خاتون كيف تستغل هذه الحادثة وتثير البقية الاربعة وتؤلبهم على علي • فافهمتهم بأن

الباشا المذكور دس له السم وانه سيقضي على الاخرين بهذه الطريقة أيضا وان نواياه السيئة تجاههم وما يبيته لهم من شر قد أصبحت واضحة . فهو يحاول الان الحصول على موافقة السلطان بقتلهم جميعا . ولذلك فقد وجدوا أن من الضروري عليهم الاهتمام بحياتهم طالما أصبحت القضية قضية حياة أو موت . لقد كانوا هم الذين أرجعوه الى الحكم عندما طرده الينيچرية من المدينة والان فقد أصبحوا زعماء حركة الثورة التي عملت بسرعة في الخفاء وظهرت فجاة ، فرأى الباشا الناس جميعهم مدججين بالسلاح وثائرين عليه . لقد وجد علي نفسه وحيدا محاطا بالاعداء والمتآمرين فقرر الهروب من المدينة. فلبس ألبسة نسائية وأخذ يحاول أياما النفوذ من سور المدينة الى القبائل العربية لاستنجادهم وطلب المساعدة منهم ولكن لم يوفق حيث القي القبض عليه ، فاقتيد الى السراي وأعدم هناك . وعلى أثر ذلك اجتمع الديوان ودعا جميع رؤساء البلدة لانتخاب أحد الرجال الاربعة باشا على بغداد. وقد اعتذر اثنان منهم عن قبول هذا المنصب لانهما اعتقدا أن عمر الذي يتقلد منصب الكخيا(٥٤) هو أحق منهما بتسنم منصب الباشا على بغداد ثم لانه زوج البنت الصغرى للباشا العظيم أحمد باشا . وكان أحد الاشخاص اسمه محمود وهو المتسلم على البصرة غائبا عن اجتماع الديوان ولم يشترك في الانتخاب بينما كان عمر حاضرا . على أن الشعور نحو عمر ورأي الناس فيه كان بأنه رجل ليس من الوزن الثقيل ولا يمتاز بشخصية قوية ولم يكن ضابطا مشهورا بشجاعته ولكن لاجل زوجته وشعبيتها ، فقد كانت محبوبة من جميع الناس ، لاسيما وانها نكبت بزوجها الذي قتل ظلما وعدوانا ثم للمعاملة السيئة التي كانت تلقاها من اختها المتغطرسة . فلهذه الاسباب جميعها انتخبوا الكخيا عمر باشا واليا على بغداد وأرسلوا بذلك تقريرا مطولا الى السلطان ، شرحوا فيه أسباب مقتل الوالي وانتخابهم الكخيا عمر قائلين فيه : أن علي باشا كان خائنا وانه كان ينوي اعطاء مدينة بغداد للفرس وانه قام بأعمال أثارت الرأي العام وأهاجتهم ، فهجموا عليه وقتلوه . كما أن العرب والاكراد على حد سواء كانوا ثائرين عليه وقد دخلوا البلاد فأصبحت نتيجة ذلك في فوضى واضطراب قد يؤديان الى عاقبة وخيمة . ولذا فانهم وجدوا في الكخيا عمر أحسن رجل يليق بحكم البلاد في هذه الظروف العصيبة . وقد اختاره الديوان ورجاه لتسلم الحكم في البلاد ، وهم يأملون الحصول على رضا السلطان وموافقته على هذا التعيين .. الخ . وفي صيف سنة ١٧٦٤م تسلم عمر فرمان الباشوية بتعيينه واليا على باشلق بغداد .

---

(٥٤) الكخيا : ويقال الكهيا ، وهو أكبر موظف في الولاية بعد الوالي ، واصل الكلمة فارسية (كتخدا) ، ودائرة الكهيا منفصلة عن سراي الباشا وفي كل صباح كان يذهب فوج من الجند الى دائرته لجلبه بمراسيم خاصة الى مقر الباشا ، وحين وصوله الى هناك يتابط ذراعه (كهيا البوابين) ويرافقه حتى رأس الدرج حين يستقبله (الخزينة دار) ومن هناك يوصله الى الباشا فيعرض الكهيا اجراءات اليوم السابق ويتلقى الاوامر الجديدة لعمله اليومي ، ثم يعود بعد ذلك الى مقر عمله بنفس المراسيم اذا اقتضى الامر الاتصال بالباشا (راجع العمري ص ٥٥) (س١٠) .

وفي السنة التي تلت تنصيبه واليا على بغداد ، سار عمر باشا بقوات كبيرة لتأديب قبيلة الخزاعل وأضرم النار في بلدة «مللوم» مقر رياسة الشيخ(٥٥) وأمر بقطع رأس ستة من رؤساء القبيلة أو سبعة منهم. وأرسل هذه الرؤوس المقطوعة مع تقرير الى القسطنطينية يشرح فيه للباشا قضاءه على عصيان القبيلة وتأديبه أفرادها وما أحدثته حملته الموفقة هذه من فزع بين القبائل العربية ٠

وانهالت التهاني على الباشا ولكن ما لبث شيخ قبيلة الخزاعل الذي هرب من أمام الباشا ، أن رجع وخلع الرئيس الذي كان الباشا قد نصبه مكانه ٠ فاضطر الباشا على الخضوع للامر الواقع ولكن بعد أن قدم له رئيس عشيرة الخزاعل الضمانات الكافية والتأكيدات على اخلاصه وولائه له ٠ لم تكن قبيلة الخزاعل الوحيدة في احداث الصداع لوالي بغداد، فقد كانت هناك قبيلة كعب(٥٦) تقلق راحة الباشا من وقت لاخر أيضا ٠ وكانت لا تمر سنة من غير أن يضطر فيها الباشا على تجهيز حملة عسكرية ضد القبائل العربية والكردية ٠ وكان الباشوات بنتيجة ذلك يتكبدون النفقات الباهضة وكانوا يعرفون أيضا كيف يغالون في زيادة هذه المصاريف عند تقديم حسابها للسلطان ٠ وقد أكد لي أحد الناس في بغداد أن السلطان لم يحصل في السنوات الاخيرة على أي خراج من هذه الولاية الكبيرة ٠

كانت زوجة عمر باشا لا تختلف عن اختها عادلة خاتون في معاملة زوجها ، فلم تسمح له بالزواج بالرغم من انها كانت عاقرا ، كما لم تسمح له باقتناء الجواري وهكذا بقي عمر باشا من غير وريث ٠ ولهذه النتيجة فان الاتراك لم يكترثوا لاسرة أحمد باشا أو يخشوها اذا ما توفي عمر باشا ٠

لقد تعود السكان في السنوات الاخيرة أن ينتخبوا الباشا الذي يريدونه وكان على السلطان أن يوافق على كل من ينتخبونه مخافة أن يخرج هذا الباشلق الجميل الغني من يده ويقع في حوزة الفرس ٠

أن شكل الحكومة في بغداد كان على طراز نظام الحكم في القسطنطينية تماما ٠ فالباشا بيده جميع السلطات والتشريعات وهو الحاكم بأمره على هذه الولاية الواسعة ، يديرها ويسيرها بحسب ما يشاء ٠ أما القضايا الهامة والخطيرة جدا فانها تعرض على الديوان للنظر فيها والبت بها ٠

والناس البارزون الذين لهم الحق في ابداء رأيهم ومشورتهم في هذا المجلس الاستشاري هم :ـ

---

(٥٥) كان رئيس قبيلة الخزاعل هو الشيخ حمود (س٠أ) ٠

(٥٦) قبيلة (بني كعب) من القبائل العربية التي كانت ولا تزال تقطن منطقة عربستان وبنو كعب بطن من بطون عامر بن صعصعة كما ذكرته كتب الانساب (س٠أ) ٠

الشـيوخ والمجـربون ومن بينهم كخيـا الباشا ومتسلم البصـرة وحاكم مقاطعة ماردين وجميع الحكام السابقين للمدن والمقاطعات والمقيمون في بغداد وسواء كانوا في الوظيفة أم خارجها ٠

الباش أغا وهو رئيس فرقة الخيالة (رئيس اللاوند) ٠

الاغا أو القائد الاعلى لقوات الينيچرية ٠

رئيس العلماء ٠ وهذا لقب لا يحتاج الى فرمان السلطان وانما ينتخبه العلماء ويشترط أن يكون ممن له شهرة واسعة في البلد في العلوم الدينية والوعظ ولذلك فان هذا اللقب ليس معروفا في تركية(٥٨) ٠

القـاضي (حاكم المدينة) وهـو من جماعـة المـلالي ويبـدله مفتي القسطنطينية كل سنة ٠

مفتي المذهب الحنفي ٠

مفتي المذهب الشافعي ٠

نقيب الاشراف وهو الرئيس الاعلى للسادة من سلالة محمد (ص) في هذا الباشلق ٠ ونقيب الاشراف هذا يكون في الوقت نفسه المتولي على أوقاف جامع الشيخ عبد القادر الگيلاني ورئيس تكيته والمشرف على ادارته ٠

خطيب جامع الشيخ عبدالقادر الـگيلاني أو الواعظ فيه ٠

خطيب السر مذهب(٥٩) (Zermashab) أو الواعظ في جامع الامام أبي حنيفة ٠ ثم القائد الاعلى لدى الباشا وهو الكهيا ٠ وهو في الوقت نفسه وزير الدولة والقائد ومركزه عند الباشـا لا يختلف بشيء عن مركز الوزير عند السلطان ٠

وكان في أيام زيارتي لمدينة بغداد شخص يدعى عبدالله بك(٦٠) وهو الاخ الاصغر لرئيس قبيلة العبيد ٠ لقد كان في الواقع (بلوك باشي) فقط أي ما تعادل رتبته رتبة رئيس في الجيش وكان في فرقة الفرسان ٠ وكان الباشا لا يكتفي باستشارتـه في المشـكلات التي تحدثهـا القبائل العربية وطريقة الهجوم عليها وتأديبهـا فحسب بل انه كـان مستشاره ومعتمده في الامور الاخرى ٠

---

(٥٨) ربما كان رئيس العلماء استاذا في المدرسة (الاكاديمية) الموجودة اليوم (المؤلف) ٠
تعليق : ربما يقصد نيبور بالمدرسة الاكاديمية، المدرسة الدينية في جامع الامام الاعظم (س٠أ)

(٥٩) السر مذهب ـ يعني المذهب الرئيسي ويقصد به المذهب الحنفي ـ المذهب الرسمي للدولة العثمانية (س٠أ) ٠

(٦٠) عبدالله بك الشاوي من مشايخ عشائر العبيد وقد اعدمه الوالي عمر باشا اثناء الحملة التي جردها هذا الوالي الى جنوبي العراق ، بعد اختلافه معه (س٠أ) ٠

واضافة الى ذلك فقد كانت للباشا مجالس استشارية عديدة ، تدعى مصاحب (Musaheb) وكانت تزاول سلطات وواجبات مهمة ٠

ومن جملة الموظفين البارزين في بغداد ، الدفتردار أو مدير الخزينة(٦١) ٠ ثم ديوان أفندى أو سكرتير الدولة وكذلك قاپوچي كهيهسي وهو الموظف الذي ينوب عن الكهيا عند غيابه ٠

ثم حرم كهيهسي أو رئيس بلاط حرم الباشا(٦٢) ٠ وسلام اغاسي أو رئيس التشريفات وميرآخور أي رئيس السياس أو المشرف على ادارة الاصطبلات ٠ وجاوشلر كهيهسي أي رئيس موظفي المحاكم ، وهذا يلازم الباشا دائما ويكون برفقته ٠ ثم جاوشلر أميني ويكون بمعية الكهيا ليتلقى منه الاوامر ٠

ولباشا بغداد موظف خاص يدعى قپوطان پاشا وقد ورد ذكره عند الكلام عن البصرة(٦٣) ٠ ويقوم الباشا بتعيين الموظفين لجمع الضرائب والخراج (ويجمع الخراج من النصارى واليهود) ٠

ولجميع الباشوات وبالاخص باشوات بغداد عدد كبير من الايج أغاسي وهم عبارة عن حرس خاص يكون في خدمة الباشا فقط ٠ فاذا ما ركب الباشا الى ديوان الحكومة (السراي) فانهم يتبعونه ويسيرون خلفه بألبسة قشيبة وبخيول جميلة مطهمة ويمشي وراء كل حصان سائس ليشرف على الحصان ويمسك زمامه ٠ وهؤلاء يكونون تحت أمرة الخازندار أو المحاسب والسلحدار أو حامل السيف ٠ وللاول سلطان عليهم في داخل المدينة فقط أما في وقت الحرب فانهم يخضعون لامرة السلحدار ٠

أما الضابط الثالث المتنفذ فهو الجوخدار أغا ٠

---

(٦١) والدفتردار في بقية المقاطعات يرتبط رأسا بالسلطان وقد استطاع باشوات بغداد في الفترة الاخيرة ان يعينوا الدفتردار ، أي انهم يختارون من يريدون ليجعلوه رقيبا عليهم في جمع الاموال وصرفها (المؤلف) ٠

(٦٢) وكان هذا من الطواشي (الخصيان) ٠ المترجم ٠

(٦٣) ذكر نيبور عن القابوطان باشا عند كلامه عن البصرة في الجزء الثاني من كتابه « صفة جزيرة العرب » ص ٢١٣ ما يلي :

« القابوطان باشا صاحب مرتبة عالية ، يعينه السلطان بجانب الباشا أو الوالي ٠ ولا يختار لهذا المنصب الا الاشخاص من طبقة رفيعة ٠ وكانت تحت أمرته حين زار نيبور البصرة ٥٠ ـ ٦٠ تكني (Takne) (وهي سفن حربية لها سطوح مستوية) ٠ وكان واجبه ، ملاحقة القراصنة وتعقيبهم في نهري دجلة والفرات ومنطقة الخليج بأسرها ٠ وكان تحت أمرة السلطان الا ان الباشا كان يحاول جعله تحت نفوذه ٠

وكان مقره في مدينة مناوي (Menaui) في حين كان المتسلم (الوالي) يسكن البصرة ٠ (المؤلف)

تعليق :
أما أهل بغداد فيطلقون لفظة القبطان ٠ وهي من الافرنسية كابيتان ٠ (س٠أ) ٠

وهنــاك اربعــة وعشرون من هؤلاء الايچ أغاسي لهــم ترتيباتهــم وتنظيماتهم الخاصة بهم ويكونون دائما في خدمة الباشا ٠

وأود أن أذكر منهم هذه الاسماء التالية فقط :

القفطانچي وهو الشخص الذي يشرف على البسة الباشا ٠

الابريقدار وهو الذي يسكب الماء على يد الباشا أو على رجليه وجسمه عند الاغتسال ٠

الصوچي باشي وهو الذى يسقي الباشا الماء (الساقي) ٠

القهوچي باشي ، وهو الذي يقوم بتحضير القهوة (القهواتي) ٠

الايچ كيلرچي ، وهو الذي يشرف على اعداد الحلويات وحفظها ٠

الرختوان ، وهو الذي يشرف على عدة الخيل ٠

الايچ محضر باشي ، وهو الذي يشرف على السجاد ونظافة القصر ٠

ومن ضمن الايچ أغاسي ، اللالا (LaLa) وهو رئيس الغلمان ، ويكون تحت اشرافه عدد كبير من الغلمان من الاولاد بعضهم من النصارى والكرج أو من المقاطعات الاخرى ويشرون مماليك ٠ كما من بينهم عدد من الاولاد المسلمين ٠

وهؤلاء جميعهم يكونون تحت ادارة هــذا اللالا واشــرافه حيث يقوم بتهذيبهم وتعليمهم الديانة الاسلامية والقراءة والكتابة وركوب الخيل وفنون الحرب ٠

والذي يبرز من بين هؤلاء الغلمان في الذكاء والشجاعة يقدم ويرقى شيئا فشيئا الى رتب الايچ أغاسي والوظائف الرفيعة الاخرى دون الالتفات الى أصله ونشأته الاولى ٠ أما الآخرون الذين لا يظهرون أمثال هذه الكفاءات فانهم يظلون مماليك ولا أمل لهم في الحصول على مراتب الشرف ٠ ويحق لجماعة الايچ أغاسي أن ينمــوا له الشوارب ، فاذا ما تقــدموا في مراتب الشرف يدعون عندئذ صقالي أغاسي (Sakalli Agasi) أو سكاملى أغاسي (Skâmli Agasi) فيحق لهم أن ينموا اللحى ٠ وقد كان للباشا من هــذا الصنف الاخير نحو من مائة وخمسين شخصا ٠

ويدخل ضمن طبقة الايچ أغاسي ، الجوخدار والمحظر باشي وهؤلاء يسيرون على القدم ، ويكون الجوخدارية تحت امرة الجوخدار اغا ويقومون بمهمة أكثر شرفا من مهمتهم السابقة وهي تبليغ أوامر الباشا الى المقاطعات ٠ أما المحضرية فان مهمتهم في اثناء المعارك الاشراف على الخيم والقيام باعمال أخرى تتعلق بنصبها ورفعها وتنظيفها ٠

واذا ما ركب الباشا الى الجامع للصلاة ، فانه يخرج باحتفال مهيب فيسير التفنكچي باشي بجانب حصانه والمطارچي باشي في الجانب الاخر ثم عدد كبير من الموسيقين وكذلك الايچ أغاسي وجميعهم يمتطون الجياد ٠

ثم يخرج برفقته عدد اخر من الموظفين ومن الخدم ، منهم العلوه جاووش Aloi Tshaus (٦٢) وسراج باشي والقواص الشاطر(٦٣) ٠٠ الخ ٠ وعدد آخر لا أعرف وظائفهم ٠ ان الايچ أغاسي هم أحسن عساكر الباشا ما لديه منهم في بغداد سواء أكانوا من الخيالة أم من المشاة يقرب من ثمانمئة رجل ٠

أما الكخيا وكبار الشخصيات في بغداد فان لهم اوج أغاسي أيضا وعددهم نحو مائتي رجل ٠

وفرسان الباشا الذين يعرفون في هذه الولاية باللاوند ، والذي يقع معظمها في الحسكة(٦٤) والحلة لتأديب القبائل العربية ، تتكون من مئة بيرق ولكل بيرق خمسة وعشرون رجلا عند اكتمال العدد ولكن عددهم في الغالب يقدر بنحو الف وخمسمئة فارس ٠

أما فرق المشاة التي تعرف بفوج البراطلي(٦٥) Baratoli فتتكون من

---

(٦٢) من المحتمل ان تكون اللفظة الصحيحة آلاي چاووشي (س٠أ) ٠

(٦٣) سراج باشي ــ الشخص المسؤول عن ملاحظة سراج الحصان أو الفرس عند ركوب الباشا جواده ٠ اما القواص أو (القواس) أي حامل القوس ويتراوح عددهم ما بين اربعة الى ستة أشخاص فواجبهم مرافقة الباشا (س٠أ) ٠

(٦٤) الحسكة ــ وهي موضع الديوانية الحالية وينسب اليها الغناء والشعر الشعبي المعروف ب (الحسچة) (س٠أ) ٠

(٦٥) البراطلي أدرج الاستاذ سعاد هادي العمري التعليق التالي على هذه الكلمة « حسب المؤرخ الفاضل الاستاذ عباس العزاوي هو (براتلي) أو حائز على (البراءة) أي الامتياز وهذا صحيح ٠ حيث ان هؤلاء الجنود على أغلب الظن من الجنود المسمين في بقية الالوية (جبه‌لى) والذين كان يجلبهم اصحاب البراءة وهم ال (تيمارلى سباهيسي) لان التيمار والزعامة لم تكن تعطى لغير السباهية أو الخيالة ٠ وكان التيمار يعطي لصاحبه طوال الحياة وحين وفاة صاحبه كان الباشا يوصي به لابن المتوفي عادة بتذكرة الى استانبول وبعد عرضها تصدر (البرات = البراءة) بذلك من الديوان الهمايوني ٠

فحينما يفتح العثمانيون مملكة ما ، تقسم الاراضي الى الخاص ، الزعامة ، التيمار والوقف ٠

والخاص : يشتمل على الاقسام التي تزيد وارداتها على ١٠٠ الف آقچة ، وتعطى للسلطان وعائلته ، كما تعطي للوزراء والولاة أيضا الا انها كانت بالنسبة اليهم مرتبطة ببقائهم في المنصب ، وكان على كل صاحب (خاص) ان يقدم جنديا (جبه‌لى) اثناء نشوب الحرب عن كل خمسة آلاف آقچة ٠

اما الزعامة : فهي الاقسام التي تتراوح بين ٢٠ الف الى ١٠٠ الف آقچة وتعطى هذه الى كبار الموظفين في الولاية فمحافظي القلعة طول حياتهم على الاكثر ، وعلى اصحاب الزعامة ، أيضا جلب جندى عن كل خمسة آلاف آقچة اثناء نشوب الحرب ٠

التيمار : أما الاقسام التي تتراوح وارداتها بين ٣ آلاف آقچة و ٢٠ الف آقچة فتسمى ب (التيمار) وتعطى طوال الحياة وعلى صاحب (التيمار) ان يقدم جنديا حين نشوب الحرب عن كل ثلاثة آلاف آقچة يستثنى منها الثلاثة آلاف آقچة الاولى ٠

وكانت أراضي وبساتين (الخاص ، الزعامة والتيمار) تحت تصرف مالكيها من المواطنين =

ثلاثين فصيلا وكل فصيل يحتوي على أربعين رجلا · وعدد هذا الفوج ثمانمائة رجل تقريبا ·

ويقدر عدد التفنكچية والجنود بامرة الباشا بمئتين ، ويبلغ عدد جيش الباشا نحوا من ثلاثة الاف وخمسمئة جندي ·

واضافة الى ذلك فان في بغداد قوات كبيرة من الينيچرية والمدفعية ولكن هذه القوات تابعة للسلطان وليس للباشا الحق في اصدار الاوامر اليها للتقدم الى الجبهات عند قيام القبائل العربية أو الكردية بالثورات والاضطرابات · ويعتقدون أن مهمتهم تقتصر على المحافظة على المدينة والقلعة ضد أي هجوم معاد للسلطان · ويخضعون لاوامر عدد من أغوات الافواج في القسطنطينية الذين يرسلون لهم الضباط · أما معظم الجنود فهم من سكان بغداد ويحبون الباشا لاسيما اذا ما تردد لزيارتهم ·

ولا أعلم بالضبط عدد الجنود الينيچرية في بغداد ، كما لم استطع الحصول على معرفة عددهم أيضا ولكن قال لي البعض أن عددهم عشرة الاف جندي وذكر البعض الاخر انهم عشرون الف جندي · واضافة الى هذه المعلومات فان عددا كبيرا من السكان قد سجلوا اسماءهم في قوات الينيچرية ابتداءا من الاغوات الكبار الى الحمال ، رغبة في الحرية التي تتمتع بها قوات الينيچرية ولحماية أنفسهم في أوقات الخطر · ولجميع أفواج الينيچرية ألبسة خاصة ولاسيما القبعات التي تميز بعضها عن بعض وبالاخص قوات السلطان عن قوات الباشا · وعلى أي حال فانني رأيت الجنود يلبسون ما يحلو لهم من الالبسة ان كانوا من قوات الباشا أم من قوات السلطان · وفي بقية المقاطعات العثمانية ليس للبراطليين واللاونديين ذكر أو هناك من يعرف عنهم شيئا ، بل يسمى الناس أمثال هذه القوات فرسان الباشا وقوات الديلي (دلي) والتفنكچية والسگمانيين ·

واذا ما احتاج الباشا الى تجهيز جيش يسيره على الاعراب والاكراد فانه يجتمع بضباط الافواج التي مر ذكرها لتقديم العدد اللازم من العساكر التي يحتاجها لحملته وتدعى هذه القوات المؤلفة (سردن كجدي Serdingsdi)[٦٦] · ثم يجمع المتطوعين من الناس ويرسلهم

= الاصليين بموجب الحجج والسندات الا ان ضريبتها كالعشر الشرعي ورسوم الفراغ والانتقال تدفع الى صاحب (الخاص أو الزعامة أو التيمار) حسب نوع الارض ·

وبهذه كان هؤلاء (أي اصحاب الخاص والزعامة والتيمار) على أهبة السفر على الدوام ولهم خيالة مجهزة باسلحة وافية ويطلق عليها اسم (تيمار سباهيسي) ويزيد عددهم على عدد الانكشارية · (راجع سعاد هادي العمري في ترجمته رحلة نيبور الى بغداد · ص ٦٤ ـ ٦٥) (س·أ)

(٦٦) سردن كجدى ـ المعنى الاصل للعبارة هو المتطوعون من الفدائيين الذين يهجمون بين صفوف الاعداء ، ثم أخذت تطلق في ولاية بغداد ـ على الاخص ـ على كافة المأجورين للحملات الخاصة · (انظر العمري ص ٦٧) (س·أ) ·

الى الميدان لمقابلة العدو بغير أن يقوم بتدريبهم على استعمال السلاح • وبعد شهرين من تجهيز هذه الحملة وغالبا ما لا تستغرق هذه المدة ، يسـرح الباشا المتطوعين •

وفي أثناء اقامتي في بغداد جمع الباشا عشرة بيارق ، قوام كل بيرق اربعون جنديا، ووجهم في حملة علىقبائل [بني] كعب في البصرة• وقد التحق خادمي الذي استأجرته من حلب بجيش المتطوعين مقابل حصوله على بندقية وأصبح سردن كجدى • وطلب مني أن احتفظ له بالنقود التي وعدته بهـا لارجاعه الى بلده حلب • وقد سالته ذات مرة عندما كان يدعى الى الالتحاق بالبيرقدار عما اذا كان المجندون يدربون على السلاح ؟ فأجابني أن الضابط يدعوه للصـلاة معه وقراءة الفاتحة ، ثم يتـكلم عن ما يحتاجـه الجنود من المعدات والتجهيزات للسفر ثم يعطيه المال اللازم لشراء هذه المعدات • وقد كان يثق به لامانته واخلاصه •

واذا ما احتاج الباشا الى قوات أكثر عددا من الذي جمعه فانه يقوم بجمع الرجال لحمـل السلاح من المقاطعات الاخرى من البصرة والحسكة (Hoske) وماردين وكردستان ومن القبائل العربية الرحالة التي تتجول في منطقة نفوذه « ايالته » ، فيجمع منهم على أقل تقدير ستة وثلاثين الف رجل وينتخب منهم نحوا من عشرة آلاف رجل صالح للحرب •

* * *

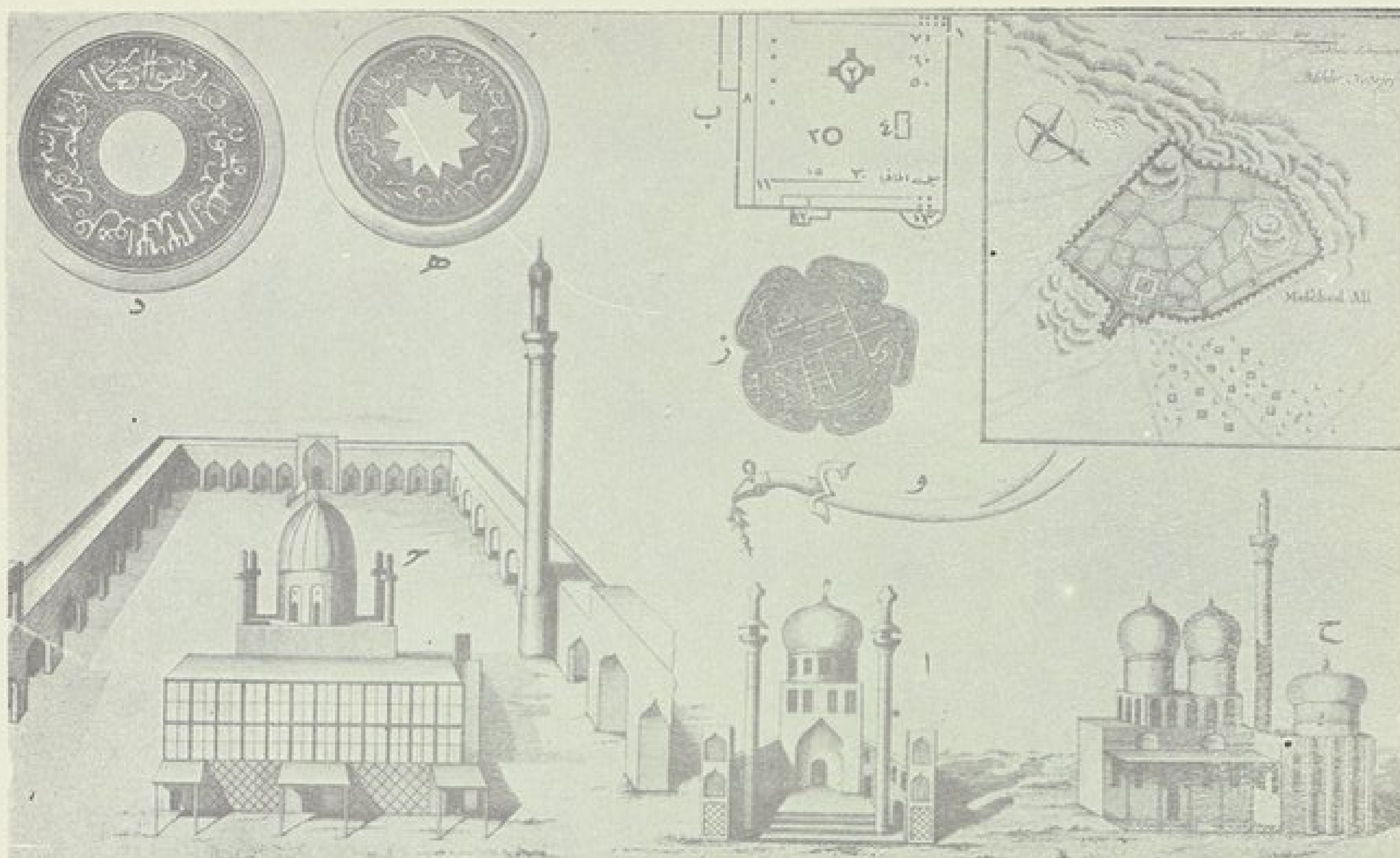
تفاصيل الشكل ـ ٤(*)

أ ـ مشهد الامام علي في النجف ٠
ب ـ مخطط مسجد الكوفة وتشير الارقام الى :
١ ـ باب الفيـل ٠
٢ ـ السفينة ٠
٣ ـ سقاية ماء (سقاخانة) ٠
٤ ـ محراب صلى فيه موسى الكاظم ٠
٥ ـ مقام سيدنا عيسى ٠
٦ ـ مقام سيدنا موسى ٠
٧ ـ مقام سيدنا ابراهيم الخليل ٠
٨ ـ مقام الامام زين العابدين ٠
٩ ـ مقام النبي نوح ٠
١٠ـ بيت النبي نوح ٠
١١ـ قبر جعفر بن معمر(**) ٠
١٢ـ قبر مسلم بن عقيل (وعليه كتابة تقول ان « محمد بن محمود الرازي » و « ابو المحاسن ابن احمد التبريزي » قد شيدا هذا الاثر في عام ٦٨١ هـ ٠
ج ـ مشهد الامام الحسين بكربلاء ٠
د ـ خارطة مدينة النجف (مشهد علي) ٠
هـ ـ
د ـ تربتان (مفردها تربة وهي قرص من الطين) للصلاة ٠
و ـ سيف ذي الفقار ٠
ز ـ خاتم النبي ٠
ح ـ المشهد الكاظمي (جامع الكاظمين)(***) ٠

(*) اعتمد في ذكر التفاصيل على كتاب « مشاهدات نيبور في رحلتـه من البصرة الى الحلة ، ص ٨٤ ، (طبع ببغداد ١٩٥٥) ٠ (س١٠) ٠

(**) راجع الكتابة التي على القبر في الشكل ـ ٣ أ ، ص ٥٣ من هذا الكتاب ٠

(***) راجع الكلام عن المسجد المذكور في ص ٤٠ ـ ٤١ ٠



الشكل ـ ٤

صورة جامعة لعدد من المشاهد والآثار من بينها خارطة مدينة النجف (ا نظر التفاصيل في الصفحة المقابلة)

اهم مدن الباشلق

ان أهم المدن التي تقع في هذا الباشلق هي :ــ البصرة واروبل (اربل) وماردين والديوانية (الحسكة رسميا) وقزاني (Kasani) ورماحية (Romahie) ومشهد علي وكربلاء وطاووق والطون كوبرى وقرەطاغ (قرەداغ) (Karadagh) ومندلى وبدره وخراسان ومهروت (Mahrud) وبهرز (Bohrus) وقزلرباط (Kirsobad) وخانقين (Chanaken) وقصر شيرين (على الحدود الايرانية) وشهربان (Schâhr Abân) وحرانية (Harranie) وينكجة (Jenksji) وبردان (Baradan) ودجيل (Dedsjal) وتكريت وسامرا والدور (Dur) وزنكاباد (Zenkabad) وبلاد دروزين (بلدروز) (Bellâd-Drusin) وخرنابات (Charnabat) وعانه (وتقع هذه البلدة والاماكن التي تليها على نهر الفرات) وجبه (Dsjubbe) وهيت (Het) وحديد (Hadid) والروس (Errus) [٦٧] وكبيسة (Kabase)

لقد شاهدت في خلال سفرتي عددا قليلا من هذه الاماكن أما البقية فلم أعرف موقعها بالضبط ولكنني وددت أن أدرج أسماءها لعلها تفيد الباحثين والعلماء في حقل الجغرافيا ٠ كما أود أن أسترعي انتباه الرحالين الى التسمية التي وردت في قرية دروزين ، عما اذا كان يسكنها الدروزيون أو سبق لهم أن سكنوها ؟ أما فيما يتعلق بصحة التسمية العربية لهذه البلدان وطريقة كتابتها فلا أستطيع الجزم بصحتها لان الملا الذي كتبها لي كان لا يحسن الكتابة جيدا ولكنني كتبت أسماءها بالالمانية أيضا كما سمعتها[٦٨] ٠

ان الاكراد والبدو لايرضون أن يعين لهم الباشا حاكما تركيا ٠ فهم يصرون على أن يترأسهم أحد رؤسائهم الذي يجب أن يكون من القبيلة نفسها ولذا فهم يقترحون اسم أحد شيوخهم على الباشا وعليه أن يوافق على تعيين الرئيس الذي يقترحونه ٠ ولقد ذكرت عددا من أسماء القبائل العربية في مواضيع سابقة واخرى عند بحثي عن صفة جزيرة العرب ، وأود أن أشير بهذه المناسبة الى أن عددا من القرى التي في حوزة الباشا تدفع له جزية كل سنة ٠

---

(٦٧) من المرجح ان نيبور يقصد ب (حديد) الحديثة ، والروس هي آلوس (س١٠) ٠

(٦٨) آثرنا ابقاء اسماء المدن على الصورة التي كتبها نيبور بالعربية باللفظة التي سمعها من الملا كما اشار هو نفسه الى ذلك في نهاية هذا الموضوع ٠ (المترجم)

كردستان

لم أصل كردستان ولذلك فاني أسرد هنا ما سمعته في ولاية بغداد من الاخبار عن هذه المنطقة ، ذلك لان القسم الاعظم منها خاضع اليوم لنفوذ الباشا .

ان كردستان بلاد جبلية وعرة المسالك وهي منطقة خصبة جدا كثيرة الخيرات والاثمار ، وهي غنية بالاخص بأشجار البلوط والعفص حيث ترسل منه كل سنة كميات كبيرة الى حلب ومن هناك الى أوربا كذلك تشتهر بالمن ويستعمل في هذه البلاد بدل السكر . وينبت فيها القطن والرز والتبغ والعنب والتين والكراب (Krab) (Fua) ومن حاصلاتها القز وهو حرير خشن والماستيك (المستكي او العلك) ولكنه ليس بجودة العلك الذي يأتي من جزيرة خيو (Chio) وبرغم ان سكان هذه المنطقة يخضعون لحكم الباشا الا انهم يحكمون من رؤسائهم ولذلك فقد حافظوا على لغتهم التي تنقسم الى ثلاث لهجات . فاللهجة الدارجة في منطقة كوي سنجق تكثر فيها المفردات الكلدانية والعربية . أما اللهجة الدارجة في شمالي كردستان ففيها مفردات كثيرة من اللغة التركية .

قره چولان أو قلعة چولان (Kolla Dsjolan)، وهي أوسع منطقة في بلاد كردستان الخاضعة لنفوذ السلطان وتحكمها اسرة صوران (Suran) وهي أحد أفخاذ قبيلة بوبة (Bôbbe) (٦٩) ورئيسها يدعى باشا ولا يختلف في مرتبة الباشوية عن الباشوين الكرديين الآخرين ذلك لان مرتبته الباشوية تصدر من باشا بغداد بطوغة واحدة فهي أقل مرتبة من مرتبة البكاوية التي يمنحها السلطان وبطوغة واحدة أيضا(٧٠) .

ويتنافس عدد كبير من أفراد هذه الاسرة على الحصول على مرتبة الباشوية ولذلك فان باشا بغداد يعين دائما باشا من هذه الاسرة ولكن من يقدم له أكثر مالا من الآخر . وباستطاعة المرء أن يدرك مدى ما تلاقيه هذه الرعية المسكينة من اضطهاد مزدوج ، من الحكم الجائر : حكم الاتراك الظالم وحكم الارهاب الذي تفرضه هذه الاسرة الحاكمة على أكراد قلعة چولان ومنطقتها ، ولهذا فلا توجد في هذه المنطقة بلدة أو قرية . وقلعة چولان نفسها قرية صغيرة فقيرة واذا ما أردنا أن نضرب مثلا على أخلاق أمة ما ، لوجود صفة واحدة بارزة فيها ، فان ذلك ينطبق على الاكراد : انهم شعب يحب الانتقام ويتفانى في أخذ الثار . فقد حدث قبيل وصولي الموصل أن بات ملا ليلته في قلعة چولان فقام في الليل وذبح الباشا في فراشه لانه أعدم أخاه .

---

(٦٩) القبيلة البابانية المعروفة . وقد نقل الرحالة ريج ، المقيم البريطاني ببغداد الذي زار منطقة السليمانية قولا عن اصل البابانيين انهم من الكرمانج من بشدر وان (ببه Bebeh) او بابان لقب أسرته . (س٠١) .

(٧٠) راجع الهامش (٣) على صفحة (٢٧) من هذا الكتاب (س٠أ) .

وفي القسم الجنوبي من منطقة كردستان التابع لمقاطعة باشا قلعة چولان ، تقع منطقة شهرزور (شهر الصول (Schahhressul) وقد كانت فيما مضى پاشلقا كبيرا • ثم قرية گل عنبر (Gulumbar) (٧١) وهي قرية تقع بين كوي سنجق وكركوك وقد كانت الى زمن قليل مركزا لاقامة الباشا •

أما عن سرداوا (Serdaua) وبازيان(Basean) وميرگه (Margi) زنگنه (Sangana) وآغجلر (Agsjaller)فلم أسمع عنها أخبارا مهمة تذكر ما خلا كونها قرى في كردستان • وهناك قلعة صغيرة تدعى سردشت (Surdast)

* * *

أما الباشا الكردي الثاني ، والذي يخضع لباشا بغداد ويدفع الجزية أو بالاحرى يقدم له كل سنة ثمن باشويته فانه يسكن في كوي‌سنجاغ (كويسنجق) (Koi Sandsjak) وهو موقع معروف يبعد عن اربيل مسيرة ثلاثة أيام وعن الطون‌كوپري مسيرة يومين • ولقد عرفت من القرى‌الواقعة في منطقته قرية روش(Rosch) وقرية موران‌Mauranوقرية دووين(Dowin) وربما كانت مسقط رأس أيوب والد البطل المشهور صلاح الدين الايوبي • ثم بلباس (Belbos) وهي قرية كبيرة فوق جبل عال ، تبعد عن الموصل مسيرة أربعة أيام أو خمسة أيام • وبلباس اسم لعشيرة متنقلة وتتشعب منها أفخاذ كثيرة تنتشر في بلاد فارس وسورية •

راوندوز وتقع بحسب الوصف الذي قدمه لي أحد الاهلين في واد صغير على جبل شديد الانحدار ويتصل بها طريق واحد ضيق • وقد قيل لي ان سكان هذه المنطقة لايدفعون لباشا كوي‌سنجق الا شيئا يسيرا من المال • والسلطة فيها لاتبقى في يد اسرة واحدة كما ان السكان لايسمحون للباشا أن يرسل لهم من يحكمهم من رؤساء العشائر الاقوياء المجاورة • فاذا ما توفي حاكم المدينة فانه تنشب حرب أهلية بين فريقين كما هو الشائع بين المسلمين وتستمر حتى يتفوق فريق على الآخر فينتزع لنفسه السلطة •

والباشا الكردي الثالث ، الذي يخضع لنفوذ باشا بغداد ، يدعى باشا درنه وهذا يحكم في زهاو (Sehau)وهو مكان يقع على الحدود الفارسية •

وفيما يلي عدد من القرى والمناطق الكردية التي لا تخضع لنفوذ باشا بغداد وهي اما أن تكون مستقلة استقلالا تاماً أو انها تدفع الجزية والهدايا للباشوات المجاورة لها وهذه هي عميدية(٧٢) وهي قلعة حصينة تقع على جبل

---

(٧١) « گل عنبر » وتكتب گلعنبر ومعناها ورد العنبر وهي اليوم مركز ناحية خورمال • وتقع الى‌الشمال من مركز قضاء حلبجة وليست‌كما ذكرها نيبور بين كركوك وكويسنجق (س٠أ)٠

(٧٢) يكتب الرحالة نيبور اسم العمادية : عميدية باللهجة الموصلية • (المترجم) •

شديد الانحدار ، صعب المسالك لايمكن الاستيلاء عليها . تبعد عن الموصل مسيرة ثماني عشرة ساعة أي بمسافة تتراوح بين ثلاثة عشر ميلا ألمانية وأربعة عشر ميلا ألمانيا . ويدعى الرجل الذي يحكمها اليوم بهرام (Bahram) وهو من أسرة بلديناو (Baldinau) (٧٣) التي تحكمها منذ زمن خلفاء بني العباس . والمفروض في هذا الحاكم أن يكون مستقلا في منطقته ولكنه يدفع الجزية ويقدم الهدايا للباشوات المجاورين له ليحافظ بها على قراه الواقعة في السهل من التخريب والدمار . وتستورد من منطقته كميات كثيرة من الاثمار كما لديه مناجم عديدة للرصاص والحديد ، يقوم باستخراجها والاستفادة منها .

وتتبع باشا العمادية البلدان الآتية :

العقر : وهي بلدة صغيرة تبعد عن الموصل بمقدار سبعة أو ثمانية أميال المانية(٧٤) وقد كانت هذه البلدة مشهورة في زمن الخلفاء ، وتشتهر اليوم بزراعة الرز الذي يزرع في مناطقها المجاورة .

زاخو : وهي قرية صغيرة أيضا تقع على طريق الموصل ـ الجزيرة ، وهناك قرى أخرى كقرية نافكر (Nafker) والشيخان (شيخ خان (Schech Chân) ودهوك والزيبار وسميل(٧٥) وتقع الاخيرة على دجلة ، على طريق اليزيدية من سنجار الى مدفن قديسهم الشيخ عادي .

حكارية (هكاري) : وهي احدى مناطق كردستان وتقع في الجهة الشرقية من منطقة نفوذ العمادية وتجاور ولاية وان التركية . وهذه المنطقة الصغيرة جبلية وعرة المسالك ، يسكنها النساطرة ولهم فيها بطريق يسمى دائما شمعون (سيمون (Simeon)) وهو مستقل عن القوش استقلالا تاما ... الخ . ويقال ان باشا وان يرسل اليهم بيگا يسكن في قرية اسمها كوميري (Komeri) ولكن السكان لايهتمون به كثيرا ولا ينصاعون لاوامره مخافة أن يقعوا تحت حكم المسلمين فانهم يتجنبون ايجاد كل صلة معهم .

بيازيد : تقع في مقاطعة اخرى ضمن البلاد المجاورة لبحيرة وان يحكمها باشا كردي بالوراثة والسلطة في يد اسرته منذ سنين كثيرة وتتبع هذه المقاطعة مقاطعات جولمرك وبدليس (بتليس) . وفي هذه المقاطعة الاخيرة تقع موش (Musch) وهي بلدة تمتاز بشهرة واسعة فيها قرية صغيرة أيضا اسمها زازون .

---

(٧٣) الصحيح هو بهدينان أو بحدينان ، والكلمة عربية مخففة عن « بهاء الدين » من الاسر العريقة التي حكمت منطقة العمادية وما جاورها . (س.أ) .

(٧٤) الميل الالماني يعادل ١٦٥٠ م .

(٧٥) لا تقع سميل على نهر دجلة فهي واقعة على طريق دهوك ـ زاخو الا اذا كانت في ايامه قرية بهذا الاسم تقع على دجلة وهي اليوم ناحية (المترجم) .

وقد انتهزت فرصة اقامتي في الموصل فأخذت أبحث عن نقود رومانية ويونانية وفارسية قديمة ولكن الناس أكدوا لي بانني أستطيع العثور عليها في منطقة كردستان لانها تستعمل هناك في التداول لقلة النقود التركية ٠ وقسم من هذه النقود يعثر عليه الاهالي بالتنقيب أما القسم الباقي فان تجار الموصل يجلبونه معهم الى كردستان من نصيبين وماردين وديار بكر ومن المدن الاخرى ويشترون بها البلوط والعفص ٠ ولكن في هذه العملية مخاطرة كبيرة فاذا ما علم الباشا التركي أو القاضي ان أحدا من الناس يتعامل بالعملة القديمة فانه يرسل عليه ويصادر كل ما عنده من نقود ومن ثم يلقيه في السجن وينهال عليه بالضرب بالسياط حتى يدلهم على الخزينة التي عثر عليها ويطالبه بتقديمها له حتى وان كان لم يعثر في الواقع على خزينة من هذا النوع ٠

وتكثر النقود العربية القديمة في بلاد المشرق ذلك لان العادة الشائعة في هذه البلاد أن يحلي الآباء رؤوس أولادهم بقطع كثيرة من هذه النقود أو يعلقونها في أعناقهم والمسلمون يحبذون استعمال هذه النقود حلية يلبسونها لانها تحتوي على آيات من القرآن بينما لاتوجد على النقود الحديثة من الكتابات غير اسم السلطان ولقبه ٠

ولا يستثمر السكان في هذه البلاد التي تكثر فيها الاضطرابات والقلاقل نقودهم في المشاريع أو يستخدمونها في معاملات الرهون والتجارة كما هي الحالة في أوربا بل يخزنونها في داخل الارض لرداءة بيوتهم وخزاناتهم ٠ ولذلك فان كثيرا ما يحدث أن لا يدلي من تحضره الوفاة من أفراد الاسرة ، أهله وأقرباءه على اسم المكان الذي دفن فيه كنزه وأمواله ليستخرجوها بعد موته ٠ اذ كثيرا ما يعتقد انه ما يزال هناك وقت كاف ليدليهم على المكان قبل دنو منيته ٠

وقد قص لي أحد الناس حادثة وقعت قبل بضع سنين وهي ان أحد الاكراد من قبيلة كيكي (Kiki) (٧٦) سقط من فوق جواده وأصبح في حالة خطرة تنذر بالموت وبقي من غير أن يخبر ولده عن المكان الذي طمر فيه ثروته حتى أشرف على الموت فانعقد لسانه وصار لايستطيع الكلام ولم يعد قادرا على أن يقول لولده في أي تل دفن أمواله ٠ غير ان الابن أخذ يحفر في تلول عديدة ولكنه لم يعثر على شيء ٠

---

(٧٦) لا توجد قبيلة بهذا الاسم ولربما المقصود به عشائر الكاكائية المعروفة ٠ والكاكائية من الطرق الصوفية أسسها السيد اسحاق ابن الشيخ عيسى البرزنجي عام ٧١٦ هـ ـ ١٣١٦ م، ومقامه في جبال هورمان ٠ والكاكائية معناها (الاخوان) ٠ (س٠أ) ٠

الفصل الثالث

وصف الموصل وشمالي العراق

الموصل وشمالي العراق

آذار سنة ١٧٦٦

وفي أثناء اقامتي في بغداد لم أجد قافلة كبيرة ارافقها الى حلب ولاسيما خلال البادية ، اذ من الخطر جدا أن يسافر المرء وحده عن هذه الطريق٠ ولكن قافلة كانت على أهبة السفر الى دمشق فاغتنم الفرصة عدد كبير من التجار لمرافقتها والسفر الى حلب فعقدت العزم على الانضمام اليها وشددت الرحال ٠ ولكن قبيل سفري علمت ان القبائل العربية في سوريا على غير وفاق مع الباشا التركي وان شخصا معروفا قد عدل عن السفر بعد أن كان قد انضم الى هذه القافلة ، ولذلك فقد عدلت أنا أيضا عن السفر بعد أن كنت قد قررت الالتحاق بهذه القافلة ٠ وقد علمت بعدئذ ان عدولي عن السفر مع هذه القافلة كان من حسن حظي ذلك لان القافلة نهبت برمتها بالقرب من دمشق ونهب معها صندوق كنت قد أرسلته معها الى حلب ٠

ان السفر الى الموصل عن طريق كركوك ـ أربيل أمين جدا حتى ان المرء لايحتاج الى انتظار سفر قافلة كبيرة ليرافقها ٠ والمسافر غير المضطر على السفر بعجالة ، يحبذ سلوك هذه الطريق وان كانت طويلة لأن عدداً من المدن تقع عليها وهي جديرة بالزيارة وكذلك فانها مفضلة على طريق بغداد ـ حلب التي لا تقع عليها سوى قريتين أو ثلاث ٠ وهكذا فقد بدأت أستفسر وأسأل عما اذا كانت هناك قافلة متأهبة للسفر الى الموصل ، فعلمت ان جماعة من اليهود يتراوح عددهم بين خمسة وعشرين وثلاثين شخصا كانوا قد جهزوا رحالهم وأنهم على أهبة الرحيل واستخدموا لنقلهم الحمير ، اذ لم يكن لديهم غير هذا النوع من دواب الحمل لنقل بضائعهم ٠ وكانوا قد لبسوا جميعهم ألبسة رثة وساروا بدون سلاح ٠

ان اليهود في بلاد المشرق ممقوتون كما هم عليه في أوربا ولذا فلم يكن باستطاعتي اختيار قافلة أسوأ من هذه كي ارافقها ٠ والرجل الوحيد الذي صاحبته من بين أفراد هذه القافلة كان تاجرا مسنا من أهالي الموصل ، وهو رجل غريب الأطوار ذو شخصية عجيبة وقد جاب هذه

المناطق وبخاصة منطقة كردستان ولذا فقد توددت اليه آملا الحصول منه على معلومات • ورغب هذا الرجل كثيرا في أن اسافر معه مؤكدا لي كغيره ممن أعرفهم سلامة الطريق وعدم وجود ما يخشى منه •

ولما كنت لا أود أن تتجه الي الانظار وأكون حديث الناس في هذه الديار ومخافة أن يطول انتظاري لقافلة اخرى ، قررت مواصلة رحلتي مع هذا اليهودي •

* * *

لقد كنت ما زلت أحتفظ بفرمان السلطان الذي استحصلته حال سفري من القسطنطينية كما أخذت من باشا بغداد بويور اولدي (جواز سفر) أيضاً ، مع انه لايطلب من المسافرين في هذه البلاد جوازات سفر أو يوجد هناك من يسال عنها ولكن من الأفضل أن يكون لدى المسافر جوازات سفر من هذا النوع لأن من يملكها يحوز على احترام القافلة التي يسير فيها وأهالي القرى التي يمر بها • فاستأجرت حصانا وبغلين ، أحدهما لخادمي والآخر لأمتعتي القليلة وودعت بغداد في الثالث من آذار •

سافرنا في الطريق المستقيم من بغداد الى ينكچه Jankscha (٧٧) • (الخارطة شكل ـ ٨) فوصلناها في مساء اليوم السابع • وفي خلال الايام الخمسة الاولى من سفرنا في هذه الطريق لم أجد ما لفت نظري الا شيئا واحداً وهو انني لم أر في خلال الأيام الثلاثة الأخيرة عمرانا أو أثرا لقرية في الأقل • ولكن المسافر في هذه المفازة يجد أماكن أثرية كثيرة ومن بينها تلول عديدة من التراب عليها بقايا جدران مبنية من الآجر •

وفي مكان يقع على درجة خط العرض ٣٣ و ٥٧ دقيقة كانت تقوم عليه مدينة كرفه Korfa (٧٨) التي بناها أحد خلفاء سامراء وما تزال الجدران الاربعة لبناء شامخ قائمة هناك • ولو سرنا في الطريق الممتدة على يمين قرية الدخيلة Dochale ، لربما عثرنا على آثار عجيبة • وقد علمت أن الناس هناك قد عثروا حديثا عند خان مصبح Chan M'sàbbach على مقبب كبير وجدوا فيه صناديق حجرية كبيرة في داخلها موتى ورأوا على هذه الصناديق الحجرية كتابة ، ربما تعود الى زمن الآشوريين أو قدماء الفرس •

وفي اليوم الاول من سفرنا رأيت بوادر الجبن والخوف بادية على رفيقي اليهودي • فقد حدث أن عددا من سواق الحمير وكانوا كلهم من

---

(٧٨) وردت في خريطة نيبور باسم اسكي كرفة ولعلها الغرفة وهي التسمية التي اصبحت تطلق اليوم على البادية الواقعة شرقي نهر العظيم ويقطعها طريق بغداد ـ كركوك الحديث • ولا أعرف وجود آثار بالقرب منها ، فان وجد فربما كانت ساسانية •

(المترجم)

تعليق : اللفظة (كورفة) لا تخلو من تصحيف ، فهي قريبة من لفظة (كفري) وهي مركز قضاء تابع الى لواء كركوك • والى الجنوب الشرقي من كفرى الحالية بمسافة ٨ كم تقع خرائب مدينة كفري القديمة التي تعرف بـ (اسكي كفري) • والى شمالها (يني كفري) أي كفري الجديدة • (راجع الخارطتين شكل ـ ٣ أ ، ب هذا بالاضافة الى انها وصفت بمدينة والغرفة بادية او مغارة • وفي المنطقة عدد كبير من التلول الاثرية من العصور الفرثية والساسانية (س١٠) •

المسلمين تشاجروا فيما بينهم وتعالى صياحهم كما هي العادة . فارتبك اليهود ودب الرعب في قلوبهم مخافة أن يصب سواق الحمير الذين تشاجروا فيما بينهم وتضاربوا ، جام غضبهم على اليهود وينهبوا أموالهم . فالتمسني أحد اليهود أن أعيره مسدسي . فسألته ان كان يحسن استعمال السلاح ويستطيع اطلاق النار . فأجابني بأنه يأمل ان لا يكون المسدس محشوا بالطلقات طبعا . وأردف قائلا انني اريد أن أتمنطق به فقط لكي أرهب كل من يحاول نهبي . وعندها أطلقت العيارات النارية من مسدسي في الهواء قصد تفريغه ولكن فزع اليهود اشتد فهرعوا الي في الحال والتفوا حولي وأخذوا يتضرعون ويتوسلون الي بأن أحيد عن عمل أي شيء من شأنه اثارة سواق الحمير واغضابهم الأمر الذي يؤدي الى نهب أموالهم وتنبيه قطاع الطرق والسراق بنا . وهذا مثال صادق على جبن اليهود وذلهم تحت حكم المسلمين ولذا فانهم لن يفكروا أبدا يوما ما في اشهار السلاح في وجه الأتراك للاستيلاء على فلسطين التي يتمنونها ويتمناها ويحلم بها معظم اليهود . ففي هذه الحادثة الصغيرة التي لايوجد فيها ما يدعو لأن يفزع اليهود هذا الفزع الشديد ، اعتقدوا انهم في خطر عظيم يداهم أموالهم وأرواحهم . وبعد ان تخاصم سواق الحمير هذا الخصام الشديد تصافوا فيما بينهم فواصلوا السفر .

تقع قرية ينكچة(٧٩) على خط العرض ٣٤ درجة و ٥٢ دقيقة وقد كانت في هذا الفصل من السنة خالية من السكان لان معظم أهاليها أقاموا لهم مضارب في الفلاة لرعي أغنامهم ومواشيهم .

ويكثر عند دوزخورماتو(٨٠) القريبة من ينكچه الملح والقير وينابيع النفط ، على ان الناس لايهتمون بالقير في هذه المنطقة لأن ينابيعه تكثر في هيت الواقعة على الفرات ويستعمله الناس هناك في طلي سفنهم . أما النفط فانه مرغوب فيه في هذا المكان وهو من النوع العادي الأسود ويتخذه الناس وقودا لمصابيحهم بدل الزيت . حيث يقطعون من الزبل اليابس قطعا طويلة ثم يغمسونها في النفط ويوقدونها بهيئة المشاعل . ومشاعل الزبل هذه تفوح منها عند حرقها رائحة كريهة لا تطاق لاسيما في زمن الحر وهي غير صحية وبالأخص عندما يشعلها الفلاحون في بيوتهم أيام الشتاء . وفي هذا الفصل يقوم الفلاحون بانجاز أعمالهم عند عيون القير . أما المشاعل التي يستعملها الباشا والنبلاء والموسرون في بغداد فتتكون من خرق بالية مفتولة تغمس في النفط ثم تجفف لتستعمل بدل المصابيح . وبهذا النفط يلطخ البدو والفلاحون الجمال في أوائل الربيع

(٧٩) وتلفظ (ينجه) وقد يكون المقصود بها قرية (انجانة) القريبة من جبل حمرين (س١٠) .

(٨٠) هي بلدة طوزخورماتو الحالية وقد كتبها الرحالة نيبور هكذا .

(المترجم)

عندما يتساقط وبرها ليظهر لها وبر جديد . وقد علمت ان في هذه المنطقة نفط أبيض أيضا يستعمله الناس دواء للشفاء من بعض الامراض وقد أكد لي الأهلون أن هذا النفط الابيض اذا ما سكب على راس شخص ما فانه يتسرب الى جسمه ثم يخرج من أصابعه وقدميه بما يشبه العرق . وان العاقل ليدرك بسهولة انني لا أود مشاهدة تجربة مثل هذه تحدث أمامي.

وفي اليوم التاسع من آذار بعد أن سبت اليهود امسهم واصلنا السفر من ينكچه الى طاووق التي تبعد أربعة أميال ونصف ميل عن ينكچه. وتقع هذه البلدة على نهر يتدفق بقوة . وقد شاهدنا في طريقنا مراع زاهية وحقولا نضرة ولكننا لم نر قرية . ويظهر ان طاووق كانت تدعى في سالف الازمان داقوق وانها كانت مدينة عظيمة الشأن(٨١) وفيها بقايا باب مدينة ومسجد كبير مبني من الآجر وجميع البيوت مبنية اما من الجص أو من الطين فقط. وبالقرب من هذه القرية ضريح لاحد أولياء المسلمين واسمه زين العابدين ويعتقد الناس هنا ان هذا المزار يرد البصر لاعمى واحد في كل سنة . ولذا فانه ليس من الغرابة بمكان ان يقصده المسلمون كل سنة ويزورونه بجموع غفيرة . وابنه الامام محمود مدفون هناك أيضا ويعتقد المسلمون ان تراب قبره دواء شاف من جميع الامراض .

وفي اليوم العاشر واصلنا السفر من طاووق الى كركوك فبلغناها بعد ان قطعنا خمسة أميال المانية . ويمر المسافر في اثناء سيره في هذه الطريق ، بطريق جبلي منخفض يطلق عليه الاهلون اسم الاسكندر وهم يدعون أنه مدفون في هذا المكان . وقد أخبرني رفيقي اليهودي بأن سكان هذه المنطقة يقصدون باسم الاسكندر : الاسكندر ذا القرنين لا الاسكندر الكبير(٨٢) . وفي اثناء اقامتنا في طاووق حدث الاهلون اليهود الشيء الكثير عن أعمال قطاع الطرق والسراق وشدة خطرهم ، حتى انهم قطعوا الطريق مرة على باشا بغداد وباشا كركوك وذلك بين طاووق وكركوك مما اضطر اليهود – بدافع الخوف – على أن يرفقوا معهم أربعة من أهالي طاووق باجور باهضة لمحافظتهم . وقد اتضح لي ان هؤلاء الاربعة كانوا هم أنفسهم من

---

(٨١) يغلب على الظن ان اسمها داقوقا وقد وردت في :

Semmler: Uebersetzung der Algemeinen Welthistorie der neuern Zeiten Tom. II, § 78.

هذا ما قاله نيبور تعليقا على طاووق .

واود بهذه المناسبة ان اشير الى ان قبائل البو فرج والحديديين المذكورين في خارطة الرحلة هما اسمان يطلقان على العشائر العربية والكردية التي تتجول وتتنقل في هذه المنطقة .

وعن داقوق بحث ممتع عن تاريخها والتنقيب فيها والمصادر التاريخية المهمة ، في مجلة « سومر » المجلد ١٢ [١٩٥٦] ، ص ٣٨ – ٦٤ .

(المترجم)

(٨٢) الاسكندر ذو القرنين والاسكندر الكبير شخص واحد .

(المترجم)

قطاع الطرق وقد قصوا لليهود روايات عن حوادث النهب المرعبة وذلك لكي يلقوا في قلوبهم الفزع فيطلبوا مرافقتهم لقاء مبلغ طيب من المال • وقد سألت أحدهم وكنت قد قضيت ليلتي في بيته ، من أين لك هذه البندقية الجميلة وهـذا السيف الممتاز ؟ فأجابني بأنه كان قد رافق مرة أحد المسافرين وكان معه هذان السلاحان فأعطاني اياهما لانه كان لا يعرف استعمالهما • ثم أخبرني بأنه سكمان (جندي) وانه غالبا ما يرافق المسافرين ويتعاطى التجارة معا(٨٣) •

كركوك

تقع كركوك في سهل جميل كثير الخيرات ولكنه قليل العمران وموضعها على الخارطة هو خط العرض ٣٥ درجة و٣٩ دقيقة • ولم يبق الا الشيء القليل من المدينة الأصلية الواقعة على سفح التل ذي الانحدار الشديد وفي اسفله • أما التل نفسه فانه مزدحم بالسكنى ويحيط به من الاعلى سور من الطين وفيه حامية من الينيجيرية ويدعى القلعة(٨٤) •

وهذه التي يسمونها القلعة اقذر مكان رأيته لحد الآن وبيوتها بلا استثناء في منتهى الرداءة • وفي القلعة ثلاثة مساجد ولها منائر • ان أحد هذه المساجد مهم لان فيه قبور الانبياء دانيال وميخائيل وحنانيا واليعازر (عزاريا) ولا يشك اليهود مطلقا في أن أنبياءهم هؤلاء مدفونون في هذا المسجد ولكن المسلمين لا يسمحون لهم بدخول المسجد لزيارة قبور أنبيائهم•

وفي كركوك نحو من أربعين كلدانيا ونسطوريا ينتمون الى كنيسة روما • فما كادوا يسمعون بقدوم زائر أوربي الا وهرعوا على الفور لزيارتي ، فاستبشروا بقدومي كثيرا وفرحوا أن يروا رجلا من بلاد القديس بطرس وقد التمسوني أن أمضي عندهم بضعة أيام • وفي خلال حديثي معهم اظهروا لي تذمرهم وامتعاضهم من بقية مسيحيي المشرق لتمسكهم بالخرافات القديمة وعدم اعتقادهم بأن البابا خليفة المسيح في الارض •

وقد نصحت هؤلاء الناس الطيبين بالصبر وطلبت منهم أن يكونوا واسعي الصدر مع المسيحيين الآخرين بدون أن أجعلهم يشعرون انني لست من مذهبهم • ومن الجدير بالذكر أنني وجدت جميع نصارى بلاد المشرق متفاهمين مع بعضهم بعضا الا انهم لا يميلون الى النصارى التابعين للكنيسة الرومية الكاثوليكية • كذلك وجدت البعض الآخر من النصارى الذين اهتدوا على أيدي الرهبان الاوربيين والبعثات التبشيرية التابعة لهم ، أعداء الداء لمن لم يتبعهم من اخوانهم في المذهب السابق فبقي على عقيدته •

---

(٨٣) وما زالت هذه الكلمة تستعمل في العراق نعتا للهداف الممتاز ولكن بصيغة النسبة • فيقال فلان سكماني أي انه هداف • (المترجم)

(٨٤) القلعة موضع اثرى يعود تاريخه الى حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وفي عام ١٩٢٣ عثر بطريق الصدفة على عدد من الواح الطين المدونة بالمسمارية عند سفح التل الذي تقوم عليه القلعة فوقه (س١٠) •

ان كركوك مقر باشوية من درجة طوغتين ولكن الباشا لا يقيم في المدينة وانما قبالتها في الجانب الثاني من النهر ومنطقة نفوذه صغيرة جدا ٠ أما البقية من ولاية شهرزور (شهر الصول Schähr Essul) والتي تقع على الطريق الممتدة بين طاووق وأربيل ، فتعود بأجمعها الى پاشا بغداد كما مر عليها القول ٠

ولم يلاق نادر شاه عناء كبيرا في الاستيلاء على هذه المدينة وقلعتها ولكنه عندما مني بالفشل أمام الموصل واندحرت قواته هناك اندحارا شنيعا[٨٥]، انسحب بسرعة من كركوك متكبدا فيها خسائر فادحة أيضا ٠ لقد وجدت في الطريق عددا من القنابل ، كان الفرس قد تركوها قبل عشرين عاما ٠ وفي هذه الأماكن عدد كثير من الطواحين المائية (الارحاء) ولذا فان كميات هائلة من الطحين تشحن من هنا الى بغداد ويجلب بدلها من البصرة التمر والبضائع الاخرى ٠

وبالقرب من كركوك عيـون للقير والنفط كمـا هناك مكان يدعى (باباگرگر)[٨٦] وهو في غاية الغرابة خاصة وان أرضه حارة لدرجة انها كافية لقلي اللحم والبيض ولا يحتاج المرء الى ذلك سوى عمل حفرة صغيرة في الارض ووضع القدر عليها ٠ وقد أكد لي اناس كثيرون مشاهدتهم اللهيب يتعـالى من هذا المكان وانهم كثيرا ما يذهبون الى مكانه فيشاهدونه بأنفسهم ٠ ولذلك فقد قلت في خاطري انه لايزال لدي متسع من الوقت لزيارة هذا المكان، لاسيما وان المسلمين من أفراد قافلتنا وهم سواق الحمير ، أرادوا البقاء في كركوك لمدة يومين لقضاء عطلة العيد (بيرم)٠ ولكنه حدث ان قافلة اخرى قدمت كركوك في صبيحة اليوم الحادي عشر وأرادت مواصلة السفر الى اربيـل فقررنا مرافقتها ٠ كذلك لم نجد قرية على هذه الطريق الى بلدة الطون كوپري التي وصلناها في مساء اليوم الثاني عشر ، الا اننا صادفنا كثيرا من الاسر الكردية تقوم برعي مواشيها وأنعامها في هذه المراعي الجميلة ٠

الطـون كـوپري :

(ومعناهـا الجسـر الذهبـي) وهي بلـدة يتـراوح عدد بيوتهـا بين اربعمئـة بيت وخمسمئة بيت ٠ وتقـع على الزاب الصغير على جزيرة صـــغيرة وقد سميت باسم الجسر الـكبير الذي بني على أحـد فرعي هذا النهر ٠ ويتحدث الناس عن هذا الجسر الذي يمتاز بقنطرة ذات علو غير معتاد ، ان الجسر القديم الذي انهار قبل بضع سنين لم يكن عاليا كعلو

---

(٨٥) كان ذلك في سنة ١١٥٦ هـ ـ ١٧٤٣ م وفي ذلك نظم فتح الله القادري الموصلي ارجوزة ، حققها ونشرها الاستاذ سعيد الديوهجي (مطبعة الهدف ـ الموصل ١٣٨٤ م ـ ١٩٥٥) ٠ (س١٠) ٠

(٨٦) بابا گرگر موضع ورد ذكره في المصادر القديمة اشتهر بناره ، وفي عام ١٩٢٥ حفرت شركة نفط العراق أول بئر نفط استثمرت لاغراض التصدير خارج العراق ٠ (س٢٠) ٠

الجسر الحالي وقد اضطروا لبنائه بهذا العلو الشاهق لانهم لم يجدوا بناءاً يستطيع بناء قنطرة هذا الجسر بارتفاع أقل من هذا الارتفاع ٠

وقد أمطرت السماء علينا ليلة أمس وفي هذا اليوم ، مطرا شديدا حتى اننا تبللنا وتعبنا ، ولكن القافلة اجتازت المدينة وحطت رحالها في الجانب الثاني من النهر في العراء ٠ وقد نصحني الاهالي بالذهاب معها لأن النهر سيرتفع لشدة انهمار المطر في الليلة الماضية وان مجراه سيكون قويا ويصبح اجتيازه خطرا٠ لقد كنت أتبع دوما نصيحة الناس وأسير حسب آرائهم، أما الآن فقد فكرت في الراحة وأردت أن أنام ليلتي المقبلة بهناء لاسيما وقد كنا ننتظر نزول أمطار غزيرة اخرى ، لذلك فقد فضلت البقاء في البيت وباشرت بتجفيف ألبستي وأرسلت البغل مع الأمتعة الى الجهة الثانية من النهر وبقيت مع خادمي وسائس حصاني ٠

وقد صادف حلول العيد (بيرم) في ألطون كوپري فأخذ الناس يقيمون أفراحهم لهذه المناسبة فتمتعت بمشاهدة الاحتفالات والافراح التي أقامها أهالي هذه المدينة بالصورة التي رأيتها من قبل في شوارع القاهرة ومن جملتها الأراجيح التي نصبت هنا وهناك وقد جلس فيها الناس على اختلاف أعمارهم وحتى الشيوخ بلحاهم المتدلية ٠ ورأيت مبارزة بالعصى ، تتلقى ضرباتها مخدة (وسادة) يحملها كل من الشخصين المتبارزين في احدى يديه(٨٣) ٠

لقد كلفت شخصا بالقيام بتدليك عضلاتي برفق أو بالأحرى أن يقوم بقرص جسمي بكلتا يديه ٠ ان هذه العملية تزعج الاوربي في بادىء الأمر فلا يشعر بلذتها ولكنها عادة متبعة في بلاد المشرق وقد ارتحت لها شخصيا ولا سيما بعد رحلة يوم متعبة ٠ وعملية الدلك لا تحتاج الى عناء كبير سوى أن يستلقى المرء على الأرض ثم يقوم شخص معين بدلك الجسم بأجمعه وضغطه بكلتا قبضتيه بكل رفق ليجعل الدم يجري في مجراه الطبيعي٠

كوي سنجق :

وهي مقر باشا كردي تابع لباشا بغداد وتقع على مسيرة ١٢ ساعة الى الشمال الشرقي من ألطون كوپري وقد كانت أربيل وألطون كوپري الى قبل بضعة أعوام تابعتين لهذا الپاشلق ، أما الآن فان والي بغداد

---

(٨٧) راجع الجزء الاول لوحة XXV وشكل B.C.D. من كتاب نيبور الجزء الاول وقد كان لقدماء المصريين أمثال هذه المسليات في أعيادهم راجع :
Recherches philosophiques sur les Egyptiens et les Chinois Tom. II, 157.

المؤلف

تعليق : هذه اللعبة كانت ولا زالت تمارس في بعض المدن العراقية وتسمى بـ (الطابگ) (الطابق) وهي ضرب من المبارزة (س٠أ) ٠

يرسل حاكما عنه الى أربيل فيقوم هذا الاخير بدوره بارسال أغا الى الطون كوبري ·

وفي صباح اليوم الثالث عشر وجدت مستوى ماء النهر قد ارتفع فعلا فخاطرت في عبوره بعد ان عرضت نفسي الى الهلاك مرات ، ولقد كان بودى ان ابقى فى الطون كوبرى واتخلف عن القافلة ولكننى وجدت نفسى مضطرا على الالتحاق بها لاننى تركت معها امتعتى القليلة وصناديقى · اما رفاقى فقد سبقونى بمسيرة تزيد على الساعة فاقدمت لوحدى على الالتحاق بهم وكان معى خادمى وسائس حصانى ولكنهما كانا خائفين كثيرا من قطع هذه المسافة بمفردنا، غير اننا لحقنا بالقافلة عند قرية (گوزتپه) فبدت عليهما عند ذاك دلائل الفرح والانشراح · والواقع ان أقدامي على السير بمفردنا كانت مغامرة كبيرة ، ففى الطريق اعترضنا خيال ثم اثنان من شيوخ الاكراد على صهوة جواديهما ، وكانوا كلهم يطمعون فى سلبنا ونهب ما عندنا من متاع · الا انهم لم يجرأوا على ذلك ، لأنهم كانوا يحملون حرابا فقط بينما كنت احمل بندقية ثم لاننى كنت اجيبهم فورا وبدون تلكؤ على أسئلتهم حول سفرتى ولم اظهر لهم ادنى خوف ·

وتقع الى الجهة الغربية من الطريق سلسلة كبيرة من الجبال يسميها الاهالى سلسلة جبال (قرەچوق) وقد أكد لي كثيرون وجود بقايا قرى ومدن عديدة ولكنه من الخطر على المسافر الغريب التجول في تلك المنطقة لان السكان هناك لا يعيرون أدنى اهتمام للحكام الاتراك المجاورين ·

قوش تپـه :

وقد سميت باسم تل صغير · وقد رأيت لاول مرة أثناء رحلتي هذه ، امرأة مسلمة تصلي وتقيم جميع شعائر الصلاة من ركوع وسجود · والعلماء الاوربيون يختلفون فى الرأى فيما بينهم فيما اذا كانت المرأة المسلمة تقيم الشعائر الدينية كما يقيمها الرجل المسلم وعما اذا كان لها امل (كالرجل) فى الدخول فى الجنة ام انها تبقى خارجها ؟ ولقد يستغرب العلماء المسلمون من هذا الاعتقاد ويزداد استغرابهم حين يجدوني أشك في أن النساء لهن في الاسلام حق الدخول في الجنة · وقد أكدوا لي بأن الشعائر الدينية التي يجب أن يؤديها الرجل المسلم هي نفسها مطلوب تاديتها من المرأة المسلمة أيضا ، وانها كالرجل المسلم أيضا يجب أن تصلي أوقات الصلاة الخمسة فى اليوم · وقد لاحظت عددا منهن يقمن الشعائر الدينية فى البيوت · على ان المسلمة لا ترى ولا تشاهد كالرجل ولذا فانها قلما تصلى · وقرية قوش تپه تسمى (خان عادلة) أيضا ومع ان جميع أراضي هذه المنطقة كثيرة الخصب الا انها كانت الى قبل بضعة أعوام صحراء قاحلة ، خالية من السكان ما خلا بعض الاكراد الذين يتجولون فيها في أوقات معلومة من السنة(٨٨) ·

---

(٨٨) وما زال الخان الذي بنته عادلة خاتون قائما الى يومنا هذا وتشغله الشرطة مخفرا ·
(المترجم)

وقد امر احمد باشا والى بغداد بحفر بئر واقامة دار للراحة فى هذا المكان وذلك لتسهيل الطريق على السعاة وموظفي البريد • كما أمرت ابنته عادلة خاتون بتشييد خان لتامين راحة المسافرين والمستطرقين • واصدر الباشا فرمانا يقضى بمنح الحرية وحق زرع الاراضى المحيطة بهذا المكان لكل من يرغب السكنى فيها من الفلاحين وبهذه الطريقة تكونت قرية كبيرة فى مدة وجيزة من الزمن •

وانه لمن السهل جدا على الباشوات الاتراك ان يقوموا بمثل هذا العمل الذى يؤدى الى استيطان الرحل من ابناء رعيتهم واستثمار الاراضى البور والاستفادة من خيراتها ثم اعمام الزراعة والعمل على تقدم البلاد • غير أنه لما كانت مدة بقاء الباشا فى مقاطعته قصيرة جدا لذا فانه يقضى هذه المدة الوجيزة من الحكم فى جمع الثروة والاهتمام بمنفعته الشخصية ولا يهتم فى اصلاح البلد والترفيه عن الناس بل انه اضافة الى ذلك كله يترك الفلاح الفقير نهبا للمغامرين من العرب والاكراد الذين يتجولون في هذه المناطق للحصول على المغانم عن طريق السلب والسرقات • ولذلك فانه ليس من الغرابة فى شيء ان تسير الولايات التابعة للدولة العثمانية من سيىء الى اسوأ ويزداد فيها الخراب والدمار باستمرار •

أربيـــل

وفى اليوم الرابع عشر قطعنا مسيرة ثلاثة اميال ونصف حتى بلغنـــا اربيل • وهذه المدينـــة هى اربيلا بلا شـــك ، التى اشتهـــرت فى المعـــركة التاريخية الحاسمة التي وقعت بين الاسكندر الكبير ودارا(٨٩) • وقد كانت امارة اسلامية عاشت سنين كثيرة وكان أمراؤها الذين حكموا بالوراثة يتصفون ببأس شديد ، فوسعوا رقعة امارتهم وجعلوها تشمل مناطق واسعة امتدت الى داخل بلاد فارس حتى مدينة توريز (تبريز ؟) • وكانت المدينة آنذاك كبيرة جدا ولها قلعة مشيدة على تل مرتفع • اما اليوم فلم يبق منها شيء ما خلا القلعة ولكن حتى هذه ليست مسورة وانما اقيمت عليها البيوت ولاسيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع احد ان ينفذ خلالها الى داخل المدينة الا من داخل باب المدينة الحالي(٩٠) •

(٨٩) حدثت هذه المعركة في موضع ذكر في المصادر الاغريقية باسم (كوكاميلا) الواقع في سهل اربيل وذلك عام ٣٣١ ق٠م • (س١٠) •

(٩٠) ويطلق محمد مهدي خان على أربيل اسم القلعة ، راجع :

Geschichte Nadir Schah, S. 364.

ولقد هدم هذا المدخل الاثرى سنة ١٩٥٩ وكان الواجب يقضي على مديرية الآثار العامة أن تحافظ على هذا الاثر الرائع وهي المسؤولة عن حماية الآثار وصيانتها •

(المترجم)

(٩٠) والمراد به هو مظفر الدين كوكبري بن ابي الحسن على بن بكتكين بن محمد صاحب اربل والملقب بالملك المعظم • تملك اربل وشهرزور بعد وفاة أخيه زين الدين يوسف سنة ٥٨٦ للهجرة في مدينة الناصرة اثناء وفوده عليها مع بقية وفود الامبراطورية الاسلاميـــة =

أما في التل الواقع في اسفل القلعة حيث كانت تقع عليه مدينة اربيل الكبيرة فتوجد بضعة بيوت فقيرة • هذا وليس في اربيل آثار شاخصة ما خلا بقايا جامع كبير يقع بعيدا عن القلعة وسط الحقول وهو من آثار السلطان المظفر(٩١) والمنارة القائمة بجانب الجامع قوية البناء وهي مبنية من الآجر والكلس •• ولها مدخلان ومرقاتان ويمكن الصعود الى قمتها الآن بسهولة ايضا • ومدخلا المنارة متقابلان وباستطاعة شخصين الصعود اليها في آن واحد بدون أن يرى أحدهما الآخر حتى يصل برجها •

تقع مدينة اربيل على درجة خط العرض ٣٦ و ١١ دقيقة وهي تابعة لولاية بغداد وفيها حامية قوية من ينيجرية القسطنطينية •

وارومية وهيمدينة تقعفي بلاد فارس تبعد عنأربيلمسيرة خمسة أيام• وقد روى لي عدد من الناس وسمعت ذلك في اربيل ان هناك اشكالا كبيرة الحجم وكتابات منقوشة على الصخور في جبال بهستون التي تقع بين كرمنشاه وهمدان • ولكن يهوديا من الموصل قال لي انها تقع بين الوند (حلوان) وهمدان (اكباتانا التاريخية) • وكانت هذه الأماكن بعيدة جدا عن طريق رحلتي • على انه اذا سافر أحد الاوربيين في المستقبل الى أصفهان أو أراد الرجوع عن طريقها فان باستطاعته سلوك هذه الطريق واستنساخ الكتابات الموجودة في جبل بهستون • ولعل هذه الكتابة تدل على لغة أهل البلاد وانها كتبت بحروفهم الهجائية كالتي كتبت على نقش رستم • وقد استنسخت قسما من هذه الأخيرة كما هو مبين في الشكل _ ٧(٩٢) •

والاراضي في منطقة اربيل لا تسقى بمياه الانهار والجداول كما هي

= لتهنئة السلطان صلاح الدين الايوبي بمناسبة انتصاره على الصليبيين في معركة حطين • ولهذا الملك تاريخ حافل بالبطولة في محاربته الصليبيين بجانب صلاح الدين وفي مشاريعه العمرانية والاصلاحية التي قام بها ولا سيما في بنائه ملاجىء ودورا للعجزة والايتام والارامل والعميان وأعمال البر والخير الاخرى وتأمين العدل والرفاه لشعبه وقد كان كغيره منسائر الملوك المسلمين الصلحاء مهتما في تشييد المساجد • فبنى المسجد الذي ذكره الرحالة نيبور أعلاه والذي لم يبق منه سوى منارته القائمة اليوم • راجع وفيات الاعيان لابن خلكان ، الجزء الاول ، ص٣٤٥ وما يتبع) • (المترجم)

(٩١) لم يبق من هذا الجامع سوى المأذنة المعروفة بالمظفرية نسبة الى مظفر الدين كوكبري المتوفى عام ٦٣٠ هـ اصلحت ورممت مؤخرا [راجع سومر ١٦ (١٩٦٠) ص ١٢٧]
(س١٠)

(٩٢) ويقول المؤرخ الاغريقي ديودورس Diodorus الصقلي في الجزء الثاني من كتابه المكتبة التاريخية Bibilotheca Historica ان سميراميس امرت في هذا المكان نحت اشكال ضخمة ونقش كتابات على الصخور • ولقد شاهد الرحالة اوتر Otter هذه الرسوم والكتابات في جبل بهستون ولكنه لم يرسم منها شيئا أو يستنسخ كتاباتها ، راجع :

Otter: Voyage en Turquie et en Perse Tom. I, p. 184-188.

(المؤلف)

الشكل ـ ٧

كتابات من جبل بهستون استنسخها نيبور وهي من الكتابات الفهلوية المستعارة حروفها من الآرامية ٠

الحالة في بغداد والبصرة • وزراعة القمح تغل عشرة أمثال في هذه المنطقة ولا تزيد في سنوات الخير عن الخمسة عشر مثلا • والقمح الذي تعتمد زراعته على الامطار يكون أكثر بركة وأحسن طحينا من الذي يسقى بمياه الانهار كما يكون ألذ طعما • والسبب في ان يدر محصول القمح في هذه المنطقة الى ما يقرب من خمسة عشر مثلا في حين تنتج زراعة القمح في بغداد عشرين مثلا ، يرجع الى زراعة بذورها في هذه المنطقة بكثافة عند سقيها ديما فلا تنبت جذورها في آن واحد وأغلبها يجف فتأكله الطير •

ان معظم أفراد القافلة الذين سافروا معنا من كركوك لم يسيروا مسافة أبعد من أربيل اذ انتهى سفرهم عندها • وقد سمعنا ان قافلة اخرى ستسير في اليوم السادس عشر فالتحقنا بها ورحلنا مبكرين • وبعد مسيرة تسع ساعات أو خمسة أميال ونصف ميل ألماني وصلنا الزاب الكبير (الزاب التركي) الذي ينبع من جبال حكاري وهي مقاطعة من بلاد كردستان • ان مستوى ماء النهر هذا منخفض جدا بحيث يمكن اجتيازه على ظهور الخيل بكل سهولة وبدون أي خطر عندما تنقطع الامطار عن الهطول مدة طويلة من الزمن ، وحين يتأخر ذوبان الثلوج المتساقطة على الجبال المجاورة عن موسم ذوبانها المعتاد • أما الآن فان مستوى الماء فيه كثير الارتفاع وشديد الجريان • والمسافر من أربيل الى الزاب لايرى قرية واحدة مطلقا ولكن على الضفة الثانية من النهر قرية اسمها قرية عبدالعزيز وهي مسكونة من أناس يعرفون باليزيدية أو الدواسن(٩٣) وهؤلاء اليزيدية لا يستطيعون اقامة شعائرهم الدينية علانية لأن الاتراك لايسمحون بحرية الأديان لمن ليس من أهل الكتاب كالمسلمين والنصارى واليهود ولذا فانهم مضطرون على مزاولة شعائرهم الدينية سرا • ويدعي اليزيدية اذا ما سألهم أحد عن دينهم ، أنتماءهم لأحد الأديان السماوية الثلاثة ويتحدثون بكل احترام وتقديس عن القرآن والانجيل وكتب موسى الخمسة والمزامير • واذا ما اطلع أحد على حقيقة دينهم وعرف انهم يزيدية ادعوا بأنهم والسنة على دين واحد •

يتضح مما تقدم انه يصعب على أحد معرفة حقيقة ديانة اليزيدية والاطلاع على معتقداتهم(٩٤) • ويتهمهم البعض انهم يعبدون الشيطان ويسمونه چلبي أي السيد • وآخرون يدعون بأن اليزيدية يقدسون الشمس والنار ويصمونهم من أجل ذلك بالكفر والالحاد ويتهمونهم بأن لهم عادات وتقاليد رذيلة ومن المحتمل انهم ينتمون الى طائفة الاباظية Beiasiten في عمان • ولما كان الدواسن منتشرين بكثرة بين الزاب الكبير وسورية وأرمينيا فهم

(٩٣) نسبة الى جبل داسن ويقول عنه ياقوت الحموي في معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٣٢ طبعة بيروت ١٩٥٦ بانه جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الاكراد يقال لهم الداسنية • (المترجم) •

(٩٤) المؤلفات والمصادر الباحثة عن اليزيدية ومعتقداتهم كثيرة سواء في العربية أو الافرنجية ذكر بعض منها في كتاب « اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم » لمؤلفه الاستاذ المؤرخ عبدالرزاق الحسني • ط٣ ، صيدا (١٩٦١) • (س•أ)•

لذلك معروفون لدى سكان جميع المدن المجاورة ، ولذا فانني أود أن ادون بعض ما لاحظه عقلاء السنة ونصارى المشرق من عقائدهم وما لديهم من معلومات اقتبسوها من أقوال الدواسن وأفعالهم ٠

يزعم هؤلاء الناس أن مؤسس الديانة اليزيدية هو الشيخ عادي ويعتقدون ان أصلهم ينحدر من العرب وانهم كانوا من جماعة شمر بن الجوشن(٩٥) فقتلوا الحسين حفيد محمد ولاحقوا آل علي في أيام الخليفة يزيد ٠ وتستنتج هذه الجماعة من عقلاء السنة ونصارى المشرق من ادعائهم هذا ، بأن الدواسن يقدسون الشمر ويعدونه من أوليائهم وان الشيعة الذين يعتبرون الحسين من أعظم شهدائهم يعدون قتل اليزيدي ثوابا ٠

ولدى الدواسن تماثيل بهيئة الأفاعي والكبوش وحيوانات اخرى ٠ واعتقادهم في هذا هو أن الافعى تذكرهم باغراء حواء آدم وان الكبش يذكرهم باطاعة ابراهيم لاوامر الله حين وافق على أن يقرب ولده قربانا لله ٠ وقد أكد لي آخرون أيضا من أن الدواسن لايعبدون الشيطان بل انما يعبدون الله ويقدسونه فقط لانه خالق كل شيء ويجلب الخير للبشر ٠
وهم يقولون انه ليس من شأن البشر ان يتحزبوا أو يتدخلوا في خصام وقع بين الله وأحد ملائكته المغضوب عليه ، كمثل الفلاح الذي غضب عليه الباشا وأخذ الناس يشتمونه ويلعنونه ويسخرون منه ٠ ان الله لايحتاج الى مساعدتنا في معاقبة الشيطان بسبب معصيته اياه ويجوز أن يصفح عنه ويشمله برحمته وعندئذ ماذا سيكون موقفنا ؟ ولسوف يصيبنا الخجل وتقع علينا اللائمة يوم القيامة أمام عرش الديان اذا ما لعنا أحدا من ملائكته غير المقدسين ، فمن الأفضل علينا أن لا نتدخل في قضاء الله وقدره وأن لانطري ذكر الشيطان بل يجب علينا أن نتضرع الى الله وأن نعمل صالحا حتى لا نقع في عقابه ونحرم من رحمته ٠

واذا قدم اليزيدية الى الموصل فلا يتعرضهم ولاة الامور ووجهاء البلدة حتى وان عرفوا انهم يزيدية ولكن العامة يتحرشون بهم ويؤذونهم ٠ فاذا أراد اليزيدي بيع ما عنده من البيض أو الدهن فان المشتري يحاول أخذ البضاعة من يد اليزيدي بحجة رؤيتها وفحصها ومن ثم يعامله على السعر ويتخذ هذا التعامل وسيلة لأن ينزل على الشيطان كل مايستطيع لسانه نطقه من اللعنات ٠ وكثيرا ما يكون الداسني مؤدبا وخلوقا فيفضل ترك البضاعة والتخلي عنها وعن الثمن على ان يسمع اللعنات على الشيطان ٠ أما في الاماكن التي يقطنها الدواسن وحيث يكونون فيها الأكثرية فلا يجسر أحد على لعن الشيطان أو ذكر اسمه ان أراد أن يسلم من الضرب وينجو من الموت ٠

واليزيدية يتبعون سنة الختان كالمسلمين الا انهم يشربون الخمرة

(٩٥) هو الشمر بن ذي الجوشن (س٠أ) ٠

والمشروبات الروحية القوية الاخرى ولـكن بقدر معلوم ويبقون ممسكين بالكأس بكلتا اليدين واذا انسكبت الخمرة من كأس أحدهم خطأ فانهم يحفرون تلك البقعة التي انسكبت عليها الخمرة ويحملون ترابها الى مكان آخر لا تطأه القدم ٠ والدواسن يشربون الخمرة لدرجة لا يسكرون معها ويفقدون رشدهم ولهذا فانه لا ينتظر من الداسني أن يصبح سكرانا ٠ وبسبب السكر فان رسول العرب (ص) حرم شربه لتجنب هذه الحالة ٠ وعلمـــاء اليزيدية الروحانيون يلبسون السواد بخلاف المسلمين الذين لا نجد عندهم هذه القاعدة ٠ ويصوم اليزيدية ثلاثة أيام في السنة فقط ولهم موسم للحج يحجون فيه الى قبر الشيخ عادى وهو مدفون فى مكان بين عقرة والموصل[٩٦] وفي هذا المكان حوض ماء كبير يلقي فيه اليزيدية كثيرا من المسكوكات الذهبية والفضية تكريما لوليهم وقديسهم الشيخ عادى ٠ وقد اغرت هذه الكمية الكبيرة من الاموال أحد النساطرة القاطنين بالقرب من هذا المكان فانسل اثناء الليل ونزل في الحوض ليأخذ له مقدارا من الذهب والفضة وصادف ان جاءت في تلك للحظة ابنة السادن لتاخذ ماءاً من الحوض فرأت شخصاً وسط الماء ٠ ولما كان من المحال على أي شخص أن تحدثه نفسه بسرقة هذا المكان المقدس ولا يخطر ببال أحد أن يسطو عليه سارق ، لذا فانها اعتقدت بأن هذا الشخص الذى رأته وسط الحوض المقدس لا يمكن ان يكون غير الشيخ عادى نفسه ٠ فهرعت عائدة الى والدها لتخبره بالنبأ العظيم من ان قديسها قد ظهر عليها بنفسه فرأته وسط ماء الحوض ٠ وقد انتشر الخبر بسرعة بين الدواسن الذين استبشروا له وفرحـوا به فرحـا عظيما ٠ اما النسطورى فقد تمكن فى اثنـاء ذلك من الهروب والتنعم بمـا غنمه ٠

ويعتقد جميع المسلمين ان لسكان جبـل سنجار الذين معظمهم من اليزيدية كنزا يزيدون ما يتجمع فيه كل سنة لشيخهم عادي ويخبئونه في بئر أو داخل ماء متجمع ٠ وقد صادف ان بعض قبائل هذه المنطقة سلبـت قبل بضع سنوات بعض المسافرين من بغداد فتعقبهم سليمان باشا ولكنه لم يكتف بالقضاء على العشائر اليزيدية الرحالة حسب بل انه تغلغل فى جبل سنجار وامر بجلد نبلاء اليزيدية وشنق عدد منهم ولكن لم يبح له احد بمكان الكنز ٠

واليزيدية منبوذون من السنة أيضا حتى ان الشافعي وهو أحد عظماء علماء السنة لا يخطىء المسلم المؤمن اذا قتل أحدا من أتباع هذا المذهب ٠ ولكن لقاء هذا فان احد وجهاء العثمانيين وبقية المسلمين والنصارى واليهود الموجودين فى قافلتنا مضطرون على ائتمان اليزيدية على ارواحهم فى اجتيازهم

---

(٩٦) يقع قبر الشيخ عادي على بعد عشرة كيلومترات من عين سفنى في الجهة الشمالية منها ٠ (المترجم) ٠

الزاب • ذلك لان النهر الآن في زيادة كبيرة يصعب معها اجتياز النهر على ظهور الخيل كما انه ليست هناك واسطة لعبور النهر غير أكلاك اليزيدية من اهالي قرية عبدالعزيز في الجانب الثاني • على ان هذه الاكلاك ليست من المتانة بحيث تقوى على مقاومة تيار الماء الجارف ويطمئن لها المسافر فهي أردأ واسطة للنقل رأيتها في حياتي • ويتكون الكلك من (٣٢) اثنتين وثلاثين قربة منفوخة من جلد الشاه ، توضع أربع منها في الطول وثمان منها في العرض وكلها مرتبطة بحبل واحد وتحمل فوقها قطعة واحدة من الخشب[٩٧] •

وفي اثناء الطريق اخذ افراد القافلة ينصحون بعضهم بعضا ويحذرونهم من لعن الشيطان وضرورة الاحتراس من ذكر اسمه امام اليزيدية لان العاقبة قد تكون وخيمة • اذ حدث مرة أنهم قلبوا الكلك بالركاب فغرقوا مع امتعتهم ونجا اليزيدية سباحة • ولما رأيت هذا النوع من العوامات وسعة النهر وقوة تياره ثم الدواسن الذين يعرفون أنهم مكروهون وممتهنون من جميع الشعوب ورأيتهم في هذه اللحظة يسخرون من المسافرين الذين استولت على قلوبهم امارات الخوف وظهرت على وجوههم دلائل الفزع وكأنما يريد اليزيدية في هذه اللحظة اظهار اهميتهم في حياة أفراد القافلة ، فلما رأيت كل هذا خامرني شيء من اليأس وصرت ليس بأقل خوفا من بقية المسافرين• ولم يكن يوجد الا عدد قليل من الاكلاك كانت تذهب جيئة وذهابا لنقل المسافرين وامتعتهم بدفعات متعددة • وكل واحد اراد ان يكون اول من يركب الكلك وكل واحد أراد أن لا يدفع مقدار الاجرة التي طلبها الدواسن وقد تطور التعامل الى خصام شديد •

وانني لا اغالي اذا ما قلت هذه الحقيقة التالية : وهي انني لم اسمع من هؤلاء المسافرين لعنات وسبابا طول الطريق ابتداء من بغداد حتى هذا المكان بقدر ما سمعته في هذه البقعة بالرغم من ان كل واحد منهم تعهد بأن يمسك نفسه عن السب والقذف وذكر الشيطان اذا ما وصلوا الى مكان الدواسن• وقد كنت قد قررت ان لا أتدخل في شؤون هذه الجماعة وان لا اخاصمهم ، فدفعت لليزيدي الموكل بنقلنا ، أجرة عبوري وزيادة عما طلبه من كل فرد من الآخرين وذلك لكي يأتيني بكلك أحسن ، شريطة ان تكون القراب أحسن نفخا من البقية • ولما لم يتفق أصحاب الكلك على الاجرة مع الاغا التركي، أعرضوا عنه والتفتوا الي وباشروا ينقلون امتعتي الى الكلك • فوجد احد خدم التركي في هذه العملية اهانة موجهة الى الاغا فغضب وانزعج لتفضيل اليزيدي اياي على سيده وباشر يوجه الي والى اليزيدي اللعنات والشتائم ، غير ان أمتعتي وسرج حصاني وحمل بغلتي كانت قد استقرت على الكلك ، فجلست

---

(٩٧) راجع اسفار آيفر

Eduard Ives Reisen II, S. 168.

وفي النص الالماني غلطة واضحة تقدم للقاري، فكرة مغلوطة عن الكلك وقد جاء فيها ان هذه الآلة تحرك بعجلتين والأصح هو بمجذافين أو عدة مجاذيف • (المترجم)

فوقها وكان تيار ماء النهر قويا وحاداً وموجه متلاطما ومخيفا فأخذ يتلاعب بالكلك ويراقصه ٠ وكنت وصاحبي في فزع شديد حتى خيل لنا ان نتضرع الى الشيطان !! كلما أوشك الموج أن يبتلعنا ولكننا وصلنا بعون الله الشاطيء الثاني بسلام ٠ اما الدواب فقد عبرت النهر سباحة وكلا النوعين من الخيل والبغال يسبح جيدا وكان أحد الدواسن يعوم على قربة واحدة ويقود بيده ثلاثة من الخيل أو البغال أو أربعة منها٠ اما الحمير فكان من الضروري ربط قربة أو قربتين في ظهر كل واحد منها ٠ ولا يستطيع الشخص ان يقود في النهر أكثر من حمارين ٠ وقد غرق احدهما وكان صاحبه مسلما فلم يدخر وسعا في لعن الشيطان وكيل السباب لليزيدي الذي تولى قيادة حماره عبر النهر ٠ كذلك لم يخش الاستمرار في السب والشتم ولعن الشيطان حتى بعد وصولنا الى قرية اليزيدية لان عددنا كان كثيرا واستبعد ان يبطش به احد من اليزيدية ٠ غير ان سبابه ولعناته هذه لم تفده شيئا ، ففي الليل سرق الدواسن حماره الآخر وتركوه يولول ويبكي ويسب ويلعن قدر ما يشاء ٠

وفي اليوم السابع عشر سرنا مسيرة اربع ساعات حتى وصلنا الى كرامليس وعبرنا في طريقنا اليها نهرا صغيرا اسمه الخازر ٠ وكان ماء هذا النهر قد ارتفع ايضا بفعل هطول الامطار الغزيرة في الايام الاخيرة ولكننا مع ذلك استطعنا عبوره راكبين(٩٨) ٠

وفي طريقنا من الخازر الى الموصل شاهدنا في كل مكان الحقول والمزارع النضرة وقرى كثيرة منتشرة هنا وهناك واذكر اضافة الى اسماء القرى المدونة في الخارطة (شكل ـ٨) ، قرية شيخ امير Amîr وقرية أميدان Ameidân وباز كرتان Bâs Girtan وباس سخرا(٩٩) Bâs Sachra ٠ والقريتان الاخيرتان تقعان في سفح جبل عين الصفرة الذي سمي باسم عين فيه ، ماؤها بارد أصفر يستعمل لطبابة أمراض كثيرة ٠

---

(٩٨) كان هذا المكان بلا شك الموقع الذي انتصر فيه الاسكندر الكبير على دارا ٠ ويظهر ان الخازر هو بوميل Boumelle وان الزاب هو ليكوس Lycus وان اربيل هي اربيلا ٠ واورد كورتيوس Curitus, IV, 8 ان الاسكندر سار من اربيل الى ممنيس Memnis حيث فيها منابع القار فوصلها في أربعة أيام ٠ ان كركوك تبعد عن أربيل مسيرة عشرين ساعة وتبعد عنها دوزخورماتو ٣٥ ساعة وقد تكون الاخيرة هي بلدة ممنيس ٠ أما هيت التي توجد فيها منابع القير أيضا فتبعد عن أربيل مسافة كبيرة ٠ ولذا فلا يحتمل أن يقطع الاسكندر الكبير هذه المسافة في أربعة أيام ٠ كذلك عسكر التتر سنة ٦٢٣هـ على نهر الخازر ٠ ولقد وردت في :

Semmler: Uebersetzung der Algemeinen Welthistorie der neuer Zeiten II, Teil.

أسماء كثيرة يجدها القاري، مذكورة في الخارطة ٠ (المؤلف)

(٩٩) الصحيح « باصخرا » والاسم مصحف عن باصفرا وهي قرية تقع لحف الجبل الذي سمي باسمها « جبل عين صفرا » لوجود عين كبريتية فيها ، وقد ذكرها البلدانيون العرب (س٠أ)

كرامليس :

وكانت هذه مدينة كبيرة في سالف الازمان(*) ، اما اليوم فيتراوح عدد بيوتها بين الستين بيتاً والسبعين بيتا ولكنها ليست مبنية بناءاً ضعيفا كالبيوت الواقعة في منطقة باشا بغداد وانما مبنية بالكلس والحجر وأكثرها مقببة · ومدخرات الحبوب فيها بنيت في داخل الارض كما في بلاد فارس ، وكان جميع سكان كرامليس الى قبل سنوات قليلة خلت من النساطرة · وحال وصولي القرية استقبلني أغنى رجل فيها وقد كان نفسه مختار القرية ورجاني ان احل ضيفا عليه وقد لاحظت من بين أهل القرية ١٢ ـ ١٦ رجلا فى ألبسة وسيمة · وبعد الانتهاء من عبارات الترحيب المطولة والاسئلة العديدة عن سفرتي من بغداد ، سألنى أحدهم فيما اذا كان البابا هو رئيس الكنيسة الرومية الكاثوليكية فقط وليس رئيس الكنائس المسيحية الاخرى · ولم اكن اشك ابدا أن من الواضح لدى هذه الجماعة ان الارمن واليونان والاقباط لهم بطريقياتهم الخاصة كما هى الحالة عند النساطرة وان جميعهم لا يعترفون برياسة البابا وسلطاته · وبادرني خصمي بالسؤال قائلا : أو ليس البابا خليفة القديس بطرس ؟ أو لم يقل له المسيح أنت بطرس وعلى هذه الصخرة اريد ان أؤسس كنيستي ؟ وقد اظهر لى هذا بقوله انه ليس نسطوريا وانما كلدانيا (مهتديا) · فأجبته انه مما لا شك فيه ان بطرس كان يبشر بتعاليم الانجيل فى روما حيث يقيم فيها اليوم البابا الرئيس الروحانى الاعلى الذى يعمل على نشر تعاليم المسيح فى البلدان الاخرى ولكن الانجيل لا يقول ان الذى يكون الرئيس الروحانى الاعلى فى روما يكون ايضا الرئيس الروحانى لجميع المسيحيين وسيان عندى ان يعترف المرء بزعامة البابا كرئيس روحانى فى الارض أو لا يعترف به · فجميع المسيحيين من أى مذهب كانوا ، عندهم الانجيل ويعتقدون بتعاليم المسيح الذى بشر بها بطرس · وارى انهم اذا اتبعوا تعاليم الانجيل فان الله لن يفرق بين الكلدانى والنسطورى وبين بقية المسيحيين الآخرين · ثم سألني خصمي ان كنت لست افرنجيا (أوربيا) وانني يونانيا ؟ فأكدت له بانني أوربي ولكن من البلاد الاوربية التي لا تعترف برياسة البابا منذ مئتى سنة · وقد كان الباقون من الجماعة مستمعين فقط فتقدم الآن بعض النساطرة للاشتراك فى الحديث وبادرنى احدهم قائلا : لقد كان من الاجدر بك يا عزيزى القس ان تبقى على دين آبائنا واجدادنا وان لا تعمد على تغيير دين أخواننا واهل مذهبنا · لقد قمت انت وآخرون كثيرون بالدعوة ضد بطريقتنا (بطرياركتنا) فوصمتموها بشتى التهم ونصبتم بدله أوربيا رئيسا على الكنيسة ثم انك بصفتك أحد الاوربيين لاتعترف بهذا الاوربي رئيسا اعلى للكنيسة ·

(*) لقد ذكرت هذه البلدة في أوصاف رحلات سابقة تحت اسم كاورقوي لان جميع سكانها من المسيحيين ولا يقطنها مسلم واحد · (المؤلف)

لقد آلمني جدا انني ازعجت كلا الفريقين بهذا الحديث واغضبتهم ولكنني أكدت لهم بأن نصف اوربا ما زالت كاثوليكية رومية وان الآخرين وان كانوا لا يعترفون بالبابا ولكنهم يعدون انفسهم نصارى لا فرق بين احد منهم كما هي الحالة بين مختلف الطوائف النصرانية في بلاد المشرق من الامبراطورية العثمانية · وأرى أنه من الاحسن أن يترك لكل شخص حرية الاعتقاد بما هو موءمن به ومتأكد من صحته وبذلك تظلون أصدقاء أحباء · غير ان القس لم يرتح لقولي هذا وقال ان البعثة التبشيرية الاوربية في الموصل أكدت له بأن جميع اوروبا تعترف بزعامة البابا الروحانية ولذا فانه يشك بأن أكون اوربيا ، ولو كنت أوربيا لقرأت هذا وعندها لعلمت انه على حق· ثم أخرج من ثنايا نطاقه (عبه) كتابا صغيرا مكتوبا باللاتينية مع ترجمة بالسريانية أو الكلدانية ففتحه واشار الى المكان الذى فيه : انت بطرس··· الخ · فاجبته باننا قد تكلمنا عن هذا الموضوع وان هذه الجملة ليست موجودة في كتابه فقط بل في جميع الكتب النصرانية فقد تجادل اعاظم العلماء حول هذه الجملة سنوات كثيرة بدون أن يتفقوا على مضمونها لذا فنحن كلانا لا نستطيع الوصول بجدلنا هذا الى حل مرضي · وبدأت أغير مجرى الحديث وأتكلم عن موضوعات اخرى ، منها عن خصوبة الحقول والاراضي التي تعطي محصولا يتراوح بين عشرة أمثال وخمسة عشر مثلا · وعن أدوات حراثتهم التي لا تختلف رداءة وقدما عن أدوات الحراثة في مصر وفي بقية بلاد المشرق · وقد اخفق هذا العالم الروحاني لانه كان قد اعد هذا المجمع آملا أن يلاقي من اوربي مثلي مساعدة في جميع مهماته الدينية · غير انني كنت صديقا طيبا للجميع · ولما قرب الوقت لصلاة المغرب حيث يهرع المسيحيون في بلاد المشرق للذهاب الى الكنيسة عند الغروب لاقامة الصلاة، ذهبنا جميعا الى الكنيسة وكانت على اسم القديسة (بربارة) فاروني ضريح هذه الشهيدة وضريح جاريتها ولكن الاخيرة لم يكن لها المنزلة والتكريم اللذان يولونهما لضريح القديسة بربارة بركوعهم عند قبرها والتضرع لها بطلب العون والمساعدة ·

وعلى مقربة من القرية تل من المعتقد أن فوقه كان قصر والد القديسة بربارة ، يشرف على السهول الجميلة المزروعة والمحيطة به ، ويقع مار متى أو شيخ متي (ماثيوس) فوق جبل عال يبعد ثلاث ساعات شمال شرقي كرامليس وهو دير مع قرية يقطنها اليعاقبة النصارى · والمعتقد ان فيه بعض الآثار ولكنها ليست ذات أهمية كبيرة · وفي قرية باصخرة التي تبعد ساعة ونصف ساعة عن كرامليس باتجاه الشمال والشمال الشرقي قبر لاحد القديسين باسم دانيال ، يزوره الاهلون ·

وتقع فى شمالى هذا المكان وعلى بعد ثلاث ساعات قرية بحزانى كما تقع قرية برطلة Baratol شمال غربى كرمليس وعلى بعد ساعة منها ،

وجميع سكانها من اليعاقبة . والى الشمال الغربي منها تقع قرية (خزنة تپه) Chasna Töppe وجميع سكانهـا من المسلمين والى الغرب منها بمسيرة ساعة ونصف ساعة تقع قرية مناره Minâre (١٠٠) وهي قرية صغيرة وقد كان سكانها الى قبل بضع سنين من النصارى ، اما اليوم فان جميع سكانها من المسلمين ايضا . وبمسافة تبعد ميلا واحدا باتجـاه الجنوب الغربى تقع بلدة قرهقوش وجميع سكانها من اليعاقبة .

ان اللغة الشائعة اليوم بين سكان القرى الواقعة فى هذه المنطقة هى اللغة السريانية ولكن اللغة السريانية أو الكلدانية التى يتكلم بهـا سكان هذه القرى تختلف عن اللغة الاصلية التى كتبت بها كتب الكنائس كما هى الحالة بين اللغة العربيـة الحديثة والقديمة(١٠١) . والنصـارى المختلطون بالاجانب عن طريق التعامل التجارى يتكلمون الكردية والتركية ويتكلمون العربية التى هى اللغة المعتبرة فى هذه البلاد ولغة التادب والتحضر . ومن الجدير بالذكر ان كلمات غريبـة كثيرة قد دخلـت على اللغـة السريـانية الحالية .

ويجدر بى فى هذه المناسبة ان اقول بعض الشىء عن النساطرة الذين لهـم بطريق يقيم في القوش ، وهي قرية لا تبعـد كثيرا عـن الموصل ، ويدعى البطريق فى الوقت الحاضر الياس . وتحت سيطرته الدينية نحو من ثلاثمائة قرية من المحتمل ان عددا كبيرا منها غير مسكون بالنصارى ولا يمتثل بطريق نساطرة منطقة حكارى لأوامر بطريق القوش اذ لا يخضع احدهما للآخر كما ذكرت ذلك في ص٣٣٢(*) .

---

(١٠٠) هناك منارة عليا ومنارة سفلى ومنارة الثالثة . ويقصد نيبور هناك منارة سفلى القريبة من طوبراق زيارة في ناحية الحمدانية راجع : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء لياسين العمري وتحقيق سعيد الديوهجي ص ١٦٥ . (س.أ) .

(١٠١) يتكلم أكثر سكان هذه القرى اليوم « السورث » وهي اللهجة السريانية المكسرة المعروفة بالفلاحية والمنتشرة في منطقة الموصل الشمالية أي قرى نصارى الموصل واربيـل والسليمانية وكويسنجق وطور عبدين وبحيرة اورمية وسنا في بلاد فارس وبعض قرى اسلامية في جوار دمشق أكبرها قرية معلولة مع اختلاف بينها في هذه اللهجة . راجع الخوري افرام عبدال في كتابه اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشـــهيد (الموصل ١٩٥٠) ص ٢١٤ . (س . أ)

(*) ذكر الرحالة كارستن نيبور في ص ٣٣٢ من الجزء الثاني لكتابه هذا عن بطريق نساطرة حكاري ما يلي : « حكاري مقاطعة تقع في منطقة كردستان شرقي منطقة نفوذ العمادية وتتاخم منحية وان . وهذه البقعة الصغيرة من الارض جبلية ووعرة المسالك يقطنها النساطرة ولهم بطريق اسمه على الدوام شمعون (سيمون) وهو مستقل تمام الاستقلال عن بطريق القوش . ويقول سكان هذه المنطقة ان باشا مدينة وان يرسل الى هذه المنطقة حاكما عنه يدعى بيك ويقيم في قرية كومبري ولكن السكان لا يعيرون له اهتماما يذكر بل هم يبدون له الخضوع ظاهريا لانهم واقعون تحت حكم المسلمين فلا يجسرون على قطع الصلة بـه تماما . ونساطرة حكارى لا يرغبون بقدوم التجار المسلمين اليهم لشراء منتوجاتهم والتعامل معهم كما انهم لا يسمحون لاي مسلم ان يسكن بينهم ويعيش معهم . » . (المترجم) .

ويقيم بطريق اليعاقبة فى ديار بكر كما سيرد عليه الكلام ٠

وبلدة القوش تمتاز بخاصية اخرى هى ان النبى ناحوم ولد فيها ومات فيها ولذلك فان اليهود لا يزالون يحجون الى قبره كل سنة ٠ ويظهر ان القوش هي المكان نفسه الذي ورد ذكره في تاريخ العالم العام Algemeine Welthistorie تحت اسم الكواشي Al-Cawaschi وقد كانت فى بداية القرن السابع الهجرى قلعة حصينة ٠

* * * *

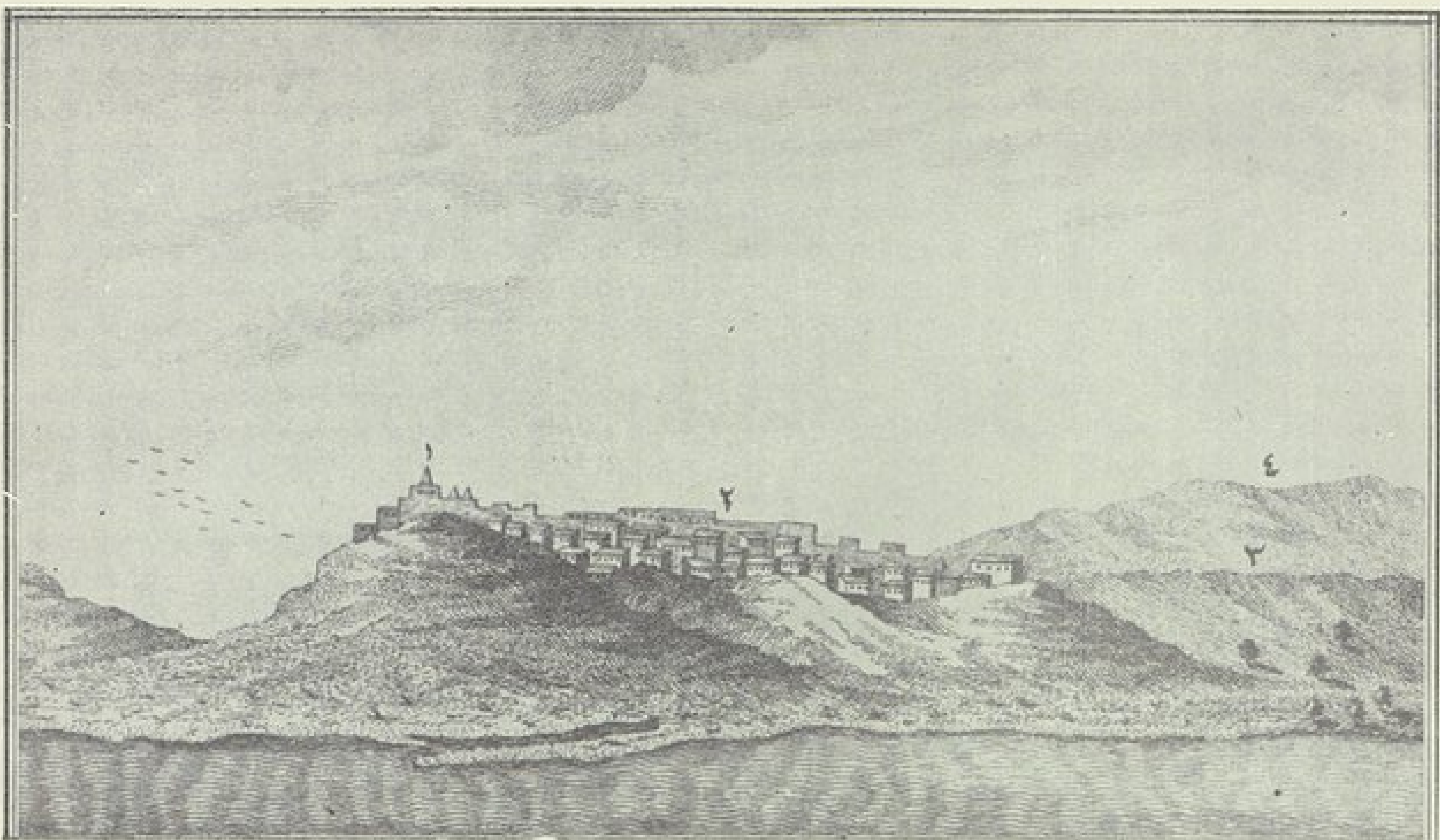
الموصل

وفي اليوم الثامن عشر غادرت كرامليس الى الموصل فقطعت ثلاثة اميال المانية بين الحقول والمزارع وفي الجهة الشمالية من الطريق تقع قرى باشبيثا Baschbita وبازاوه(١٠٢) Basaua وكوكجلي Godsjeli . وبالقرب من القرية الاخيرة نهر صغير شيد عليه جسر • اما في الجهة الجنوبية من الطريق فان المرء يشاهد قريتي مناره Minâre وكوچك Kodsjak •

وقبل ان يصل المسافر الى الموصل من هذه الجهة ، يسير خلال نينوى • وسعة هذه المدينة على رأي مصارى الموصل ، تمتد من قاضي كند (القاضية) حتى قرية يارمجه والمسافة بينهما نحو ميلين المانيين • وهاتان القريتان تقعان على نهر دجلة ولكن اليهود يدعون ان المدينة كانت أوسع من ذلك بكثير حتى أن المسافر كان يحتاج مدة ثلاثة ايام لقطعها • وما كنت اتصور انني ساكون في موقع عظيم الاهمية الا بعد ان اشرفت على نهر دجلة وهنا اراني الناس قرية مشيدة على تل كبير يطلقون عليها اسم نينوى وفيها مسجد بداخله قبر النبي يونس (Yonas) واليهود يقدسون هذا الضريح حتى يومنا هذا ولكن منذ ان دخل في حوزة المسلمين لا يجسرون على التقرب منه • على انهم يحجون اليه ويزورونه من خارج المسجد ويقولون ان المسلمين لا يسمحون لهم بالدخول في المسجد وزيارة الضريح وهذا ادعاء كاذب من اليهود لان الموصليين لا يمنعون المسيحيين مطلقا من زيارة اضرحة اوليائهم وقديسيهم في الاماكن التي كانت في زمن ما كنائس ثم حولت الى مساجد وجوامع ولهم مطلق الحرية في زيارة هذه الاضرحة قدر ما يريدون ومتى ما يشاءون • ولربما كان السبب في ذلك هو ان اليهود لايريدون الدخول في معبد لا يعود الى دينهم أو ان بخلهم الشديد يمنعهم من ارتياد بيوت عبادة المسلمين حتى لا يتبرعوا بشيء من المال لاعمال البر والخيرات أو للسدنة والمقيمين • فان القائمين بادارة هذه المساجد يرحبون بكل ما يجود عليهم الزائر من المال لا كما هي الحالة في اوربا •

اما التل الآخر الواقع في هذه البقعة فهو قلعة نونيا Kalla Nunia

(١٠٢) ذكرها ياسين بن خير الله الخطيب العمري في منية الادباء باسم (بازواي) في صفحة ١٣٥ • (س١٠) •



الشكل ـ ٦

منظر عام للقسم الشرقي من مدينة الموصل وتشير الارقام الى :
(١) جامع النبي يونس (٢) قرية نينوى (نونيا) (٣) سور مدينة نينوى
(٤) جبل عين صفرا

أو قلعة نينوى وتقع عليه قرية قوينجق · وفي أثناء اقامتي في الموصل بدار تقع على نهر دجلة أراني أحد أهل الدار أسوار نينوى التي لم تجلب انتباهي أثناء مروري منها فقد ظننتها سلسلة من التلال ولقد رسمت بعدئذ مخططا لمدينة نينوى يجده القارىء في الشكل ـ ٦ والارقام (١) يشير الى المسجد الذي فيه قبر النبي يونس و (٢) يشير الى قرية نونيا و (٣) يشير الى أسوار نينوى و (٤) الى جبل عين الصفراء ·

ويربط نينوى بالموصل جسر كالجسر القائم على دجلة فى بغداد وفى الحلة ، غير أن سعة النهر فى الموصل يختلف عنه فى بغداد حيث يبلغ عرضه في الموصل (٦٦) ستا وستين خطوة مزدوجة اي نحوا من (٣٠٠) ثلاثمئة قدم · ويطفو الجسر على عشرين عوامة · فاذا ما سقط المطر بشدة أو ذاب الثلج الذي يكسو الجبال المحيطة بالموصل فان مستوى ماء النهر يرتفع وتياره يشتد بحيث يقطع اتصال الجسر بأحد جانبي النهر ، هذا اذا لم يجرفه التيار على حين غرة وقد حدث ذلك فى اليوم الثالث والعشرين من شهر آذار · فقد جرف التيار الجسر فى هذا العام مرتين وكثيرا ما يجرفه للمرة الثالثة (فيضطر الناس للبحث عنه في مكان ما بعيد عن الموصل) ·

ولقد ارتفع مستوى النهر الآن بضعة أقدام · وفي اليوم الاول من شهر نيسان اعيد ربط الجسر الخشبي بالجانب الثاني من النهر · والشاطىء الشرقي للنهر منخفض وأرضه رخوة ولذا فان الطريق الى الجسر في فصل الشتاء وفي موسم الامطار موحل ورديء جدا · وكان الباشا قبل بضعة أعوام قد قام ببناء سدة مرتفعة أو جسر على هذه الطريق ولكن قناطره كانت واطئة وضيقة فجرفه تيار الماء وهدمه في أول موسم فيضان النهر والآن أصبح الطريق أردأ من السابق بكثير[١٠٣] ·

والمسافر المقتصد لا يجد طريقا ارخص واقل نفقات من هذه الطريق وبخاصة فيما يتعلق بالكمرك واجرة الطريق (ضريبة الطريق والعبور) · ففي ينكچة وكركوك والطون كوبري وأربيل وعند نهر الزاب لم أدفع سوى جزءاً قليلا من النقود وهذا النوع من الضريبة يدعى (باج) ·

وفي الموصل أخذوا امتعتي وصناديقي الى الكمرك ولكنهم لم يفتشوها ولم أدفع شيئا من النقود ما عدا جزء قليل من الدراهم كالتي نسميها نقود (أجور اخراج كمركي) ، دفعتها لاحد المستخدمين حتى ينهي عملية اخراج

---

(١٠٣) اول من شيد القناطر على الجانب الشرقي من دجلة هو (صاري مصطفى باشا) الذي تولى الموصل ١١٣٥ هـ ـ ١٧٢٠ م وفي ١١٥٥ هـ ـ ١٧٤١ م جدد الحاج حسين باشا الجليلي القناطر · انظر سومر ١٢ (١٩٥٦) ص ١١٥ ـ ١١٧ (س·أ) ·

امتعتي بسرعة ۰ ويدفع التجار على كل حمل جمل من الاقمشة سواء أكان من الكتان أو من الحرير أم كان من النوع الخشن أم الناعم ، عشرة قروش وعلى حمل القهوة سبعة قروش ونصف قرش وعلى حمل الجمل الذي يحتوي على فلفل وبضاعة أخرى ستة قروش وثلثي القرش ۰ اما اذا كانت البضاعة محملة على حمار أو بغل فانها توزن ويدفع(الباج)(١٠٤) عليها بالنسبة للاحمال السالفة الذكر ۰

والسفر من الموصل الى بغداد فى نهر دجلة سهل جدا والواسطة الوحيدة للسفر هو الكلك اذ لا توجد واسطة غيره وهو واسع جدا والتجار يحملونه بضاعة كثيرة ۰ واذا أراد التجار مرافقة بضاعتهم فانهم يبنون فوق الكلك غرفة صغيرة لتقيهم من المطر وحرارة الشمس ۰ وتستغرق الرحلة النهرية الى بغداد في أيام الربيع عندما يكون تيار الماء قويا ثلاثة أيام الى أربعة ايام ، اما فى الاوقات العادية فان الرحلة تستغرق أربعة عشر يوما ولذلك فان المسافرين والتجار يفضلون الطريق البري ۰ والمسافر بطريق النهر يستطيع التوقف في تكريت وسامراء ۰

سامراء وتكريت :

وقد كانت تكريت فى الازمان السالفة مدينة مشهورة وآثارها ما زالت باقية تدل على ما كانت عليه من سعة واهمية فى الزمن القديم ۰ كذلك كانت سامراء مدينة مهمة فقد كانت مقرا لعدد من الخلفاء ، عاش فيها ثلاثة من كبار أئمة الشيعة(١٠٥) ودفنوا فيها وتزار قبورهم كل سنة من جموع غفيرة من الفرس ۰ وفي سامراء برج ضخم مرتفع جدا يشبه برج الرصد في كوبنهاكن وليست له سلالم بل طريق لولبي منسرح(١٠٦) ۰

والواقع أن سامراء لم تكن وحدها مشهورة بمبانيها الاثرية القائمة بل هناك عدد كثير من المباني الاثرية القائمة على طول شاطىء دجلة بين الموصل وبغداد ۰ على ان هذه الآثار قد تعود جميعها الى الزمن الاسلامى لذلك فلا يحتاج المسافر ادنى عناء لزيارتها والتعرف عليها(١٠٧) ۰

وبالقرب من نمرود بقايا قلعة متداعية تبعد عن الموصل مسيرة ثماني ساعات وفيها يشاهد الزائر بناءا عجيبا ۰ وعندها سد قد بني في دجلة ويصل ضفتي النهر ولعل الغرض من بنائه هو حصر الماء المطلوب لري

---

(١٠٤) الباج ـ نوع من الضريبة تفرض على المواشي (س۰أ) ۰

(١٠٥) هم : على الهادي والحسن العسكري والامام الثاني عشر محمد المهدي ۰ (س۰أ) ۰

(١٠٦) ويقصد به ملوية سامراء ۰ المترجم ۰

(١٠٧) هناك عدد من المواقع الاثرية الواقعة اطلالها على ضفتي دجلة ما بين بغداد والموصل مما يرتقي زمنه الى ما قبل العصور الاسلامية ، نذكر منها : تكريت ، آشور (الشرقاط) ۰ نمرود (س ۰ أ)

الاراضي المحيطة بنمرود . ومن المحتمل ان هــذا الســد ليس من عمــل المسلمين اذ انه ظل يقاوم تيار ماء دجلة الجارف منذ الف سنة على أقــل تقدير(١٠٨) .

وعند موضع الفتحة حيث يخترق دجلة جبل حمرين في فتحة ضيقة شلال ومنحدر قوي يصعب على الكلاكة (اصحاب الاكلاك) اجتيازه لاسيما عندما يكون مستوى ماء النهر منخفضا وهم يلاقون المشقة نفسها في اجتياز سد نمرود عنــدما يكون ماء النهر مرتفعا فيصعب عليهم وعلى السفائن تمييز الصخور وكثيراً ما تؤدي الى حوادث الاصطدام والغرق . أما اذا كان الكلاكة مهرة ويعرفون كيف يقودون اكلاكهم فلا خوف عليهم من هذين الموقعين . وتسير الأكلاك في دجلة بين ديار بكر والموصل وفي هذا الطريق النهري ثلاثة شلالات أو اربعة شلالات .

ولا تسير الاكلاك بين بغداد والموصل لانها لا تستطيع مقاومة تيار النهر ولذلك فان الكلاكة يحملون المجاذيف والقرب على الحمير ويعيدونها الى الموصل اما البقية التى ليس لها اهمية للنقل فانهم يبيعونها فى بغداد، فيبيعون الخشب وكل محتويات الكلك .

وتسير القوافل بين بغداد والموصل مجتازة البادية وهذا الطريــق أقصر بكثير من طريق بغداد – كركوك – أربيل . ولكن الاوربي لا يفضل السفر الى الموصل عن هذه الطريق لانه ليس عليه مكان مأهول بالسكان ما خلا بلدة تكريت .

* * *

ولما كنت احمل معي رسائل توصية الى البعثة التبشيرية في الموصل ، لذلك فقد توجهت من دائرة الكمرك الى مقرها آملا ان تجد لى بيتا اسكن فيه فى المحلة التى يكثر فيها النصارى . وقد كانت هذه البعثة تتالف مــن اثنين من الدومنكان ، وكان احدهما حكيم باشى أى الطبيب الخاص للباشا.

---

(١٠٨) ان السد الذي ذكره الرحالة كارستن نيبور والذي يمتد في نهر دجلة موصلا ضفتيه عند مدينة النمرود ، لا شك وانه بقايا الجسر الحجري الذي بني في زمن ما من عصر الامبراطورية الآشورية الوسيط . وربما بني في زمن الملك آشور ناصر بال الثــاني الذي حكم في عاصمة ملكه نمرود في أواسط القرن التاسع ق.م. وبقايا هذا الجسر الحجري أو السد حسبما دعاه كارستن نيبور تشاهد بوضوح عند تناقص مياه دجلة فى اواخر فصــل الصيف وفى الخريف ويسميها سكان تلك المنطقة سكر النمرود او العواية لان الماء يحدث صفيرا بنتيجة اصطدامه بشدة فى الصخور الباقية من هذا الجسر . وقد رآه لايارد فى ١٥ نيسان ١٨٣٩ وهو راكب في الكلك في رحلته النهرية الى بغداد فشاهد أجزاء كبيرة منه باقية بهيئة كتل كبيرة من الحجارة المربعة الشكل الموصولة بعضها ببعض بقضبان الحديد.. الخ (راجع : لايارد نينوى ص ٣٠) . ولقد شاهدت في أواخر نيسان ١٩٤٩ بقايا رقبــة هذا الجسر من الجانب الغربي لدجلة قبالة قرية النمرود الحالية وذلك حينما كنت ارافق البعثة التنقيبية للمتحف البريطاني برياسة البروفسور ملوان ، لاستئناف التنقيب في نمرود بمناسبة مرور مئة سنة على قيام لايارد بالحفر فيها . (المترجم)

ولكن حالما عرف هؤلاء الآباء(١٠٩) انني دانمركي وبروتستانتي لذلك فقد امتنعوا عن مساعدتي ولهذا فقد اضطررت على استئجار غرفة في الخان . لقد كنت دوما على وفاق ووئام تامين مع جميع الرهبان الذين صادفتهم وتعرفت عليهم اثناء رحلتي وكانوا يكرمون وفادتي ويحسنون معاملتي وان كان بعضهم قد حاول عبثا ان يهديني الى مذهبه ولكن مع ذلك فقد بقينا اصدقاء وكانوا يفرحون برؤية أوربي في هذه البلاد .

اما الدومنكان في الموصل فانهم لم يرتاحوا لمجيئي . وقد صادف مجيئي الى الموصل في وقت الصوم عند النصارى . فالنساطرة واليعاقبة يمتنعون عن أكل اللحم والحليب والزبد والبيض حتى وان كانوا في اشد حالات المرض . ويتشددون كثيرا في المحافظة على الصوم اكثر من المسلمين فلا يأكلون ولا يشربون شيئا ابتداء من شروق الشمس حتى الظهر كذلك لا يدخنون . والدومنكان انفسهم يصومون في الموصل أو يتظاهرون على الاقل بالصيام لان السكان يعدون الصيام من اهم الواجبات التي يجب على النصراني التمسك بها . ولو نبهني هؤلاء القسس المحترمون منذ البداية الى ذلك لاخذت بمشورتهم واقتديت بهم ولصمت أيضا محافظة على سمعة الاوربيين ولكنني اعتقدت بأنه لا يكترث احد هنا بمأكلي أسوة ببقية سكان البلدان التي مررت بها . ولكن الخبر بعدم صيامي انتشر بسرعة بين الاهالي وكان هناك عدد من النساطرة الرهبان الذين اهتدوا على ايدي الدومنكان ، اعتقدوا كبقية اصحابهم في كراملیس أن جميع الاوربيين ينتمون الى الكثلكة الرومية ولهذا أخذوا يستفسرون عني ويسالون عن هويتي ومذهبي من أساتذتهم الدومنكان ، ولكن هؤلاء الدومنكان أخذوا يشنعون بي ويقذفون بالمذهب البروتستاني ويتهمونني بالالحاد حتى صار كل المسيحيين ينظرون الي كأحد الكفرة الملحدين ما خلا عدد قليل من التجار الذين كانوا يحتكون بالانكليز في مدينة حلب اثناء وجودهم فيها . وتحت تأثير موجة الشغب الشديدة هذه التي أخذ هؤلاء الآباء الدومنكان يبثونها نحوي ، فان المسلمين أخذوا يعتقدون بانني لست مسيحيا وباشروا يسالونني لماذا لا اختلط مع أبناء قومي الاوربيين ؟ ولكي أنال احترام الناس هنا واضع حدا للشكوك والتقولات ، اضطررت على بذل جهدي في مصادقة الحكيم باشي واستطعت ان احقق ذلك بموافقتي على شراء مسكوكة فرثية منه بثمن باهض ، وبعدها أخذ يقذف بالنصارى في بلاد المشرق ويكيل لهم الشتائم . ولا شك ان الرجل استطاع أن يحول كثيرا من النصارى عن مذهبهم ويدخلهم في مذهبه وبذلك فقد أدى خدمة كبيرة لكنيسته ولكن رأيه ووجهة نظره في النصارى الآخرين لم يكونا من الديانة النصرانية في شيء .

---

(١٠٩) ان صيغة : هؤلاء الآباء ! تعبير يستعمل في الالمانية للتهكم والاشمئزاز .

(المترجم)

ولقد وجدت من الضرورة الحصول على شرف المثول بين يدي الباشا وان كنت لم أبحث عن هذا الشرف فى البلدان الاخرى التي زرتها ، وذلك لكي أبرهن للسكان بأنني لست كما يعتقدون شخصية نكرة لا أهمية لها وان كنت قد أتيت الى الموصل مع قافلة اليهود وأخذ الدومنكان يتهمونني بالالحاد . وقد هيأ لي أحد أصدقائي هذه الفرصة بدون عناء وكان اسمه الياس وهو ابن اسحاق : الذي يحمل لقبا پاپويا من درجة فارس St. Johanne Eques Auratus Ac Sacri Pallatu et Aulae Lateranesis Comes.

وكان مترجما للكلدانية والعربية فيمدريد . فتكلم مع الكخيا واخبره بأنني قادم من الهند وزرت في طريقي بلاد الفرس وانني أتكلم العربية . فأخبر هذا الباشا ودعاني للحضور عنده على الفور وباشر يسالني عن أشياء متفرقة كثيرة . وعلى أثر ذلك زرت المفتي والرؤساء الروحانيين لكل من الاديان النصرانية والكلدانية والنسطورية واليعقوبية وهكذا فلم يمض وقت قليل على قدومي الى الموصل الا وقد أصبحت صديقا لجميع الطوائف والملل في هذه البلدة .

تقع مدينة الموصل على الجانب الغربى لنهر دجلة قبالة مدينة نينوى القديمة على درجة خط العرض ٣٦ و٢٠ دقيقة . ويدعى اليهود انها كانت فى الزمن القديم تدعى مدينة Atur (آثور ، آشور)[١٠١] وان اثنين من انبيائهم مدفونان فيها وهما عباديا Obadea ويفتاح الجلعادي ، ولكن هذين الشخصين ليسا المقصودين فى التوراة ذلك لان يفتاح الجلعادى دفن فى بلاد جلعاد Gilead (كما ورد فى كتاب القضاة الثانى عشر فى الفقرة السابعة .) . اما عن تاريخ هذه المدينة وزمن تأسيسها ومتى اطلق عليها هذا الاسم فانني لم استطع الحصول على اية معلومات بهذا الصدد . وكل ما يعرفه السكان عن تاريخ بلدتهم انها دمرت ثلاث مرات تدميرا تاما . ولكنها على كل حال مدينة قديمة جدا . ويقول المفتي انه عندما فتح المسلمون هذه المدينة قبل ألف عام[١١١] وجدوا فيها مئتي كنيسة وعددا من الكنيس اليهودية . والنصارى يجادلون في هذا العدد ويدعون بأنه كان في الموصل اكثر من اربعمائة كنيسة .

والموصل كأية مدينة كبيرة فى هذه البلاد ، فقد كانت امارة وكان

---

(١١٠) تقع مدينة آشور أول عاصمة للامبراطورية الآشورية على الضفة اليمنى من دجلة جنوبي الموصل بمسافة ١١٠ كيلومترات . وتعرف خرائبها اليوم بالقلعة أو قلعة الشرقاط . (س.أ)

(١١١) أول من مصر الموصل واختط منازل العرب فيها هو عرفجة بن هرثمة البارقي على عهد القائد عتبة بن فرقد السلمي ١٦ هـ .اما الذي وسعها وجعل لها مقاما بين الامصار فهو مروان بن محمد الذي تولى الموصل مرتين : ١٠٢ ـ ١٠٤ هـ (٧٢٠ ـ ٧٢٢ م) والثانية ١٢٦ ـ ١٢٨ هـ (٧٤٣ ـ ٧٤٤ م) وجعل لها ديوانا . سومر ٦ (١٩٥٠) ص ٢١١ ـ ٢١٢ . (س.أ)

خارطة مدينة الموصل كما رسمها نيبور . والارقام تشير الى :

١ ـ الباب العمادي .

٢ ـ باب سنجار .

٣ ـ باب البيض .

٤ ـ باب الجديد .

٥ ـ باب لجش .

٦ ـ باب الطوب .

٧ ـ باب الجسر .

٨ ـ ايج قلعة (القلعة الداخلية) .

٩ ـ السراي (قصر الباشا) .

١٠ـ الجامع الكبير .

١١ـ الجامع الاحمر او الجامع المجاهدي .

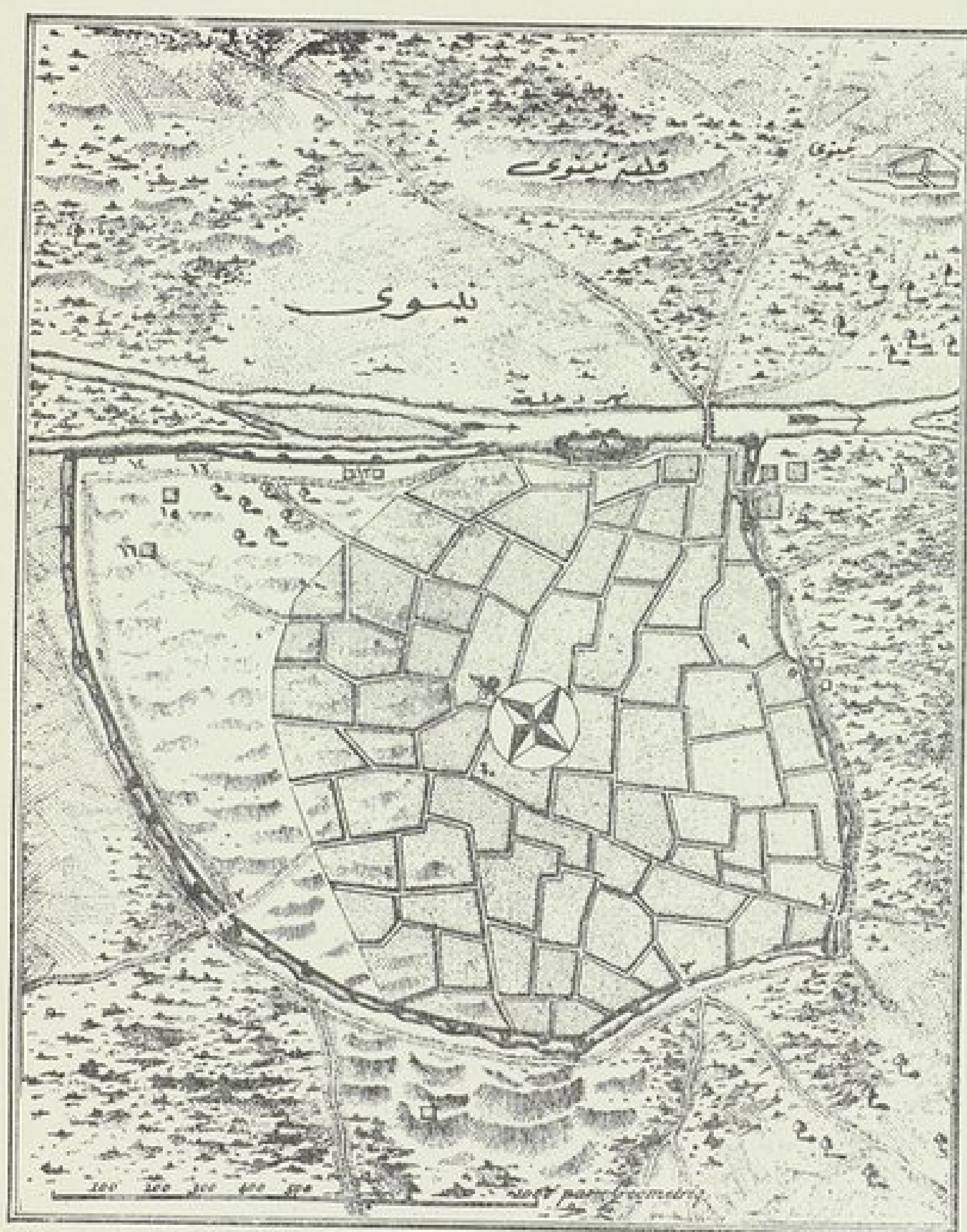
١٢ـ قره سراي .

١٣ـ المدرسة البدرية .

١٤ـ مرقد يحى ابو القاسم .

١٥ـ كنيسة النساطرة .

١٦ـ كنيسة اليعاقبة .



الشكل – ٥

خارطة الموصل كما رسمها نيبور . وتشير الارقام الى المواضع المهمة في المدينة
(انظر تفاصيلها في الصفحة المقابلة)

يحكمها أمير يدعى صاحب ويظهر انها كانت آنئذ أوسع بكثير من وقتها الحاضر . و (الشكل ـ ٥) يوضح موقع المدينة وسعة رقعتها . ونحو نصف المدينة الواقع على الطريق البري محاط بسور قديم قوي وضخم كما لا يزال قسم كبير من السور الواقع على ضفة النهر قائما . وللقسم الجنوبي الشرقي من المدينة سور متقطع ، له ابراج ولكنه غير قديم وفي مواضع كثيرة منه تلتصق البيوت مع بعضها البعض فتشكل قسما من السور . والقسم الاكبر من المدينة مهدم تغطيه الانقاض ، اما الآخر فانه مزدحم بالسكان . ويقدر عدد البيوت في الموصل بين العشرين الف بيت والاربعة والعشرين ألف بيت ، غير انني أعتقد ان هذا التقدير كثير جدا .

وشوارع الموصل وازقتها ضيقة ايضا وغير منتظمة كما هي الحالة في بقية مدن بلاد المشرق ولكنها تختلف عن هذه المدن بفارق واحد ، وهو انه ليست فيها محلات منفصلة عن بعضها بعضا ذوات أبواب خاصة كما هي الحالة في بغداد والقاهرة . بل ان لجميع الشوارع مداخل في نهاياتها . ومعظم هذه الشوارع والطرقات معبدة ، والبيوت فيها مبنية بالجص والحجر واكثرها مقببة . ويشتد البرد في الشتاء لدرجة كبيرة بحيث يجمد ماء النهر في أغلب الاحيان . فقد حدث أن جمد ماء دجلة باكمله قبل عشر سنوات وبقي جامدا أيام عديدة .

واهالي الموصل يعمرون طويلا ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى هوائها الصحي ومائها العذب المفيد للجسم . وبالقرب من المدينة عيون معدنية كثيرة تقع على حافة النهر وهي قوية التدفق وتختلط بماء النهر وتسبب له طعم الكبريت ولكن رائحته تنعدم عند الجسر فلا يشعر المرء بطعمه اذا ما شرب من النهر عند من الجسر الذي يقع في النهاية الثانية من المدينة . وعلى بعد اربع ساعات من المدينة باتجاه الجنوب توجد عين ماء حار واسعة يطلق عليها الناس اسم حمام علي ولمائها طعم الكبريت وتقذف كثيرا من القير .

وأبواب الموصل ومبانيها البارزة يجدها القارىء مؤشرة بالارقام على مخطط المدينة (الشكل ـ ٥) . فالرقم (١) يشير الى موقع باب العمادي وقد سد هذا الباب عندما حاصر نادر شاه المدينة . وقد بقي مسدودا منذ ذلك الحين ولم يفتح لحد الآن . ولهذا الباب أهمية تاريخية كبيرة فقد ورد ذكره في كتاب التاريخ العام بانه كان قائما في زمن الحروب الصليبية ويتضح منه ان المدينة في هذه الجهة لم يحدث فيها تغيير يذكر في خلال الستمائة سنة الاخيرة .

(٢) • باب سنجار • (٣) باب البيض • (٤) باب الجديد • (٥) باب لجش • (٦) باب الطوب • (٧) باب الجسر (٨) ايج قلعة Ytsch Kallà أو القلعة الداخلية •

وهذه القلعة تقع على جزيرة صغيرة مستطيلة الشكل في نهر دجلة ، وتتخذ الآن مستودعا للذخيرة والعتاد • وعند زيارتي لها لم أجد فيها أحدا ما خلا البواب الذي وجدته جالسا عند مدخلها يدخن الغليون(١١٢) • ولقد تركني أجول في هذه القلعة ولم يتعرض لي مطلقا لمشاهدة كل ما أردت رؤيته • على انه لا يوجد فيها شيء يثير الدهشة والاستغراب ما خلا أعداداً كثيرة من القنابل التي ألقاها نادر شاه عند محاصرته المدينة • ورأيت المدافع والقذائف قد غارت في الارض ومعظم مبانيها قد هدمت أما القسم الباقي منها فهي مسكونة وأبوابها مفتوحة • كذلك شاهدت فيها مخزنا مملوءا بالخبز اليابس (الرقاق) مضى على خزنه خمس عشرة سنة أو عشرين سنة ولا يزال محفوظا •
وفي البقعة المؤشرة على المخطط برقم ٩ يقوم السراى Seroj أو قصر الباشا ويتألف من عدة مباني قديمة •

* * *

ومن المباني التاريخية البارزة في الموصل الجامع الكبير وقد بناه نورالدين صاحب دمشق(١١٣) ويشير رقم (١٠) الى موقعه في مخطط المدينة • ولم يبق منه الا قسم قائم من سوره والمئذنة (المنارة). والناس يعجبون لارتفاعها لانها أعلى بقية منائر الموصل التي يبلغ عددها تسع منائر تقريبا • على ان هناك منائر مرتفعة كثيرة في بقية مدن البلاد الاسلامية ولا يجد الرواد والسواح الاوربيون في ذلك عجبا أو انها من خوارق الاعمال •

وتقع في وسط الساحة الفسيحة للجامع بناية تدعى القبلة أو المحراب الكبير وهو كالمحاريب الاخرى الموجودة في بقية المساجد ولكنها مبنية في حائط المسجد وتشير الى اتجاه مكة ، وأهميتها انها تساعد المسلمين في معرفة اتجاه القبلة وقت الصلاة(١١٤) • وهذا المحراب منحوت بكامله من

---

(١١٢) لغرض الاطلاع على تاريخ هذه القلعة راجع سومر ١٠ (١٩٥٤) ص ٩٤ ــ ١١١ • (س٠أ)

(١١٣) راجع :
Semmlers Uebersetzung der Algemeinen Welthistorie der neuern Zeiten 3 ter Theil § 1.

(١١٤) اذا وقف المرء هنا أمام القبلة فانه ينظر الى جهة الغرب وتكون بلاد البرابرة (المغرب) في الشرق وبلاد العرب السعيدة (اليمن) في الشمال وسوريا في الغرب ويحار الغربيون في تعيين الاتجاهات بصورة صحيحة اذا لم يضعوا نصب اعينهم الاتجاهات الجغرافية لتعيين المواقع ويعتبروا اتجاه القبلة دائما نحو الجنوب • (المؤلف) •

المرمر وتتجلى فيه روعة الفن الاسلامي والنقوش التي تمثل ورق العنب(١١٥). وقد جدد بناء قسم من الجامع وله شبابيك على هيئة شبكة من المرمر ، ولم أر في هذه الشبابيك زجاجا(١١٦). وسمك هذه الشبكة من المرمر نحو ثلاثة أصابع وقد نحتت نحتا رديئا . ولهذا الجامع أعمدة مثمنة الجوانب ، نحتت من الحجر .

وهناك جامع مهم يدعى جامع النبي جرجيس(١١٧) ومن عجائبه أن فيه صندوقا مملوءا بالماء. وقد وضع على سطحه وذلك لجذب طائر السمرمك(١١٨) Samarmog أو آكل الجراد الى هذه الجهة . وكان هذا الجامع فيما مضى كنيسة تابعة للنصارى الذين يعتقدون أن القديس جرجيس (جورج Georg) مدفون فى هذا المكان ولكنني شاهدت قبره أيضا فى مصر العتيقة (القاهرة القديمة) وفي رامة(١١٩) (Rama) احدى مدن الارض المفضلة كذلك شاهدت قبره فى مقاطعة كسروان (Kesroân) في جبل لبنان(١٢٠) .

وفي خارج المدينة ، في الموقع الذي يشير اليه رقم ١١ على المخطط ، جامع كبير قديم يسمى الجامع الاحمر(*) وقد وجدت في داخله تاريخا وهو سنة ٥٧٦ للهجرة ولم استطع قراءة أسم بانيه لان الكتابة كانت غير واضحة ولقد قيل لي أن بانيه هو مجاهدالدين . ولعل مجاهدالدين هذا ، هو مجاهد الدين قيماز الذى ورد ذكره فى تاريخ العالم العام ولا يستبعد ان قام ببنائه بأمر من سيف‌الدين غازي بن مودود الذي توفي في هذه السنة .

وفي هذا الجامع كتابات كثيرة ومن ضمنها كتابات بالخط الكوفي كالتي يجدها القاريء في (الشكل ــ ٣ حـ ، د) وكذلك كتابات بالخط العربي

---

(١١٥) نقل هذا المحراب الجميل المصنوع من المرمر الازرق الى بغداد وعرض في متحف القصر العباسي (غرفة ٥) ونقل مؤخرا ليعرض في جناح المعروضات الاسلامية في بناية المتحف العراقي الجديدة في الصالحية (جانب الكرخ) . راجع البحث المنشور عن هذا المحراب في مجلة سومر المجلد ٧ (١٩٥١) ص ٢١٥ (س٠أ) .

(١١٦) كان في متحف القصر العباسي نموذج من هذه الشبابيك المخرمة (س٠أ) .

(١١٧) راجع البحث المنشور عن هذا الجامع في مجلة سومر المجلد ١٧ (١٩٦١) ص ١٠٠ وما بعدها . (س٠أ) .

(١١٨) الصحيح هو طائر السمرمر : أنظر البحث عن هذا الطائر في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق المجلد ٢٨ (١٩٥٣) ص ٣٣٩ ــ ٣٥٤ للعلامة عبدالقادر المغربي . (س ٠ أ)

(١١٩) يقصد الرحالة بالارض المفضلة ، فلسطين ورامة هي رام الله . (المترجم)

(١٢٠) راجع : وصف الجزيرة العربية ص ١٧٥ .
Beschreibung von Arabien S. 175.
(المؤلف)

(*) ويعرف كذلك بالجامع المجاهدي او بجامع الربض وبجامع الخضر . وقد شيده مجاهد الدين قيماز الرومي احد مماليك الاتابكيين سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦م) وللوقوف على التفاصيل يراجع كتاب : جوامع الموصل (١٩٦٣) ص ٥٥ ــ ٧٢ ، للاستاذ سعيد الديوهجي . (س ٠ أ)

المألوف اليوم ، وجميعها آيات من القرآن • وهذه الكتابات والنقوش النباتية والتي تمثل اوراق الكرم والتزيينات الاخرى التي تغطي جدران الجامع قد عملت من الجص بطريقة جميلة جدا قلما يجد مثلها المرء في هذه البلاد • ويدعي النصارى انه كانت تقوم في الزمن القديم في هذا المكان كنيسة كبيرة وكانت تتوسط مدينة الموصل • ويروى السكان انه كان في هذا المكان جسر خشبي فوق نهر دجلة •

وليس من احد بين أمراء الموصل اهتم بالناحيتين العمرانية والعلمية وكسب شهرة واسعة مثل أميرها لؤلؤ الذي عاش في أواسط القرن السابع الهجري • فقد بنى قره سراي وهو البناء الضخم الواسع المؤشر على موضعه في مخطط مدينة الموصل برقم (١٢) ولكن هذا القصر مهجور اليوم وغير مسكون ومتهدم • ورأيت على جدران غرف القصر صورا جصية صغيرة بارزة يتراوح عددها بين الثمانين والمائة تمثالا فجلبت دهشتي واستغرابي ولكنني لاحظت ان معظم رؤوسها قد خربت كما شوهت معالم أثرية كثيرة أخرى ، وهي ليست جميلة الصنع كما هو المتوقع أيضا • وجميعها واقفة ومتراصة الى بعضها البعض وأيديها مصلبة على بعضها بعضا وأشكالها متشابهة بحيث يتراءى للناظر ان المثال قد صنع لها قالبا واحدا وصبها بالجص[١٢١] •

ومن المباني التي قام بتشييدها لؤلؤ هي المدرسة أو الكلية ويشير رقم (١٣) الى موقعها في المخطط • وكذلك قام بتشييد بناء جامع جميل على قبر يدعى صاحبه يحيى ابن القاسم أو كما يطلق عليه البعض (أبو القاسم) ويشير الى موضعه في المخطط رقم (١٤) • ويدعي النصارى أن يحيى هذا هو أحد عظماء أوليائهم وقديسيهم وان اسمه الحقيقي هو يوحنا الازرقي Johannes el Asârki • ويقع ضريحه باتجاه الجنوب والجنوب الغربي والشمال والشمال الشرقي ويظهر أن المسلمين حولوا اتجاه قبره نحو القبلة اذ باعتباره نصرانياً لايجوز أن يبقى مدفونا باتجاه غير هذا الاتجاه • وقد أخذ لؤلؤ هذا القبر من النصارى واضافه الى البنايات الاسلامية الواسعة الرائعة التي قام ببنائها بين المدرسة والسور • ولهذا فان النصارى يستطيعون زيارته ويدخلون الجامع الذي بني فوقه في أي وقت يشاؤون • وقد لاحظت ان الجدار المحيط بالقبر من الداخل مكسو بقطعة عريضة من الرخام مزينة بنقوش من اوراق الكرم في غاية الدقة والاتقان وحفرت عليها كتابات (ويولي المسلمون اهتماما كبيرا لامثال هذه التزيينات والنقوش عن طريق الكتابات) ملأت بالجبس • كذلك وجدت في هذا المكان كتابات ونقوشا محفورة على الآجر فأثارت في الدهشة والاستغراب

(١٢١) وقد أزالت مديرية الآثار القديمة جميع الصور التي كانت واضحة المعالم في ايوان هذا القصر وكذلك معظم الكتابات اثناء قيامها بتصليح هذا الاثر الجميل في العام الماضي •
(المترجم)

ذلك لانها من جملة التزيينات المعمارية المألوفة في بابل وبغداد اللتين يندر فيهما وجود الرخام والحجر ولا يمكن الحصول عليهما حتى بالمال ولذا فقد جلبت انتباهي الشديد صناعة النقش وحفر الكتابات على الآجر في الموصل واعتبرت وجودها أمرا غريبا خاصة وان الرخام في هذا البلد متوفر جدا . كذلك رأيت هذا النوع من الآجر المنقوش قد استعمل لتزيين مداخل البيوت .

وللنصارى في الموصل نحو من عشر كنائس ولكن معظمها صغيرة جدا . وقد سمح لهم الباشا ببناء عدد جديد آخر وترميم القسم الباقي وتجديده ، ذلك لانهم اشتركوا في الدفاع ببسالة عن الموصل أثناء حصارها الاخير سنة ١٧٤٣(*) وقد بنى النساطرة لهم كنيسة جديدة يشير الى موضعها في المخطط رقم (١٥) وكذلك فعل اليعاقبة في المكان الذي يشير اليه المخطط برقم (١٦) . وهاتان الكنيستان جميلتان وخاصة كنيسة النساطرة التي ليس لها مثيل في جميع بلدان الشرق . وقد فهمت من الكتابة التي ساعدني على قراءتها أحد النصارى ان بناء هذه الكنيسة تم في سنة ١٧٤٤ الميلادية وفي سنة ٢٠٥٥ بعد حكم الاسكندر . وأكد لي الناس هنا أن النصارى في هذه البلاد لا يقتصرون على استعمال هذين التاريخين في تدوين زمن بناء كنائسهم فقط وانما في تاريخ الوثائق المهمة ايضا فيضعون كلا التاريخين جنبا الى جنب . والفرق بينهما هو ٣١١ سنة . وتتفق طريقة التدوين هذه حسب تاريخ حكم الاسكندر الكبير مع التدوين الآخر الذي يبتدىء بحكم سلوقس وتبتدىء السنة لهذا الحساب بشهر تشرين الاول (اكتوبر)[١٢٢].

وفي الموصل خمسة عشر خانا أو بيوتا عامة يأوي اليها الغرباء وبينها خمسة خانات صغيرة ورديئة . اما البقية فهي كبيرة وواسعة وقد بنيت خصيصا لتوفير الراحة . أما المقاهي والحمامات والاسواق ، فان القسم الاعظم منها جميل وخلاب ، على ان اجمل واحسن هذه المحلات العامة تعود الى أسرة عبدالجليل أي الى أقرباء والي الموصل الحالي وهو أمين باشا[١٢٣].

(*) المقصود هنا حصار نادرشاه للموصل . انظر الهامش ٨٥ في ص ٨٦ (س . أ)

(١٢٢) راجع كتاب نيبور الذي نحن بصدده وهو : صفة جزيرة العرب ص ١٠٩ .

(١٢٣) وقد روى لي السيد احمد الجليلي عميد الاسرة الجليلية اليوم والحفيد الثاني للوالي المذكور بان محمد أمين باشا كان الوحيد من بين الولاة الذي منحه السلطان لقب الغازي محمد امين باشا وذلك لانه حارب ضد الروس ثم اسر وارسل الى بطرسبورغ . ثم نقل لي رواية سمعها من اخيه حاج امين بك مفادها ان محمد امين باشا حين كان في الاسر في بطرسبورغ مع قواد آخرين من زملائه عرض عليهم الروس المال لتلافي نفقاتهم فرفضها ولكن زملائه القواد الاتراك تقبلوها ، وحين عاد من بطرسبورغ الى استانبول للسلام على السلطان أحضرت أمامه صينية مغطاة . فلما كشف غطاؤها وجد رؤوس زملائه فيها جزاء للمال الذي تسلموه من الروس . (المترجم)

وعبدالجليل هذا هو الجد الاكبر لهذه الاسرة له منزلة كبيرة عند النساطرة وقد خلف ذرية كثيرة ، اصبحت فيما بعد قوية مرهوبة الجانب حتى انها حملت السلطان على أن يعين باشا من أحد أفرادها · فقد حدث أن عين في السنوات الاخيرة على الموصل واليا من القسطنطينية، غريبا عن اهل الموصل فشاغبت عليه أسرة عبدالجليل وأخذت تثير سكان المدينة وتحرض القرى العربية واليزيدية للثورة على الباشا وعصيان أوامره مما اضطر الباشا الى ان يحتفظ دائما بقوات كبيرة من الجنود التي تكلف خزينة الولاية نفقات كثيرة أصبح معها في مأزق حرج جدا وكان عليه أن يختار أحد أمرين : اما الامتناع عن دفع الاموال المقررة ارسالها الى السلطان أو التخلي عن رواتبه والاموال المقررة لمعيشته · ولذا فقد كان من السهل على اسرة عبدالجليل تحقيق اطماعها في ان يكون احد افرادها باشا الموصل ، خاصة وان هذه العائلة اصبحت تعد من العائلات الراقية في البلدة وصار الاهالي من مسلمين ونصارى يعاضدونها ويسمعون كلمتها · ثم أن الباشا الذي يعين منها لا يحتاج الى قوة كبيرة من الجيش ، وباستطاعته ان يدفع للسلطان الاموال المجباة من الولاية المقرر بل أكثر منه، وبهذا يؤمن المال للسلطان أحسن من أي وال آخر · ولما كانت القسطنطينية لا تهتم بشيء آخر غير الحصول على اكبر كمية من المال لذا فان من كان يدفع لها مالا أكثر يصبح هو الوالي · والى جانب هذا كله فان من مصلحة اهالي الموصل ان يكون واحد منهم هو الوالي · وان الباشا الذي يريد أن يبقى في الحكم دائما يسعى لكسب رضا الناس وثقتهم بخلاف الباشا الاجنبي الذي لا يعرف مدى بقائه في الحكم ولاجل ذلك فانه لا يحصر اهتمامه بجمع المال والحصول على نفقات سفره فقط وانما كان عليه ان يقدم للسلطان المال ويرسل الهدايا الى القسطنطينية لكي يضمن له (باشلقا) آخر اذا ما استدعى من ولايته هذه ·

وسكان الموصل المسلمون كلهم من السنة والقسم الاكبر منهم على المذهب الحنفي اما البقية فهم شوافع · والكل من المذهبين مفتي يتبع مفتي القسطنطينية · ويقدر عدد النصارى بنحو ألف ومائتي بيت وحوالي ربع هذا العدد من النساطرة والكلدان (غير الضالين) والبقية يعاقبة ·
وقليل من النصارى المولودين في الموصل يعرف اللغة السريانية الدارجة بين سكان قرى الموصل لان العربية هي لغة آبائهم واجدادهم · وجميعهم بما فيهم التجار والباعة والقسان يكتبون بالخط الكرشوني وهو الخط المختلط من الحروف الهجائية العربية والسريانية أو حروف الهجاء الاسطرنجيلية · اما كتب كنائسهم فهي مكتوبة باللغة القديمة(١٢٤)·

---

(١٢٤) بل ان الكرشوني هو كتابة اللغة العربية بحروف سريانية · أما الاسطرنجيلي فضرب من الخط السرياني وهو الى السريانية كالكوفي الى العربية ·

وقد لاحظت بعدها ان اليونان في بلاد الاناضول يكتبون بخط مختلط من حروف الهجاء التركية واليونانية وقد صادفت احد التجار اليونان فتكلمت معه في العربية فسمى=

وحالة النصارى فى الموصل احسن بكثير من حالة النصارى فى بقية بلدان الامبراطورية العثمانية فهم هنا يعيشون سعداء وعلى وئام تام مع المسلمين ولهم الحق فى ان يلبسوا كما يلبس المسلمون وكثير منهم يعملون فى خدمة الباشا حتى أن حرم كهياسى Harêm Kiájasi (أى رئيس طباخي زوجة الباشا) نصراني وكان أبوه يشغل هذه الوظيفة لمدة طويلة عند والد الباشا ٠

وفي الموصل نحو مائة وخمسين بيتا يقطنها اليهود وهذه الملة تتمتع بحرية واسعة في البلاد التركية في الاشتغال والحصول على قوتها اليومي اكثر منها فى اوروبا التى مجال الرزق فيها مسدود فى وجه اليهود ٠ على أن اليهود محتقرون كثيرا وهم منبوذون فى بعض البلدان اكثر مما هم عليه عندنا لدرجة انهم فى بعض مدن هذه المنطقة التى يكثر فيها النصارى لا يجرأون على الظهور في المحلات العامة والخروج الى الشوارع في أيام سبتهم واعيادهم فيفضلون البقاء فى البيوت لكيلا يلاحقهم الصبيان ويرموهم بالحجارة وبذلك يتجنبون الشكاوى لدى الرئيس الاعلى للمسلمين ٠

فقد حدث لليهود قبل ثلاث سنوات حادث مزعج وذلك عندما ذهبوا في احدى زياراتهم الى (القوش) لزيارة قبر النبي ناحوم ، صادف ان فقد احد اطفال قرية مروا عليها فى طريق عودتهم الى الموصل وكان سكان تلك القرية من النصارى ٠ وبعد ان بحث أهل القرية عن الولد طويلا وجدوه ملقاً في بئر ومثخناً بالجراح وقد قطع لسانه فاتهموا اليهود بأنهم فعلوا ذلك ٠ فهجموا عليهم واشبعوهم ضربا ، ثم أقام سكان القرية النصارى الدعوة عليهم لدى الباشا وعند عدم توفر الادلة والشهود على ادانة اليهود فرض الباشا عليهم غرامة قدرها ألف دوقات (وهي نقد فضي) ٠

ويروى نصارى بلاد المشرق روايات كثيرة عن أعمال اليهود الاجرامية وخطف اولاد النصارى والتمثيل بهم ٠ فقد حاول احدهم ان يؤكد لي عندما زرت حلب بأنهم عثروا قبل سنوات قليلة على أحد أطفال النصارى فى أحد سراديب اليهود وكان قد اختطفه صاحب البيت اليهودى ومثل به والقاه في سرداب بيته ولكنه كان ما يزال على قيد الحياة ففرض الباشا على الطائفة اليهودية غرامة ثقيلة من المال وانهى بذلك الدعوة ٠

ان ولاية الموصل صغيرة ، تمتد على جانب دجلة الشرقي بمسيرة تسع ساعات جنوبا حتى نهر الزاب الكبير ، وبمسيرة ثماني ساعات باتجاه الشمال ٠ وهذه المنطقة محتشدة بالسكان ٠ اما الجانب الغربى من نهر

= لى هذا النوع من الخط بالخط الكرشوني ولم استفسر منه عما اذا كان هذا الخط يسمى فى التركية أو اليونانية غير هذا الاسم ٠ (المؤلف)

دجلة فانه خال من السكان ويكاد هذا القسم من ولاية الموصل يعد متمما للبادية . ويقدر عدد القرى الواقعة في ولاية الموصل بنحو ثلاثمائة قرية. وتدر هذه المنطقة فى سنوات الخير كميات وافرة من الحنطة والعدس والحمص والسمسم (وهو عبارة عن بذور صغيرة يستخرج منها الزيت بالعصر) كما يزرع القطن بكثرة في هذه المنطقة ايضا .

وقد حدثت قبل بضع سنوات مجاعة شديدة فى هذه المنطقة وخاصة فى منطقة ديار بكر وذلك نتيجة لقلة سقوط المطر ولسوء ادارة الباشا التركي في التموين ، بحيث ان كثيرا من الفقراء ، وخاصة النصارى ، باعوا اطفالهم للمسلمين(١٢٥) . واستطاع كثير منهم بعد زوال هذه الغمة ان يفتدوا اولادهم بقدر معلوم من المال . على ان عددا غير قليل من هؤلاء الاولاد راق لهم العيش عند المسلمين فأبوا العودة الى ذويهم وأهلهم ، كما ان كثيرا من المسلمين امتنعوا عن اعادة الاطفال الذين اشتروهم وبذا قل عدد النصارى .

وفي الموصل مصانع كثيرة للنسيج والحياكة والصباغة وطباعة النقوش على المنسوجات ، والمهنتان الاخيرتان بيد النصارى . وفي الموصل حركة تجارية واسعة النطاق اذ يردها من كردستان سنويا أكثر من ألفى قنطار من البندق واللوز والجوز فتقوم بتصديرها الى حلب .

ان الباشا الذي يعين واليا على الموصل يكون عادة من درجة باشا بثلاث طوغات (والطوغة هي عبارة عن بسكول من شعر ذيل الحصان) وقد كان أمين الباشا والياً على الموصل عند قدومي اليها وكانت درجته باشا بطوغتين ، غير انه كان يأمل ان يناله الترفيع عن قريب الى الدرجة الاولى أي يصبح باشا بثلاث طوغات. وقد أكد لي الناس بأنه يدفع سنويا للباب العالي كمية من المال تتراوح ما بين الخمسة والثلاثين كيسا والاربعين كيسا(١٢٦). وكل كيس يحتوى على خمسمائة قرش أى انه يدفع للسلطان مقدارا من القروش يتراوح عددها بين السبعة عشر الف قرش وخمسمئة قرش والعشرين الف

---

(١٢٥) كان الرحالة آيفز قد قام برحلة في هذه المنطقة حال انتهاء هذه المجاعة الكبرى ووصف المأساة التى كان عليها الناس والحالة المحزنة التى كانوا فيها ولاسيما اولئك الذين سلموا من هذه الكارثة العظمى . وقد قال له أحد القسس في ديار بكر ان شتاء سنة ١٧٥٦ القاسي (وقد ذكرته في موضوع سابق) ثم الجراد الذى هاجم المزروعات فى سنة ١٧٥٧ كانا من جملة الاسباب الرئيسة لهذه المصيبة العظمى ، وقد كان بالامكان دفع هذه الكارثة لو ان الحكومة العثمانية انشأت المخازن وقامت بادخار المواد الغذائية - (المؤلف)

(١٢٦) ان مقدار محتويات الكيس الواحد هو خمسمائة قرش وتكاد تكون هذه القاعدة متبعة في كثير من الولايات العثمانية . اما فى بغداد فان محتويات الكيس الواحد هى خمسماية قرش . والقرش المتداول فى الولايات العثمانية هو القرش التركى نفسه ويعادل بالعملة الالمانية نحو ثلثي التالر الالماني (المؤلف) .

قرش . وهذه الكمية تعادل بالعملة الالمانية بين الاحدى عشر ألف وسبعمائة تالر والثلاثة عشر الف تالر(١٢٧) . واضافة الى هذه الكمية الكبيرة من المال فاز السلطان يأخذ كل سنة من ولاية الموصل ثلاثين كيسا ، وهي ضريبة الرأس وتدعى الخراج ، تستحصل من النصارى واليهود .فالغنى يدفع أربع دوقات عن كل رأس ، والمتوسط الحال يدفع دوقتين أما الفقير فيدفع دوقة واحدة أو ما يسمونه زر محبوب Zermáhbup ويحصل لقاء ذلك على ورقة أو وصل يحتفظ به طول السنة لكي لا يدفع مرة أخرى . ولا أدري عما اذا كان سكان القرى اليزيدية يدفعون الخراج أيضا ، واعتقد انهم يفعلون ذلك لان معظمهم ينحدرون فى الاصل من النصرانيـة وانهـم كانوا يدفعون هذه الجزية سابقا . أما الذين يدخلون فى الاسلام فانهـم يعفون من دفع هذه الجزية .

وبقيادة باشا الموصل نحو عشرين ضابطا كبيرا يدعون صقلى أغاسي(*) Sakalli Agasi وتناط بهم واجبات خطيرة منها انهم يقـودون الحمـلات التي توجه لمحاربة اليزيدية والعدو . وهنـاك الايج أغاسي Ytz Agasi ويتكون من مائة شخص. ويطلق على مثل هذا العدد التفنكجية (الجنود) ايضا . ويتكونون من ثمانية أعلام (بيارق) ولـكل علم خمسة عشر جنديا أو من مئة وعشرين فارسا . والى جـانب هـذه القـوات فان فى الموصل مـائة وخمسين اسباهيا ، ولهم امتيازات خاصة من السلطان وأولادهم يكونون اسپاهية ايضا . وبما ان هذه المدينة ليست ثغرا لذا فانه ليس فيها ثكنة (قشلاق) أي انه ليس في الموصل مقر لفوج من الينچيرية . الا ان في الموصل عدداً غـير قليل من ضباط الينيچرية ومهمتهم تجنيـد المتطوعين من اهالى البلدة اذا اقتضت الحاجة وعندها يتمتعون بجميع الحقوق التى يتمتع بها الينيچرية . ولا يحق للنصارى الانخراط في الينيچرية والتمتع بامتيازاتهـم . ولكـــن بعضهـم يلتحقـون بالخـدمة في أفواج الينيجرية خدما وما يشبه ذلك لقـاء اجور معينـة وبهـذه الواسـطة يأمنون الخوف على انفسهم فى زمن الاضطرابات والقلاقل التى كثيرا مـا تقع في الموصل . كما يأمنون شر الينيچرية الذين يعتـدون على النـاس وينهبون ما يريدون . واذا ما احتاج الباشا الى قوات اكثـر من الجنـود النظاميين الذين لهم معاشات ورواتب معلومـة فـانه يعلن النفير العـام لتكوين قوات تعرف بالسردنگستى Serdengesti وعندما يجند النصارى ايضا . وبين التفنكجية (الجنود) فى الموصل عدد من المسيحيين .

وفي سنة ١١٥٦ للهجرة (١٧٤٣ م) ضرب نادر شاه مدينة الموصل

---

(١٢٧) التالر عملة المانية قديمة ذات قطعة واحدة من الفضة وتعادل ثلاث ماركات في الوقت الحاضر والدينار العراقي يعادل اثنى عشر ماركا .

(*) راجع الصفحة (٦٨) من هذا الكتاب (س . ا)

بالقنابل مدة واحد وأربعين يوماً وقد كاد يستولي على المدينة لو لم يرده خبر نشوب ثورة في ايران فاضطر الى التخلي عن حصار الموصل(١٢٨) .

ويتبين من وصف تاريخ حياة هذا البطل الفارسي ان اعداءه كانوا يرهبونه في ساحات القتال ولكنه كان لايعرف شيئا من فنون حصار القلاع ، اضافة الى أن الفرس كانوا لايحسنون فن المدفعية . ولقد هاجم نادرشاه المدينة من الجهة الشمالية الغربية عند الباب العمادي حيث كان من أشد جهات سور المدينة حصانة كما كانت هذه الجهة خالية من السكان تقريبا . وضرب من هذا المكان مقر الباشا بالقنابل وكان قد اقامه تحت الانقاض . ولم تكن لدى حسين باشا الجليلي والد والى الموصل الحالى الاستعدادات الكافية للقتال والمؤن والذخائر الحربية اللازمة ، ولذا فلم يكن باستطاعته ضرب المهاجمين بالقنابل واحداث ثغرة واضرار كبيرة بين صفوفهم ولذلك فقد ترك مقر قيادته وذهب الى قصره وترك العدو يلقى القنابل قدر ما يريد على مقر القيادة الخالي .

ويؤكد الموصليون ان نادر شاه ألقى على مدينة الموصل أربعين ألف قنبلة . وليست ثمة مغالاة في هذا العدد فان المدينة قصفت قصفا شديدا ولكن لم تحدث تخريبات كبيرة فيها لان بيوتها مقببة ومبنية من بالجص والحجر . وأكثر القنابل انفجرت في الهواء أو سقطت بين البيوت بدون ان تنفجر وكان الموصليون يجمعونها ويستعملونها مرةاخرى ضد العدو المحاصر . واستعمل نادرشاه فى هدم اسوار المدينة المحصنة الالغام ولكنها كانت تؤذي قواته أكثر من ان تؤذي الموصليين . وكانت مدفعيته تمتاز بالقوة واحكام الاصابات بعض الشيء ، فقد اصابت السور وخربت واجهة كبيرة منه ولكن المدافعين كانوا دائما على استعداد لسد الثغرات التي كانت تحدثها مدفعية العدو في السور ، فكانوا يبنون في الحال حائطا ضخما خلف الثغرة مباشرة ويوصلونها بالسور وقد كان النصارى يسهمون في هذه العملية مساهمة كبيرة بحيث ان المسلمين يعترفون للنصارى بالفضل لثبات المدينة بوجه العدو كما اظهروا فى مواقف مختلفة شجاعة فائقة . ويفاخر المسلمون ببعض مواقف البطولة التى اظهرها عدد من الموصليين ولاسيما فى الليلة التى سرقوا فيها مقر قيادة الفرس وهرعوا بالغنائم الى الخندق الذى كان خاليا من الماء حيث القى لهم اصحابهم الحبال وتسلقوا بها الى اعلا السور .

---

(١٢٨) راجع تاريخ نادرشاه للمؤلف محمد مهدي خان ص ٣٦٥ .

وهذا فصل مشرف من فصول ملحمة البطولة التي اشتهرت بها هذه المدينة منذ أيامها الاولى حين كانت قلعة قبالة نينوى سنة ٦١٢ ق.م وحين وقفت الى جانب الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة العربية الاموية ضد الحركة الشعوبية الخراسانية التي قامت في العراق للقضاء على القومية العربية التي كانت متمثلة في الدولة الاموية فحدثت مجزرة الجامع الاموي في الموصل على يد ابي عبدالله السفاح . (المترجم)

ولقد سنحت لي الفرصة اثناء اقامتي في الموصل ان احصل على قائمة باسماء القرى التابعة لهذا الباشلق وها انذا أسرد أسماءها . على أن عددا كثيرا من هذه القرى ليست له اهمية كبيرة كما أن اسماءها جديدة ، ولكن قد يتمكن العلماء من التعرف على اسماء منها لكونها تمتاز بشهرة خاصة سبق أن ذكرها المؤرخون والكتاب عند كلامهم عن المنطقة المحيطة بنينوى فيجلبون اهتمام السياح نحوها .

ففي الجهة الشرقية من نهر دجلة وفي جنوبي الموصل تقع نونيا (نينوى) أو نبي يونس وهي قرية كبيرة تحيط بمرقد النبي يونس وقد سبق ذكرها . ثم يارمجه وشمس الدين(١٢٩) وقص فخرا Kos Fachra وقره قوينلي سفلي (الگصر) Kara Koinni Sifla والسلامي Sullami (السلامية) ونمرود . ولقد تحدثت عن السور الذي يشاهده المرء في دجلة بالقرب من القرية . ويروى الاهالي ان عددا من البيوت القديمة لا تزال قائمة عليها ، فهي تستحق اهتمام السياح وزيارتهم لها .

ثم قرية تل كندس Tel Gundis وبساطلي Pussâdli وخضر الياس ويقطنها المسلمون وفيها دير لليعاقبة(١٣٠). ثم تل يعقوب(١٣١) وكاني حرامي وقره يتاغ Karoi Jattag وعبدالعزيز وهي قرية تقع على الزاب ويقطنها اليزيدية ، ثم جديدة Dsjödlida وقرقشه Karkascha وتل اللبن Tel el Labban وچام كرام محمد Tscham Karram Mohammed وداغريارمجه D'agger Jaremdsja وصخرة خاتون Sachra Chatûn وبدنة Beddena وترجلا Terdsilla وكرامليس وقره‌قوش‌ويسكنها اليعاقبة وبلاواط Balauâd (١٣٢) وقره‌شور وكهريز وقره‌بولي Karaboli وقاپرلو K'abberlu وشاه قولي(١٣٣) Schah Kuli وخراب الي Kharabelli ودار مولانا والقبة Kubba وآيدور دورماص Eidur Durmâs وينكچة سفلي وآق شهر ويورغانتي Jurganti وعسابه Assâba وقومشين Komeschîn وباش

(١٢٩) وتدعى اليوم شمسيات . (المترجم) .

(١٣٠) هو دير مار بهنام . (المترجم) .

(١٣١) ويسميه القرويون تل عاگوب . (المترجم) .

(١٣٢) وتسمى اليوم بلاوات والاصح ان تسمى بلاواط بما يقرب من اسمها الآشوري القديم بلاطو وتعني الحياة . تبعد بضعة كيلومترات عن نمرود شرقا . وفيها اكتشف هرمز رسام الموصلي في أواسط القرن الماضي قسما من الباب البرونزي واكتشف بعض اجزائه الاخرى الآثاري البريطاني ملوان سنة ١٩٥١. وكان هذا الباب يزين مدخل القصر الصيفي للملك شلمانصر الثالث الآشوري ٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م. في هذه المدينة ويصور حملته على بلاد نائيري وينابيع دجلة . (المترجم)

تعليق : بلاوات : هي مدينة « امكوربيل » القديمة ، فيها مركز لعبادة الاله « بل » او بعل فسميت في العصور المتأخرة « بعل ـ آباذ » ثم خفف الى بل آباذ فـ (بلاوات) (س.آ)

(١٣٣) هكذا كتبها نيبور وتسمى اليوم شاقلي . (المترجم) .

تطماس Bâs Tudmâs وعلي رش وعمر كان ومناره وطاخراوة Tashraua ولاق دراسي L'ak Derra'ssi وجلوخان(١٣٤) Dsjelochân وتنور تبه Tennur T'oppe وطوبراق زيارت Topraq Siaret وقوي جاغ Koi Jaq وكوجلي(١٣٥) Ghoidsjeli وخزنه تبه وبرطله Bartalla والاخيرة يقطنها النصارى وباشبيثا (باشويثا) وباصخرا وهذه تقع في جبل عين الصفرة وكانونا Kanuna وقصر سعيد Kasr Soêd وقوپان وأجي جوق Adsiji Sjuk وپير بن نوق(١٣٦) Pîr Bennok وپير حلار Pîr Hellâr وبحزاني(١٣٧) Bâch Hossan وبعشيقة ويسكن القريتين الاخيرتين اليزيدية والنصارى ثم قرية طوپوزاوه Topusaua وطاس خراب Tês Gharâb وقره تبه وقولان تبه واورطه خراب وتلياره Tilara ووادى سماق Wadi Semmaqk وعمر قابجي Omar Kapidsji (١٣٨) وامام فضلة(١٣٩) Imam Fadla والعباسية اولامش Aulamisch والهاشمية وقپقلي Kapâkli والاريچية وبلبل تبه وباعويزة وقوينجق أو قلعة نينوى (راجع الشكل ـ ٥)٠

أما فى الجهة الشرقية من دجلة وشمالى الموصل ففيها القرى التالية :ـ قاضي كند(١٤٠) Kadi Kent والرشيدي وشريخان وقره قوينلي عليا (القبة) والجمالية وشيخ محمد ودر نجوغ Durnadsjik وخواجه خليل وملا Mellá وعوينة Aua'na وكفريك Ka'ffrik ومصر كند Miser Kend وباعويزة وبيسان ، ويقطن فيها عدد من الارمن اما بقية السكان فهم من المسلمين ٠ والدواسة Dauasa وجانق Dsjanik وعلملو Alemlu والمشرف M'scherraf ودار بايوسف Dâr ba Jusof وأم توثه Om Tuta وفيها يسكن عدد كبير من السادة وگرنوص Gernûs وتل عمته Tel A'mta (١٤١) وتل ميعان Tel Miân وباطط Bated وباب نيت Bâb Nied وخرابك Kharabik وقصرك Kasrik ومشرفة Mischriffa والاخيرة يقطنها اليزيدية ودار هال D'ar Hâl وتل فسنته ومعظم سكان هذه القرية من اليزيدية ثم قرية سوتى Suti ومجيد M'chêd ودار جندى Dâr

---

(١٣٤) هكذا كتبها نيبور وتسمى اليوم جريوخان ٠ (المترجم) ٠
(١٣٥) هكذا ذكرها نيبور وتسمى اليوم كوكجلى ٠ (المترجم) ٠
(١٣٦) ولا ندري اسمها الحقيقي فقد كتبها نيبور بيربنوك ٠ (المترجم)
(١٣٧) كتبها باح او باخ حسان ٠ (المترجم)
(١٣٨) وكتب عمر قابجي : عمر لابجي ٠ (المترجم)
(١٣٩) وكتب امام فضلة ٠ وتعرف اليوم باسم الفاضلية ٠ (المترجم)
(١٤٠) قاضي كند ٠ وتعرف اليوم القاضية ٠ (المترجم)
(١٤١) وربما كانت القرية المعروفة اليوم باسم تل عبطة ٠ (المترجم)

Dsjindi اغاجة قلعة Agadsja Kallá وقـره بولوك Karabolog وكانى شيرين وقبق Kabâk, وكرا Kerr'a (ويقول الموصليون أن النبي يونس القي في هذا المكان على الشاطي وان الحوت صعدت به في نهر دجلة قادمة من خليج البصرة الى هذا المكان) . ثم قرية خانك Khanek وعلاك Allak وزينية Zeinîe وكسك Kıssik ونمر Nimr وكـورامسـك Koramesk وجـان بركـران Jan Burkrân وبقـاق Bakâk وسـكان هـذه القـرية خليط من المسلمين واليزيدية ثم قرية دير سيتون Dâr Setûn وبايبـوس Bebôs (١٤٢) وقسرون Kasrôn وباهنـداوا Bahendaua وهـذه قريـة قديمـة جـدا ومعظـم سكانهـا من اليزيديـة وتقـع بالقـرب من القـوش مقر البطـريق ايليـا . ثم قريـة بدريـة Beddrîe وكرنجق Kerendsiq وحطارة(١٤٣) Hatara وسكانها خليط من المسلمين واليزيدية وقرخ حاطوره Kereck Hatora وكرك Kerrik ورانك Ranik وبابير Bapîr وحتارة (وهذه القرية هي غير التي ورد ذكرها) ثم تل عدس Tel Addes وخان نيشرين Khân Nischerîn وتل زين Tel Zîn تل موس كولات Muskollâd وفلفين Filfên (١٤٤) وكير اسقاق Kîr Iskâk وتل اسقف ، ويقطن هذه القرية النساطرة ثم قرية باقوف(١٤٥) ودوغات Dogâd وسرج خان Seridsch Khân وخوشابان Chuschabân ويسـكن المسلمون واليزيدية سوية فى القرى الاربع الاخيرة ثم قريـة النصيريـة Nusserîe ثم قرية باطنايا Batne وهى قرية كبيرة ومعظم سكانها مـن النصارى وبينهم عدد غير قليل يعتقد ان البابا هو الرئيس الاعلى للكنيسة . وبالقرب من هذه القرية دير قديم للنساطرة يعرف باسم دير مار اوراها Maruraha ثم قرية تلكيف ويتراوح عدد بيوتها بين الثلاثمائة بيت والاربعمائة بيت وقد انضم نحو من نصف سكانها الى البابا أما البقية فهم من النساطرة .

ثم قرية بيت قرا Beit Karra وحسن جبلان(١٤٦) وقره خراب وشيخ حي Schech Hey وشيخ علي وخـراب بيت Charab Beit وكـول قايـا Kulkaja وقوجة عنبر Chodsje Amber ونجيمه Nidjemu وبايبوخت Beibucht وبوزغارا Bôs Gara وقايم Kaim ورازيانا Rasiana والسماقية Summaki وجوق علـو Tschockalu وغوريـان Gh'oriân وقـلاطة نوفـيري N'offeri وسندانك Sindanek وكتك Kittk وقزقلعة (كـلاته) Kis Kallá وعنزاوة(١٤٧) Ansaua وداس قطان Das Kuttân, وعـين بقـرة

---

(١٤٢) وتعرف اليوم باسم بايبوخ . (المترجم)

(١٤٣) وتعرف اليوم حتاره . (المترجم)

(١٤٤) وهي الآن فلفيل . (المترجم)

(١٤٥) وهي اليوم باقوفا . (المترجم) .

(١٤٦) قد يكون اسمها حسن جلاد . (المترجم) .

(١٤٧) وربما كانت عين زاوه . (المترجم) .

وحسنيـــة Ghermaua وكـــرمـاوه Racksa وركــــزه Ain Backara وبيراوزاوه وخرابوك Charab'ok المـامان Elmamân وشيـف شيرين Schifscherîn وكير خالص Kîr Chales وكنـدالة Kendâl ومحمودان Máhhmudân ويسكن هذه القرية المسلمون واليزيدية . ثم قريـة كير مبارك Kîr Mubarek وخرصباط وهذه القرية يسكنها ايضا المسلمون واليزيدية ثم قرية عين سفنى Ain Essefina (٣) وقرية باعذرا Ba'addrie وخورسان Chorasân وسكان هـاتين القريتيـن من اليزيديـة . وقـرية بحزان(١٤٩) B'asán والجراحية Dsi'arrahi وكذلك سكان هاتين القريتين من اليزيدية . ثم قرية كمونة Kemmuna وعين زالة Ain Zâl وهـذه تقع في الجانب الغربي من دجلة اما اليوم فهي مهدمة ثم قرية سيد كند Seüd Kend وجميع سكانها من السادة ، ثم قرية كير كوران Kir Korân وجيانقجي Tschienkschi وديرك D'areck

وفى الجهة الغربية من نهر دجلة تقع القرى التالية :

جندار Dsjindar وكواسير Kauasir وجيكارة Tschâkara وجوتا Tschota وبادوش Badûsch واسماعيلان Ismailân وهذه تقع على بعـد ثلاث ساعات من الموصل على طريق حلب (وقد ورد ذكرها فى تاريخ العالم للعصور الحديثة في الجزء الثالث ، الفقرة ٢٧ .
Algemine Welthistorie der neuern Zeiten 3 ter Teil § 27).
ثم قرية دامرچي Damirschi واحليلة Helela وديرميخائيل D'ar Michael وهو دير مخرب ثم قرية أغ كند Ag Kend والگنيطرة Gona'tra وكافور Kafûr وقبغ چوللي Kabag Tschulli ومحرجان M'ohhirdsjân وحجار سفينة Hadsjar Sefîne وخرار Charar وملك أحمد Mellek Ahmed وحمـام علي وهي عـين للقـير . وتنبع عيـون كثيرة كهـذه على شاطىء دجلـة . ثم قرية جهينه ودگرمـان اداسى D'agerman Adassi وممبارة Mambara (١٥٠) وصف التوث Saf Ettûd وسن الديك Sennedik وكازان كوسكى Kasan Koski وقيارة Keiara وفيها عين غزيرة بالقير .

ثم قرية كشـاف Kschâf وفيها قلعة قديمة وتقـع عند مصب نهـر الزاب شرقي دجلة ثم قرية هزار Hasar وتقع على نهر الخازر ثم قرية حسن بيركان Hassan Pirkân وجو كردجي Tschogürdschi, واوردك Ordak

* * *

(١٤٨) وقد كتبها نيبور عين السفينة . (المترجم) .
(١٤٩) وربما كانت بوزان (ان وجدت قرية بهذا الاسم) . (المترجم) .
(١٥٠) هكذا كتبها نيبور . (المترجم) .
(١٥١) وهناك من يسميه بـ (حمام العليل) . (س.أ) .

الشكل – ٨ أ

خارطة الرحلة من بغداد الى شمال العراق (كما رسمها نيبور)

الشكل – ٨ ب

رحلة نيبور من بغداد الى الموصل (رسمت استنادا على خارطة نيبور)

١ ـ فهرس الاشخاص

(آ ـ أ)

(س)

(ش)

(ص)

(ظ)

(ع)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

٢ ـ فهرس الأمكنة والبقـاع(*)

(آ ـ أ)

(*) اختصرنا كلمة القرية بحرف (ق) فيرجى ملاحظة ذلك .   (س ٠ أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٣ ـ فهرس حضاري عام*

(آ ـ أ)

(*) اشكر الصديق الاستاذ عبدالحميد العلوجي على ملاحظاته القيمة في ترتيب هـذا الفهرس .

س١٠

(ب – پ)

(ت)

(ج - چ)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٤ ـ فهرس المراجـــع والكتب

يتضمن المصادر والمراجع العربية والاجنبية من كتب ومجلات ســـواء تلك التي اعتمد عليها المؤلف او المترجم او المراجـع الوارد ذكرهـــا في هذا الكتاب :

أ ـ المراجع العربية

أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث : تاليف س ٠ هـ ٠ لونكريك وترجمة جعفر الخياط : ٤٠

الاقلام (مجلة) : ١١ ، ٢٢

بغداد مدينة السلام : تاليف ريجارد كوك وترجمة : الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل : ٤٢

تاريخ العراق بين احتلالين ، تاليف الاستاذ عباس العزاوي المحامي : ٤٩

جوامع الموصل : تاليف الاستاذ سعيد الديوهجي ، ١٠٩

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المنسوب الى ابـــن الفوطي ٠ تحقيق الدكتور مصطفى جواد : ٣٢

دليل خارطة بغداد : للاستاذين الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمـــد سوسة : ٣٣ ، ٣٦ ٠ ٤٠ ، ٤٩ ٠

رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر : تاليف سعاد هادي العمري : ٢٢

سومر (مجلة) : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩

السالنامة (التركية) : ٤٨

الكاشيون ، تاليف الدكتور محمود حسين الامين : ٤٣

اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد : تاليف الخوري افرام عبدال : ٩٨

مجلة المجمع العلمي العربي (بدمشق) : ١٠٩

مشاهدات نيبور في رحلة من البصرة الى الحلة : ترجمة الاستاذ سعاد هادي العمري : ٢٢ ، ٧٢

معجم البلدان ، لياقوت الحموي : ٩١

منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء : تأليف ياسين بن خيرالله الخطيب العمري ، تحقيق الاستاذ سعيد الديوه‌جي : ٩٨

الهلال (مجلة) : ٨

وفيات الاعيان ، لابن خلكان : ٩٠

اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم : تأليف المؤرخ الاستاذ عبدالرزاق الحسني : ٩١

ب ـ المراجع الاجنبية

Anonymous Life of Carten Niebuhr : ٢٢ ،

وقد ترجم الى الانكليزية عن الكتاب الصادر بالالمانية بعنوان :
Barthold Niebuhr,
Carsten Niebuhr Leben : ٢٢

Bibiliotheca Historica : المكتبة التاريخية لديودورس الصقلي : ٩٠

Beschreibung Von Arabien : (von Carsten Niebuhr)
٢١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٧٣ ، ١٠٩ ، ١١١
وقد نقله الى الانكليزية المستر سيلي بعنوان
Describtion of Arabia. By C.W.H. Sealy.

Edward Ives Reisen : اسفار آيفز : ٣٧ ، ٤٣ ، ٩٤

Encyclopaedia Britannica : دائرة المعارف البريطانية : ١٧

كتاب عن نباتات مصر وجزيرة العرب : ٢٢
Flora Aegyptiaco-Arabica :

Geschichte Nadir Schah : تاريخ نادرشاه : ٨٩

Arabia Felix, or The Danish Expedition of 1761-1767 by Thorkild Hansen.

بلاد العرب السعيدة : ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٤

Icones rerum naturalium. ٢٢

٥ـ فهرس الصور والاشكال

راعينا في ترتيب تسلسل الاشكال والصور وضعها أمام الصفحات التي جاء فيها وصف الاماكن والآثار مما اقتضى تقديم تسلسل بعض الاشكال على بعضها الآخر ·

٧ ـ كتابات من جبل بهستون استنسخها نيبور وهي من الكتابات الفهلوية المستعارة حروفها من الآرامية (مقابل ص ٩٠) ٠

٨ ـ (أ) خارطة الرحلة من بغداد الى شمالى العراق (كما رسمها نيبور)

(ب) رحلة نيبور من بغداد الى الموصل (رسمت استنادا على خارطة نيبور) ٠ (مقابل ص ١٢٠) ٠

انتهى القسم الاول من رحلة نيبور وسيليه القسم الثانى منها الخاص بمدينة البصرة وجنوبى العراق

ب ـ ٢



بغداد في ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م

ثمن النسخة (٢٠٠) فلس

شركة دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد


COLUMBIA UNIVERSITY
0026813254